أعظم من التاريخ

(سابقًا)

نجّار وأعظم

تأليف : جوش & شون ماكدويل

ترجمة: بولس رعد

إلى ديك وتشارلوت داي
اللذين عكست حياة كلّ منهما
أنّ يسوع هو أعظم من التاريخ

حقوق الطبع محفوظة لحياة
المحبّة في لبنان

كيفيّة استخدام هذا الكتاب بالإضافة إلى قراءته بتمعّن:

ستلاحظ أثناء قراءتك لهذا الكتاب وجود بعض الصُوَر عبر صفحاته ومن ضمنها صورة الغلاف الأخير. لم نضع هذه الصُوَر عبثًا، بل يوجد وراءها تكنولوجيا تُعرف بالـ Augmented Reality. بعد تحميل التطبيق الخاصّ بها بعنوان Agapear، وجّه الكاميرا الخاصّة بالتطبيق نحو أيّة صورة في الكتاب لتشاهدها تتحوّل إلى فيديو قصير، وكلّ صورة منها تشغّل أفلامًا مختلفة من وقت لآخر.

في الواقع، إنّ هذه التكنولوجيا المستخدَمة ستعطيك متعة مضاعفة وأنت تقرأ هذا الكتاب.

المحتويات

الصفحة	الفصل	
٧	**تمهيد**	
٩	**الفصل الأوّل**	قصّتي
١٧	**الفصل الثاني**	ما الذي يميّز يسوع؟
٣١	**الفصل الثالث**	هو ربّ، أم منافق أم مُختلٌّ؟
٤٣	**الفصل الرابع**	ماذا عن العِلْم؟
٤٩	**الفصل الخامس**	تحدّي الإلحاد الجديد
٦٥	**الفصل السادس**	هل يمكن الاعتماد على الأسفار الكتابيّة؟
٨٧	**الفصل السابع**	مَن مُستعدّ أنْ يموت من أجل كذبة؟
٩٩	**الفصل الثامن**	ما الفائدة من مسيح ميْت؟
١٠٥	**الفصل التاسع**	هل سمعت بما حدث لشاول؟
١١٣	**الفصل العاشر**	هل يمكن أنْ يرى تقيّك فسادًا؟
١٢٧	**الفصل الحادي عشر**	هلّا يتفضّل المسيح الحقيقيّ ويُعلن عن نفسه؟
١٣٥	**الفصل الثاني عشر**	أليست هنالك طريقة أخرى؟
١٤١	**الفصل الثالث عشر**	لقد غيّر حياتي
١٤٩	**المؤلّفان**	
١٥١	**المراجع والملاحظات**	

تمهيد

حين جلست للمرّة الأولى عام ١٩٧٦ ومعي اثنا عشر دفترًا للملاحظات وثمانية وأربعون ساعة من الوقت الحرّ، وكميّة كثيرة من القهوة، كتبتُ ما أصبح لاحقًا كتاب «نجّار وأعظم». ألّفتُ هذا الكتاب على أملِ أنْ يساعد أتباع يسوع للإجابة عن أسئلة تتعلّق بإيمانهم، وأنْ يُلهمَ الباحثين الروحيّين لكي يبحثوا بصدق في ادّعاءات يسوع. لم أحلم أبدًا بأنّ قصّة رحلتي الشخصيّة من الشكّ إلى الإيمان سيُباع منها أكثر من عشرين مليون نسخة، وأنْ تُترجم إلى مئة لغة تقريبًا، وأنْ تُلهِم القرّاء حول العالم لكي يفكّروا بعمقٍ بإمكانيّة الإيمان. ما زلت أشعر بالفخر والتواضع كلّ مرّة يقول لي أحدهم إنّ كتابي أحدث فرقًا وتغييرًا في حياته.

ومع هذا، ما أزال مصدومًا بالأمور الكثيرة التي حدثت في العالم منذ الصدور الأوّل لكتاب «نجّار وأعظم.» فقد ظهرَت اكتشافات كثيرة (وما زال يظهر الكثير منها) سلّطَتْ الضوء على تاريخيّة يسوع المسيح. دخل «الملحدون الجُدد» ساحة الثقافة الشعبيّة بكتبهم، مُدّعين انتهاء الإيمان وسقوط الله. وبينما يواجه جيل اليوم كمًّا هائلًا من المواضيع والخيارات الجديدة، إلّا أنّهم ما زالوا مستمرّين أيضًا في مواجهة أسئلة قديمة قِدَم التاريخ: مَن هو يسوع؟ ما الدليل بأنّه ابن الله؟ وحتّى لو كان هذا صحيحًا، فما الفرق الذي سيُحدثه هذا في حياتي؟

استنادًا إلى كلّ هذا، قرّرْت أنّه حان الوقت لكي أحوّل كتاب «نجار وأعظم» ليناسب القرن الواحد والعشرين. فقمت بدعوة ابني، شون، وهو متحدّث لامع، ومُعلّم وكاتب في الدفاعيّات وفي الكتاب المقدّس، لكي نُصدر معًا نُسخة مُستحدثة عن الكتاب. فأتى شون حاملًا معه شهاداته الأكاديميّة القويّة (يحمل

شون شهادتَي ماجستير في الفلسفة واللاهوت) وخبرته الشخصيّة ككاتب، لكي يقدّم وجهة نظره حول الإيمان في فترة ما بعد الحداثة. عملنا معًا لإضافة فصل جديد ولمراجعة المواد القديمة ومناقشة الأسئلة المطروحة ولإلقاء نظرة جديدة، فكانت النتيجة طبعة جديدة من الكتاب الذي أطلقنا عليه عنوان "أعظم من التاريخ"، وذلك نتيجة اتصال صديق بي من الشرق الأوسط ليشاركني التالي. قال لي: «أتعلم يا أخ جوش، كثيرون من رجال الناصرة يمتهنون حرفة النجارة، وقد كان والدي أحدهم، إذ عمل نجّارًا لأكثر من سبعين عامًا. وعند قراءتي لكتابك، كنت أتساءل دائمًا إنْ كان يسوع مجرّد أعظم من نجار. وكوني أعيش في هذه المنطقة من العالم، فإنّ الناس يحترمون السيد المسيح ويعتبرونه أعظم بكثير من أنْ يُطلق عليه لقب "نجّار وأعظم". فبدأت أفكّر كعربيّ يقدّم هذا الكتاب للعرب في هذه المنطقة بعنوان يعطي ليسوع مكانته في نظرهم.» وقد اقترح عليّ صديقي هذا عنوانًا جديدًا للكتاب وهو "أعظم من التاريخ". أعجبني هذا العنوان ولم يكن عندي أيّ مانع من استخدامه. ولقد حافظنا في هذا الكتاب على التدقيق العميق بالحقائق والبحث عن الحقيقة.

رغبتنا القلبيّة بأنْ يُحدث هذا الكتاب وقعًا وتأثيرًا مُغيّرًا في حياة الجيل الجديد في بحثهم عن الصفاء والوضوح الروحيّ.

جوش ماكدويل

الفصل الأوّل

قصّتي

كتب فيلسوف القرن الرابع عشر توما الأكويني التالي: «في كلّ نفس بشريّة عطشٌ للسعادة ومعنىً للحياة.» بدأت أشعر بهذا العطش حين كنت في سنّ المراهقة. أردت أنْ أكون سعيدًا. أردت أنْ يكون لحياتي معنى. وبدأ يطاردني شبح ثلاث أسئلة أساسيّة تقضّ مضجع كلّ إنسان: مَنْ أنا؟ لماذا أنا موجود هنا؟ إلى أين أنا ذاهب؟ أردت أنْ أجد إجابة عن كلّ هذه الأسئلة، فبدأت كطالب شابّ أبحث عنها.

بدا لي في المكان الذي تربّيت فيه أنّ الجميع متديّن، فاعتقدت أنّي قد أجد إجاباتي في تديّني. انخرطت في الحياة الكنسيّة بالكامل. كنت أدخل الكنيسة طالما أبوابها مفتوحة، سواء أكان ذلك في الصباح أو بعد الظهر أو في فترة المساء. لكن لا بدّ أنّني اخترت الكنيسة الخطأ، لأنّ حالتي ساءت من الداخل والخارج. بسبب نشأتي في مزرعة في ولاية ميشيغن، ورثت مقولة قرويّة مفادها أنّه لو كان شيء ما فاسدًا، تخلّص منه فورًا. فتخلّيت عن الدين.

ثمّ فكّرت أنّي قد أجد إجابات عن بحثي عن المعنى في التعليم، فدخلت إحدى الجامعات، وهناك أصبحت سريعًا أكثر طالب غير محبوب بين الأساتذة الجامعيّين. كنت أدخل إلى مكاتبهم وأزعجهم لكي أجد إجابات عن أسئلتي. حين يرونني قادمًا إليهم، كانوا يُطفئون الأنوار ويُغلقون الستائر ويُقفلون أبوابهم. تستطيع أنْ تتعلّم الكثير في الجامعة، إلّا أنّني لم أجد الإجابات التي كنت أبحث عنها. كان أعضاء هيئة التعليم وزملائي الطلّاب يواجهون هم أنفسهم مشاكل جمّة وإحباطات، وكان لديهم مثلي أسئلة بدون أجوبة.

ذات يوم وأنا في حرم الجامعة، رأيت طالبًا يلبس قميصًا مكتوب عليها: «لا تتبعني، أنا تائه.» هكذا بدا لي جميع من هم في الجامعة، فاكتشفت أنّ الأجوبة ليست في التعليم.

ما رأيك؟
هل توافق على ما قاله الفيلسوف توما الأكويني بأنّ «في كلّ نفس بشريّة عطشٌ للسعادة ومعنىً للحياة»؟

بدأت أفكّر أنّي قد أجد السعادة والمعنى في الشهرة والنفوذ، فكنت أبحث عن قضيّة نبيلة وأكرّس ذاتي لها لأصبح مشهورًا في حرم الجامعة. كان قادة الطلّاب أكثر الناس شهرة ونفوذًا في الجامعة، وكانوا أيضًا يتحكّمون بما يجري فيها. فتمّ انتخابي في مناصب طلّابيّة مختلفة. كان اختبارًا رائعًا إذ أصبحت أعرف الجميع في الحرم الجامعيّ، وأصبحت قادرًا على اتّخاذ قرارات هامّة وأصرف من أموال الجامعة وأدعو المتكلّمين الذين أريدهم وأصرف أموال الطلّاب لإقامة الحفلات.

لكن رعشة النفوذ والشهرة بدأت تتلاشى كأيّ رعشة أخرى اختبرتها. كنت أستيقظ صباح الاثنين بصداع في رأسي بسبب الليلة السابقة لأواجه خمسة أيّام أخرى تعيسة في الأسبوع. كنت أحتمل أيّام الأسبوع الخمسة فقط لأستمتع بالحفلات الليليّة في نهاية الأسبوع، ثمّ صباح الاثنين التالي كانت الدوّامة الفارغة تبدأ من جديد.

كان الجميع يظنّ أنّي أسعد شخص في الحرم الجامعيّ، لكنّ الحياة التي كنت أحياها كانت كالجحيم.

لم أرضَ بحياتي الفاقدة للمعنى، فكبريائي يمنعني من ذلك. كان الجميع يظنّ أنّي أسعد شخص في الحرم الجامعيّ. لم يخالجهم الشكّ أبدًا بأنّ سعادتي كانت مزيّفة وبأنّها كانت وليدة ظروفي. فلو كانت أموري تجري على ما يُرام، كنت أشعر بأنّي بخير. ولكن لو كانت أموري سيّئة، كنت أشعر بالسوء من دون أنْ أُظهر ذلك للآخرين.

كنت كقارب في وسط المحيط تتخبّط به الأمواج يُمنة ويُسرة. كان قاربي بلا دفّة وكان يُبحر بلا هدف وبلا توجيه. في الوقت نفسه، لم أجد شخصًا آخر يعيش بطريقة مختلفة. لم أقدر أنْ أجد شخصًا يقول لي كيف أحيا بطريقة مختلفة. شعرت بالإحباط. لا، بل كان أسوأ من ذلك. يوجد كلمة قويّة تصف الحياة التي كنت أحياها: الجحيم.

ما رأيك؟
هل تحبّ أنْ تكون بين أشخاص ذوي قناعات؟ ما الذي يجعل من هذا الأمر اختبارًا مُنعشًا أو مُحبطًا؟

لاحظت في ذلك الوقت مجموعة صغيرة من الناس. كانوا ثمانية طلّاب وأستاذَين جامعيّين. بدا لي أنّهم يختلفون عن الآخرين من حولهم. بدا لي أنّهم يعرفون أنفسهم جيّدًا ويعرفون إلى أين هم ماضون ولهم قناعات خاصّة بهم. من الرائع أنْ تجد أشخاصًا لهم قناعات، وأنا أحبّ أنْ أكون بينهم. يُعجبني الأشخاص الذين يؤمنون بشيء ما ويدافعون عنه، حتّى لو كنت لا أوافق على معتقداتهم.

كان واضحًا لي أنّ لدى هذه المجموعة شيئًا غير موجود عندي. كانوا سعداء بشكل مميّز، ولم تتغيّر سعادتهم بحسب الظروف الجامعيّة المحيطة بهم. كانت سعادتهم ثابتة ومستمرّة. بدا لي أنّهم يمتلكون مصدرًا داخليًّا للفرح، وبدأت أتساءل عن مصدر هذه السعادة.

لفت انتباهي أمر آخر عند هؤلاء الأشخاص ألا وهو سلوكهم وتصرّفاتهم بعضهم نحو بعض. كانوا يحبّون بعضهم بصدق. لم يحبّوا بعضهم فحسب، بل كانوا أيضًا يحبّون الذين هم من خارج مجموعتهم. لا أقصد أنّهم كانوا يتكلّمون فقط عن المحبّة، بل كانوا يشاركون الناس في حياتهم ويساعدونهم في سدّ احتياجاتهم وحلّ مشاكلهم. كان كلّ هذا غريبًا عنّي، ومع هذا، كنت مُنجذبًا إليهم بشدّة.

«المسيحيّة!؟ إنّها للضعفاء وليست للمفكّرين.» طبعًا، وراء كلّ هذا الاعتداد بالذات، كنت أرغب حقًّا أنْ أحصل على ما يتمتّع به هؤلاء الأشخاص.

كأغلب الناس، حين أرى شيئًا لا أملكه وأرغب فيه، أبدأ أبحث عن طريقة للحصول عليه. فقرّرت أنْ أصادق هؤلاء الأشخاص المثيرين للانتباه.

بعد أسابيع قليلة، جلست حول طاولة في قاعة الطلّاب وبدأت أتكلّم مع بعض أعضاء هذه المجموعة. بدأنا نتكلّم عن الله، لكنّي كنت من المشكّكين ولم أكن أشعر بالراحة حين أتكلّم عن هذا الموضوع. عبست وانحنيت إلى الوراء وأنا جالس في مكاني، مُظهرًا للجميع بأنّي غير مهتمّ بهذا الموضوع.

ثمّ قلت متفاخرًا: «المسيحيّة!؟ إنّها للضعفاء وليست للمفكّرين.» طبعًا، وراء كلّ هذا الاعتداد بالذات، كنت أرغب حقًّا أنْ أحصل على ما يتمتّع به هؤلاء الأشخاص، ولكن كبريائي رفض أنْ يعرفوا عن تلك الحاجة الملحّة في داخلي. أزعجني الموضوع لكنّي لم أقدر أنْ أتخلّى عنه. فالتفتّ إلى إحدى الطالبات، وكانت فتاة جميلة المنظر (كنت أعتقد آنذاك أنّ جميع المسيحيّين بشعون)، وقلت لها: «أخبريني، لماذا أنت مختلفة عن باقي الطلّاب والأساتذة في الحرم الجامعيّ؟ ما الذي غيّر حياتك؟»

ومن دون أيّ تردّد أو إحراج، نظرَتْ مباشرة في عينيّ وقالت لي كلمتَين بلهجة جدّيّة لم أتوقّع أبدًا أنْ أسمعهما في حوار فكريّ عقلانيّ في الجامعة: «يسوع المسيح.»

المسيحيّة ليست دينًا. الدين هو محاولة من البشر للوصول إلى الله من خلال الأعمال الصالحة. بينما المسيحيّة هي عن الله الذي أتى إلى البشر من خلال يسوع المسيح.

قاطعتها فورًا وقلت لها: «يسوع المسيح؟ أرجوكِ، لا تتفوّهي بهذه التفاهات، فقد طفح كيلي من الدين ومن الكنيسة ومن الكتاب المقدّس.»

أجابتني بسرعة وقالت: «لم أقلْ لك الدين، بل قلت لك يسوع المسيح!» لقد أشارت إلى أمر كنت أجهله من قبل: المسيحيّة ليست دينًا. الدين هو محاولة من البشر للوصول إلى الله من خلال الأعمال الصالحة. بينما المسيحيّة هي عن الله الذي أتى إلى البشر من خلال يسوع المسيح.

لم أقتنع بما قالت. لم أقتنع به على الإطلاق. دُهشت من شجاعة الفتاة وقناعتها، فاعتذرت عن طريقة كلامي معها وشرحت قائلًا: «أنا فعلًا مُتعب من الدين ومن المتديّنين ولا أريد أنْ يكون لي علاقة معهم.»

عندها وضع أصدقائي الجدد أمامي تحدّيًا ولم أصدّق ما كنت أسمع، إذ طلبوا منّي أنْ أقوم ببحث دقيق وفكريّ عن ادّعاءات يسوع المسيح حين قال عن نفسه إنّه ابن الله، وبأنّه أخذ جسدًا بشريًّا وعاش بين رجال ونساء حقيقيّين، وبأنّه مات على الصليب من أجل خطايا العالم، وبأنّه دُفن وقام في اليوم الثالث، وبأنّه ما زال حيًّا ويستطيع أنْ يغيّر حياة الإنسان حتّى هذا اليوم.

ما رأيك؟ كيف تعرّف *الدين؟*

اعتقدت أنّ هذا التحدّي كان مجرّد مزحة، فقد كان كلّ شخص منطقيّ يعلم أنّ المسيحيّة ترتكز على خرافة. كنت أعتقد أنّ الأغبياء فقط يؤمنون بخرافة قيامة المسيح من الأموات. كنت أنتظر لكي يتكلّم المسيحيّون في الصفّ لكي أقلب حججهم رأسًا على عقب. كنت أعتقد أنّه لو كان عند المسيحيّين خلايا دماغيّة لماتت من الوحدة!

قبلت التحدّي الذي واجهني به أصدقائي بشكل أساسيّ لكي أثبت خطأهم. كنت مقتنعًا أنّه لا يمكن للرواية المسيحيّة أنْ تثبت أمام البراهين. بدأت أبحث في ادّعاءات المسيحيّة بدقّة لكي أعود وأحطّم الدعائم التي بُنيت عليها هذه الديانة الزائفة.

قرّرت أنْ أبدأ بالكتاب المقدّس. كنت أعلم أنّه لو أتيح لي أنْ أكتشف براهين دامغة تؤكّد أنّه لا يُمكن الاعتماد على سجلّات الكتاب المقدّس، فستنهار المسيحيّة بأكملها. يستطيع المسيحيّون بكلّ تأكيد أنْ يقولوا إنّ كتابهم يعلن بأنّ المسيح وُلد من عذراء، وبأنّه صنع المعجزات، وبأنّه قام من بين الأموات. ولكنْ ما المنفعة من ذلك؟ لأنّي لو استطعت أنْ أثبت بأنّ الكتاب المقدّس غير جدير بالثقة تاريخيًّا، عند ذلك أستطيع أنْ أثبت أنّ المسيحيّة خرافة اخترعها بعض الحالمون المتديّنون.

لو استطعت أنْ أثبت بأنّ الكتاب المقدّس غير جدير بالثقة تاريخيًّا، عند ذلك أستطيع أنْ أثبت أنّ المسيحيّة خرافة اخترعها بعض الحالمون المتديّنون.

وجدت البراهين وكانت وفيرة. كان عليّ أنْ أعترف وأقرّ بأنّ العهد القديم والعهد الجديد هما أكثر كتابَين يمكن الوثوق بهما بين كلّ الكتب القديمة.

قبلت هذا التحدّي بشكل جدّيّ، وقضيت أشهرًا أبحث في هذا الأمر. حتّى أنّي تركت الدراسة لفترة من الزمن لأبحث في المكتبات العريقة الأوروبيّة. وهناك وجدت البراهين وكانت وفيرة. براهين لم أكنْ لأصدّق أنّها موجودة ما لم أرَها بأمّ عينيّ. أخيرًا وصلت إلى استنتاج واحد: إنْ أردتُ أنْ أبقى صادقًا من الناحية الفكريّة، فعليّ أنْ أعترف وأقرّ بأنّ العهد القديم والعهد الجديد هما أكثر كتابَين يمكن الوثوق بهما بين كلّ الكتب القديمة. وإنْ كانا فعلًا هكذا، ماذا عن هذا الرجل يسوع الذي كنت أظنّه مجرّد نجّار من مدينة صغيرة، ذلك الرجل العالق في جنون عظمته؟

كان عليّ أنْ أعترف أنّ يسوع المسيح كان أعظم من التاريخ، وما ادّعى به كان فعلًا حقيقيًّا.

لم ينقلب بحثي عليّ فكريًّا فحسب، لكنّه أجاب عن الأسئلة الثلاثة التي بدأ بها بحثي عن السعادة ومعنى الحياة. ولكن كما يقول بول هارڤي: «وللقصّة تتمّة.»

ما رأيك؟

إنْ كان الله فعلًا قد صار إنسانًا، فما هي الطريقة الأفضل لكي يتواصل مع خليقته؟

وسأخبرك تتمّة القصّة في نهاية هذا الكتاب. عليّ أوّلًا أنْ أخبرك عن الأمور الأساسيّة التي اكتشفتها خلال أشهر بحثي لكي تقدر أنت أيضًا أنْ ترى بأنّ المسيحيّة ليست خرافة يؤمن بها البسطاء من البشر، بل هي حقيقة ثابتة كالصخرة. وأضمن لك بأنّك حين تتصالح مع هذه الحقيقة، ستجد نفسك عند عتبة اكتشاف الأجوبة عن هذه الأسئلة الثلاثة: من أنا؟ ما هو الهدف من وجودي؟ ما هو مصيري؟

كلّ أسبوع مع الكاتب AR

Josh McDOWELL

Available on the App Store
GET IT ON Google Play

* حمّل التطبيق Agapear واستخدم الكاميرا الخاصّة به.
* وجّه الكاميرا نحو الصورة لتشاهد بالفيديو ما يقدّمه الكاتب عن هذا الكتاب.
* يتطلّب التطبيق أنْ يكون هاتفك متّصلًا بشبكة الإنترنت.

الفصل الثاني

ما الذي يميّز يسوع؟

بعد اكتشافاتي حول الكتاب المقدّس والمسيحيّة بفترة قصيرة، كنت راكبًا في سيّارة أجرة في مدينة لندن، وصادف أنّي ذكرت اسم يسوع في حديثي مع السائق. فأجابني على الفور: «لا أحبّ النقاش في الدين، وخاصّة فيما يتعلّق بيسوع.» لم يسعني إلّا أنْ ألاحظ التشابه بين ردّة فعله وردّة فعلي حين أخبرتني الشابّة المسيحيّة عن يسوع المسيح الذي غيّر حياتها. يبدو أنّ اسم يسوع نفسه يُزعج الناس ويجعلهم يشعرون بالخجل والغضب، أو يجعلهم يريدون تغيير موضوع الحديث. يمكنك أنْ تتكلّم عن الله ولن ينزعج الناس منك، ولكن حين تذكر اسم يسوع يريدون فورًا إنهاء الحديث. لماذا يا تُرى لا ينزعج الناس هكذا عند ذكر أسماء مثل بوذا أو كونفوشيوس أو غيرهما كما ينزعجون من اسم يسوع؟

باعتقادي أنّ قادة الأديان الأخرى لم يدّعوا بأنّهم الله. هذا هو الأمر الذي يميّز يسوع عن الآخرين. لم يمضِ وقت طويل حتّى أدرك الأشخاص الذين يعرفون يسوع أنّ هذا النجّار الذي من الناصرة يدّعي ادّعاءات مُذهلة عن نفسه. وأصبح من الواضح بأنّ هذه الادّعاءات تجعله أكثر من مجرّد نبيّ أو معلّم. كان يدّعي الألوهيّة وكان هذا واضحًا جدًّا. كان يقدّم نفسه على أنّه الطريق الوحيد للخلاص، والوحيد القادر على غفران الخطايا – أمران كان الجميع يعلم أنّ الله وحده يتميّز بهما.

يعتبر كثيرون اليوم أنّ ادّعاء يسوع بأنّه ابن الله هو ادّعاء حصريّ جدًّا. ففي مجتمعاتنا التعدّديّة، يُعتبر هذا الادّعاء ضيّقًا وتفوح منه رائحة التعصّب الدينيّ الأعمى فيرفضون الإيمان به. ومع هذا، لا يتعلّق الأمر بماذا نريد أنْ نؤمن، بل، بمن هو يسوع بحسب ما زعم به؟ وهل ما ادّعاه صحيح؟ هذا ما انطلقْتُ أبحث عنه حين قبلت التحدّي من أصدقائي الجامعيّين.

ما رأيك؟
قال يسوع إنّه ابن الله. لماذا يعتبر كثيرون أنّ هذه العبارة غير مقبولة؟ لماذا ينزعج الناس أقلّ عند ذكر الله بدلًا من يسوع؟

بدأت أبحث في كلّ وثائق العهد الجديد لأرى ماذا تقول عن هذا الادّعاء. بدأت أحلّل عبارة «ألوهيّة المسيح» لأفهم ما كان المقصود تمامًا في ادّعاء يسوع بأنّه الله. يُعطي أوغسطس هـ. سترونغ، الرئيس السابق لمعهد روتشستر اللاهوتي، في كتابه «اللاهوت النظاميّ» تعريفًا لله بقوله إنّه «الروح اللامحدود الكامل الذي هو مصدر كلّ الأشياء وحافظها وغايتها.»[1] وهذا التعريف مقبول ليس فقط عند المسيحيّين، بل عند كلّ الذين يؤمنون بالله كالمسلمين واليهود. تُعلّم الأديان التوحيديّة أنّ الله شخصيّ، وبأنّه هو مصمّم الكون وخالقه. هو يحفظه ويحكمه الآن. ولكن الإيمان المسيحيّ يضيف عبارة إلى هذا التعريف السابق ويقول إنّ «الله تجسّد في يسوع الناصريّ.»

لا تشير كلمة «المسيح» إلى نسب عائلة يسوع. يسوع هو الاسم، والمسيح هو اللقب. يشتقّ اسم يسوع من الصيغة اليونانيّة لاسم يشوع الذي يعني «يهوه المخلِّص» أو «الربّ يخلِّص.» ولقب المسيح مُشتقّ من الكلمة اليونانيّة «المسيّا» (أو كلمة المشيخ العبريّة. دانيال ٩: ٢٦) وتعني «الشخص الممسوح». ويشمل استخدام لقب «المسيح» على وظيفتين هما وظيفة الملك والكاهن. وهذا اللقب يؤكّد أنّ يسوع هو الكاهن الموعود به في نبوءات العهد القديم. هذا التأكيد أساسيّ لفهم يسوع والمسيحيّة بشكل صحيح.

اسم يسوع يعني «يهوه المخلِّص» أو «الربّ يخلِّص». لقب المسيح مُشتقّ من الكلمة اليونانيّة «المسيّا» وتعني «الشخص الممسوح.»

يُقدّم العهد الجديد المسيحَ كالله بكلّ وضوح. فأغلب الأسماء التي يُطلقها على المسيح لا يُمكن نسبها إلّا لله فقط. مثلًا، يُدعى يسوع الله في هذه الآية: «مُنتظرين الرجاء المبارك وظهور

مجد الله العظيم ومُخلِّصنا يسوع المسيح.» (تيطس ٢: ١٣؛ انظر أيضًا يوحنا ١: ١؛ رومية ٩: ٥؛ عبرانيين ١: ٨؛ ١ يوحنا ٥: ٢٠–٢١). ينسب الكتاب المقدّس صفاتًا له لا يمكن نسبها إلّا لله وحده. فهو ذاتي الوجود (انظر يوحنا ١: ٢؛ ٨: ٥٨؛ ١٧: ٥؛ ١٧: ٢٤) وهو كلّيّ الوجود (انظر متّى ١٨: ٢٠؛ ٢٨: ٢٠) وهو كلّيّ المعرفة (انظر متّى ١٧: ٢٢–٢٧؛ يوحنا ٤: ١٦–١٨؛ ٦: ٦٤) وهو كلّيّ القدرة (انظر متّى ٨: ٢٦–٢٧؛ لوقا ٤: ٣٨–٤١؛ ٧: ١٤–١٥؛ ٨: ٢٤–٢٥؛ رؤيا يوحنا ١: ٨) وعنده الحياة الأبديّة (انظر ١ يوحنا ٥: ١١–١٢، ٢٠).

لقد قَبِل يسوع المجد والعبادة وهذا لا يليق إلّا بالله وحده. وحين كان في مواجهة مع الشيطان، قال له يسوع: «مكتوب: للربّ إلهك تسجد، وإيّاه وحده تعبد.» (متّى ٤: ١٠). ونجد أنّ يسوع قَبِل أنْ يُعبد كالله (انظر متّى ١٤: ٣٣؛ ٢٨: ٩) وأحيانًا نجد أنّه ادّعى بأنّه يستحقّ العبادة كالله (انظر يوحنا ٥: ٢٣؛ عبرانيين ١: ٦؛ رؤيا يوحنا ٥: ٨–١٤). كان مُعظم أتباع يسوع من اليهود الأتقياء الذين كانوا يؤمنون بالله الواحد الحقيقيّ. كانوا موحّدين حتّى الصميم، ومع هذا، وكما تُظهر الأمثلة المذكورة، اعترفوا به كالله المُتجسّد.

ينسب الكتاب المقدّس صفاتًا له لا يُمكن نسبها إلّا لله وحده. لقد قَبِل يسوع المجد والعبادة، وهذا لا يليق إلّا بالله وحده.

وبسبب تربية بولس الرسول الدينيّة اليهوديّة المتشدّدة، كان من غير المُحتمل أنْ ينسب الألوهيّة ليسوع وأنْ يعبد رجلًا من الناصرة ويدعوه ربًّا. ولكن هذا تمامًا ما فعله بولس. فقد اعترف أنّ يسوع هو الله حين قال: «احترزوا إذًا لأنفسكم ولجميع الرعيّة التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه.» (أعمال الرسل ٢٠: ٢٨).

وحين سأل يسوع تلاميذه عمّن يكون، اعترف بطرس قائلًا: «أنت هو المسيح ابن الله الحيّ» (متّى ١٦: ١٦). لم يُصحّح يسوع استنتاج بطرس، بل اعترف بصحّته ومصدره حين أجابه قائلًا: «طوبى لك يا سمعان بن يونا، إنّ لحمًا ودمًا لم يُعلن لك، لكنّ أبي الذي في السماوات.» (متّى ١٦: ١٧).

قالت مرثا، وهي تلميذة مُقرّبة من تلاميذ يسوع: «أنا قد آمنت أنّك أنت المسيح ابن الله.» (يوحنا ١١: ٢٧). ثمّ هنالك نثنائيل الذي كان يعتقد أنّه لا يمكن أنْ يخرج شيء صالح من الناصرة. اعترف نثنائيل وقال ليسوع: «يا مُعلّم، أنت ابن الله. أنت ملك إسرائيل.» (يوحنا ١: ٤٩). وبينما كان الشهيد المسيحيّ الأوّل يُرجم بالحجارة، صرخ وقال: «أيّها الربّ يسوع، اقبل روحي.» (أعمال الرسل ٧: ٥٩). ويدعو كاتب الرسالة إلى العبرانيّين المسيحَ بأنّه الله حين كتب: «وأمّا عن الابن، كرسيّك يا الله إلى دهر الدهور.» (عبرانيّين ١: ٨).

ولدينا أيضًا اعتراف توما، المعروف بالمشكّك. قال توما: «إنْ لم أُبصر في يديه أثر المسامير وأضع إصبعي في أثر المسامير وأضع يدي في جنبه لا أؤمن.» (يوحنا ٢٠: ٢٥). وأنا أتفهّم موقف توما، فهو بكلام آخر يقول: «اسمعني، لا يحدث أنْ يُقيم شخص نفسه من الموت كلّ يوم ويدّعي أنّه الله المتجسّد. فإنْ كنت تتوقّع منّي تصديق ذلك، فأنا بحاجة إلى برهان.» وبعد ثمانية أيّام من تعبير توما عن شكوكه حول يسوع أمام التلاميذ الآخرين، ظهر يسوع فجأة وقال: «سلام لكم.» ثمّ التفت وقال لتوما: «هات إصبعك إلى هنا وأبصر يديّ، وهات يدك وضعها في جنبي، ولا تكن غير مؤمن بل مؤمنًا.» (يوحنا ٢٠: ٢٦–٢٧). قَبِل يسوع اعتراف توما بأنّه الله، ووبّخه على عدم إيمانه لا على عبادته له.

ما رأيك؟
هل تعتبر نفسك مثل مرثا (مؤمنًا كلّ الوقت) أو مثل توما (مشكّكًا) أو مثل نثنائيل (ساخرًا) بالنسبة إلى موقفك من المسيح؟

قد يعترض هنا أحد النقّاد ويقول إنّ كلّ هذه الادّعاءات صادرة من أشخاص عن المسيح وليست من المسيح نفسه، وأنّ هؤلاء الأشخاص الذين عاصروا المسيح أساءوا فهمه كما نفعل نحن اليوم. لقد نسبوا إليه الألوهيّة بينما هو في الواقع لم يزعم أنّه الله.

ولكن حين نغوص في صفحات العهد الجديد، نجد أنّ المسيح قام فعلًا بهذا الادّعاء، والشواهد إلى ذلك وفيرة ومعانيها واضحة. قام أحد رجال الأعمال بدراسة دقيقة للكتاب المقدّس ليتأكّد ما إذا كان المسيح قد قال إنّه الله، فخلُص

إلى النتيجة التالية: «كلّ من يقرأ العهد الجديد ولا يستنتج أنّ المسيح هو الله، فلا بدّ أنّه يُشبه شخصًا يقف خارجًا في العراء في وضح النهار ويقول إنّه لا يرى الشمس.»

نجد في إنجيل يوحنا مواجهة بين يسوع ومجموعة من اليهود. كان سببها شفاء يسوع لرجل كسيحٍ يوم السبت. (كان يُمنع على اليهود أنْ يقوموا بأيّ عمل يوم السبت.) «ولهذا، كان اليهود يطردون يسوع ويطلبون أنْ يقتلوه لأنّه عمل هذا في سبت. فأجابهم يسوع: أبي يعمل حتّى الآن وأنا أعمل. فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أنْ يقتلوه. لأنّه لم ينقض السبت فقط، بل قال أيضًا إنّ الله أبوه، مُعادلًا نفسه بالله.» (يوحنا ٥: ١٦–١٨).

ما رأيك؟
لماذا برأيك غضب القادة اليهود جدًّا من يسوع بعد أنْ شفى يوم السبت؟ هل غضبوا لأنّه فعل هذا في يوم مقدّس أم لسبب آخر؟

قد تعترض وتقول لي: «اسمع يا جوش، لا أفهم كيف يمكن لهذا أنْ يُثبت أيّ شيء. لقد قال المسيح إنّ الله أبوه. فماذا يُثبت هذا الكلام؟ كلّ المسيحيّين يقولون إنّ الله هو أبوهم، ولكن هذا لا يعني إنّهم والله واحد.» فَهِمَ اليهود في زمن المسيح من كلام المسيح أمرًا يسهل علينا اليوم عدم ملاحظته. في كلّ مرّة ندرس فيها وثيقة ما، علينا أنْ نأخذ بعين الاعتبار اللغة والثقافة، وبشكل خاصّ الشخص أو الأشخاص الذين يتوجّه الحديث إليهم في هذه الوثيقة. والنصّ الذي أمامنا هو من ثقافة يهوديّة، والأشخاص الذين يتوجّه الحديث إليهم هم قادة دين يهود. ولا بدّ أنّ أمرًا ما في كلام المسيح قد أغضبهم فعلًا. «فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أنْ يقتلوه، لأنّه لم ينقض السبت فقط، بل قال أيضًا إنّ الله أبوه، مُعادلًا نفسه بالله.» (يوحنا ٥: ١٨) فما الذي قاله لكي يُسبّب ردّة فعل عنيفة كهذه؟ دعونا نلقي نظرة على هذا المقطع لكي نرى كيف فهم اليهود ما قاله يسوع في حضارتهم منذ أكثر من ألفيّ عام.

معضلتهم أنّ يسوع قال: «أبي» ولم يقلْ «أبونا». وبحسب قوانين لغتهم، فإنّ استخدام يسوع لهذه العبارة جعله يدّعي بأنّه مساوٍ لله. لم يكن اليهود يشيرون

قد تعترض وتقول لي: «لقد قال المسيح إنّ الله أبوه. فماذا يُثبت هذا الكلام؟ كلّ المسيحيّين يقولون إنّ الله هو أبوهم، ولكن هذا لا يعني إنّهم والله واحد.»

إلى الله بكلمة «أبي». ولو أرادوا فعل ذلك، لأضافوا إليها عبارة «الذي في السماء.» إلّا أنّ يسوع لم يفعل هذا، بل قال شيئًا عن نفسه لا يُمكن لليهود أنْ يسيئوا فهمه حين أشار إلى الله بقوله: «أبي.»

وحين قال يسوع: «أبي يعمل حتّى الآن وأنا أعمل» كان يساوي عمله بعمل الله. وهنا أيضًا فهم اليهود أنّه كان يدّعي بأنّه ابن الله. نتيجة لكلّ هذا، ازداد حقد اليهود من يسوع. كانوا في الماضي يحاولون مضايقته فقط، أمّا الآن فقد بدأوا يخطّطون لقتله.

لم يدّع يسوع إنّه مساوٍ لله أبيه فحسب، بل أكّد إنّه والله واحد. فقد جاء إليه قادة آخرون من اليهود خلال احتفالات عيد التجديد في أورشليم، وسألوه إنْ كان هو المسيح. أنهى يسوع كلامه إليهم قائلًا: «أنا والآب واحد.» (يوحنا ١٠: ٣٠). «فتناول اليهود أيضًا حجارة ليرجموه. أجابهم يسوع: أعمالًا كثيرة حسنة أريتكم من عند أبي. بسبب أيّ عمل منها ترجمونني؟» (يوحنا ١٠: ٣١-٣٢).

قد يتساءل أحدهم عن سبب ردّ فعل اليهود العنيف هذا لقول يسوع بأنّه هو والآب واحد. والإجابة موجودة في بنية هذه العبارة باللغة اليونانيّة. يقول أ. ت. روبرتسون، عالم اللغة اليونانيّة بأنّ كلمة «واحد» كما استخدمها يسوع هنا «محايدة» ولا تشير إلى «المذكّر»، وبالتالي هي لا تشير إلى وحدة في نفس الشخص أو الهدف، إنّما واحد في «الجوهر والطبيعة.» يضيف روبرتسون قائلًا: «يشكّل هذا التصريح الصعب قمّة ادعاءات يسوع عن العلاقة بين الآب ونفسه (الابن). وقد أثار هذا في الفريسيّين غضبًا عارمًا.» [٢]

من الواضح أنّ اليهود فهموا تمامًا من خلال تصريح يسوع أنّه يدّعي بأنّه الله. ويقول ليون موريس، المدير السابق لكلّيّة ريدلي في ملبورن:

> لا يمكن أنْ يعتبر اليهود كلام يسوع إلّا تجديفًا، لهذا السبب أرادوا أنْ يوقعوا الحكم عليه بأنفسهم. لقد نصّ الناموس أنّ عقاب

> التجديف هو الرجم (لاويين ٢٤: ١٦). لكن هؤلاء الناس لم يصبروا ليطبّقوا إجراءات الناموس. لم يُعدّوا وثيقة اتّهام شرعيّة في حقّه لكي تتمكّن السلطات من اتّخاذ الإجراءات المناسبة، بل في غيظهم كانوا يتحضّرون ليلعبوا دور القاضي والجلّاد. [٣]

ما رأيك؟
أراد اليهود أنْ يرجموا يسوع بتهمة التجديف. هل بدأ ذنبهم لعدم الإيمان به يبكّتهم؟ أم هل كانوا يغارون من شعبيّته؟

هدّد اليهود يسوع بالرجم بتهمة «التجديف»، وهذا دليل واضح وأكيد بأنّهم فهموا أنّه كان يدّعي أنّه الله. ولكن قد نتساءل: هل توقّفوا للنظر فيما إذا كانت ادّعاءاته صحيحة أم لا؟

تحدّث يسوع باستمرار عن نفسه على أنّه واحد في الجوهر والطبيعة مع الله. وقد أكّد بكلّ جهارة: «لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضًا.» (يوحنا ٨: ١٩). «الذي يراني يرى الذي أرسلني.» (يوحنا ١٢: ٤٥). «الذي يُبغضني يُبغض أبي أيضًا.» (يوحنا ١٥: ٢٣). «لكي يُكرم الجميع الابن كما يُكرمون الآب. من لا يُكرم الابن لا يُكرم الآب الذي أرسله.» (يوحنا ٥: ٢٣). تُشير هذه الشواهد بكلّ تأكيد أنّ يسوع كان يعتبر نفسه أكثر من إنسان، فقد ادّعى بأنّه مساوٍ لله. والذين يقولون إنّ يسوع كان قريبًا من الله ويتمتّع بعلاقة حميمة معه أكثر من غيره، فعليهم أنْ يتأمّلوا بتصريحه هذا: «لكي يُكرم الجميع الابن كما يُكرمون الآب. من لا يُكرم الابن لا يُكرم الآب الذي أرسله.»

يجب على الذين يقولون إنّ يسوع كان أقرب إلى الله من الآخرين أنْ يفكّروا بتصريحه هذا: «من لا يُكرم الابن، لا يُكرم الآب الذي أرسله.»

بينما كنت ألقي محاضرة في صفّ اللغة والآداب في جامعة في غرب فرجينيا، قاطعني أحد الأساتذة قائلًا إنّ الإنجيل الوحيد الذي نجد فيه أنّ المسيح ادّعى بأنّه الله هو إنجيل يوحنا. يبدو لي بكلّ بساطة أنّ هذا الرجل لم يقرأ إنجيل مرقس بانتباه.

وللإجابة على تعليقه، فتحت إنجيل مرقس إلى المقطع الذي ادّعى فيه يسوع أنّه قادر على مغفرة الخطايا. «فلمّا رأى يسوع إيمانهم، قال للمفلوج: يا بني، مغفورة لك خطاياك.» (مرقس ٢: ٥؛ انظر أيضًا لوقا ٧: ٤٨–٥٠). وبحسب اللاهوت اليهوديّ، الله وحده القادر أنْ يتلفّظ بهذا الكلام؛ ففي إشعياء ٤٣: ٢٥ نقرأ بأنّ غفران الخطايا أمر يمتاز به الله وحده. وحين سمع الكتبة يسوع يغفر خطايا هذا الرجل تساءلوا قائلين: «لماذا يتكلّم هذا هكذا بتجاديف؟ من يقدر أنْ يغفر خطايا إلّا الله وحده.» (مرقس ٢: ٧)؟ فسألهم يسوع: «أيّما أيسر أنْ يُقال للمفلوج مغفورة لك خطاياك، أم أنْ يُقال قُم واحمل سريرك وامشِ.»

يقول ويكلف في كتابه التفسيريّ للكتاب المقدّس:

> إنّه سؤال لا يُمكن الإجابة عنه. فالخياران اللذان قدّمهما يسوع متساويان في بساطتهما، ولكنّ اختيار أحدهما ومرافقته بمُعجزة يتطلّب قوّة إلهيّة. أمّا المُحتال، ولكي لا يُكتشف احتياله، فسيجد الخيار الأوّل أسهل من الثاني. تابع يسوع وشفى الرجل من مرضه لكي يعلم الآخرون أنّ له سلطانًا لمعالجة سبب المرض.[٤]

هنا اتّهمه القادة الدينيّون بالتجديف. يقول لويس سبيري شافر، مؤسّس معهد دالاس اللاهوتي وأوّل رئيس له التالي:

> ليس لأحد على الأرض السلطان أو الحقّ بأنْ يغفر الخطايا. لا أحد يقدر أنْ يغفر الخطايا إلّا الذي ارتُكبت هذه الخطايا بحقّه. وحين غفر يسوع خطيّة المفلوج، لم يكن يمارس امتيازًا بشريًّا. وبما أنّه لا يقدر أحد أنْ يغفر الخطايا إلّا الله وحده، فالمسيح أظهر بشكل قاطع أنّه بغفرانه للخطايا هو الله.[٥]

لقد أزعجني مفهوم غفران الخطايا لفترة لأنّي لم أفهمه. ذات يوم، كنت أجيب عن سؤال يتعلّق بألوهيّة المسيح خلال محاضرة فلسفيّة واقتبست

من مرقس ٢: ٥. فجأة قام أحدهم وتحدّى استنتاجي بأنّ غفران المسيح للخطايا يُثبت ألوهيّته. قال لي إنّه هو أيضًا يغفر للناس ولا يجعل منه هذا الأمر إلهًا، وبأنّ كلّ الناس تفعل هذا كلّ الوقت. وبينما كنت أفكّر بما قاله لي، أتتني الإجابة كالصاعقة، وأصبحت أعرف الآن لماذا كانت ردّة فعل القادة الدينيّين عنيفة ضدّ المسيح. نعم، يُمكن لأحدهم أنْ يقول: «أنا أغفر لك» للشخص الذي أساء إليه. إنْ أخطأت إليّ، يحقّ لي أنْ أغفر لك، ولكن إنْ أخطأت إلى شخص آخر غيري، أفقد هذا الحقّ. والرجل المفلوج لم يخطئ إلى يسوع الإنسان، فهما لم يلتقيا من قبل. أخطأ المفلوج إلى الله وتقدّم منه يسوع وقال له بسلطانه الخاصّ: «مغفورة لك خطاياك.» نعم، نستطيع أنْ نغفر الخطايا المُرتكبة بحقّنا، ولكن لا يقدر أحد أنْ يغفر خطايا مُرتكبة ضدّ الله إلّا الله نفسه، وهذا ما ادّعى يسوع القيام به.

ما رأيك؟
لماذا برأيك قال يسوع للمفلوج: «مغفورة لك خطاياك» بدل أنْ يقول له: «قُم وامشِ»؟

ما رأيك؟
هل توافق بأنّه لا يقدر أحد أنْ يغفر خطايا ارتُكبت ضدّ الله إلّا الله نفسه؟

لا عجب أنْ يُبدي اليهود ردّ فعلٍ عنيف تجاه نجّار من الناصرة قام بتصريح جريء مثل هذا. إصراره هذا بأنّه قادر على غفران الخطايا هو أمر مُدهش يمتاز به الله وحده.

ادّعى يسوع خلال محاكمته أنّه ابن الله (انظر مرقس ١٤: ٦٠–٦٤). تحتوي محاضر تلك المحاكمات على شواهد واضحة بادّعاء يسوع الألوهيّة. «فقام رئيس الكهنة في الوسط وسأل يسوع قائلًا: أما تُجيب بشيء؟ ماذا يشهد به هؤلاء عليك؟ أمّا هو فكان ساكتًا ولم يُجب بشيء. فسأله رئيس الكهنة أيضًا وقال له: أأنت المسيح ابن المُبارك؟ قال يسوع: أنا هو.

نستطيع أنْ نغفر الخطايا المُرتكبة بحقّنا، ولكن لا يقدر أحد أنْ يغفر خطايا مُرتكبة ضدّ الله إلّا الله نفسه، وهذا ما ادّعى يسوع القيام به.

وسوف تُبصرون ابن الإنسان جالسًا عن يمين القوّة وآتيًا في سحاب السماء.» (مرقس ١٤: ٦٠-٦٢).

رفض يسوع الإجابة في البداية، فوضعه رئيس الكهنة تحت قَسَم، لهذا اضطرّ يسوع أنْ يجيب (وأنا سعيد جدًّا بذلك). وحين سُئل: «أأنت المسيح ابن المبارك؟» أجاب قائلًا: «أنا هو.»

ثمّ أضاف يسوع وقال: «وسوف تُبصرون ابن الإنسان آتيًا في سحاب السماء»، وكانت هذه إشارة منه إلى ما ورد في دانيال ٧: ١٣-١٤

> «كنت أرى في رؤى الليل، وإذا مع سحب السماء مِثْل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيّام فقرّبوه قدّامه. فأُعطي سلطانًا ومجدًا وملكوتًا لتتعبّد له كلّ الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبديّ ما لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض.»

على الرغم من سوء فهم عبارة «ابن الإنسان»، إلّا أنّها لا تُشير إلى إنسانيّة يسوع، بل إلى ألوهيّته. حين أشار يسوع إلى نفسه بأنّه «ابن الإنسان» كان يُشير إلى ألوهيّته. يشرح روب بومن وأد كوموزوسكي في كتابهما Putting Jesus in His Place، كيف كان كلام المسيح هذا إشارة إلى رؤية دانيال:

> في رؤية دانيال، أُعطي «مثل ابن الإنسان» سلطان الدينونة وملكوته لا ينقرض. لا نجد في هذه الشخصيّة أيّ ضعف أو اعتماد على آخر. وصفُ هذا الشخص الآتي مع سحب السماء يعطيه صفة إلهيّة، لأنّ صورة المجيء مع سحب السماء في العهد القديم تُستخدم بشكل حصريّ مع الله.[٦]

وهكذا، حين أشار يسوع إلى دانيال ٧: ١٣، كان بذلك يدّعي الألوهيّة، وبأنّه شخص سماويّ سيجلس عن يمين الله وسلطانه سلطان أبديّ. ولا عجب أنّ السلطة اليهوديّة استاءت منه جدًّا، فقد ارتكب المسيح تجديفًا حين ادّعى أنّه الله! من الواضح جدًّا أنّه كان ليسوع وعي ذاتيّ بألوهيّته.

بعد تحليل لشهادة المسيح يظهر أنّه ادّعى بأنّه (١) ابن الله المبارك؛ (٢) سيجلس عن يمين العظمة؛ (٣) ابن الإنسان الذي سيأتي على سحب السماء. كلّ واحدة من هذه التأكيدات هي بامتياز تأكيدات بأنّه المسيّا المُنتظَر، واجتماعها معًا إشارة إلى أهمّيّتها. لقد أدرك السنهدريم، أي أعضاء المحكمة اليهوديّة، النقاط الثلاث، فكانت ردّة فعل رئيس الكهنة تمزيق ثيابه وقال: «ما حاجتنا بعد إلى شهود؟» (مرقس ١٤: ٦٣)، فقد سمعوا مزاعمه من فمه، وبإجابته هذه أدان نفسه بنفسه.

يوضح روبرت أندرسون الذي كان مُحقّقًا جنائيًّا في محكمة أسكوتلندا التالي:

> لا يوجد برهان تثبيتيّ أكثر إقناعًا من شهادة يقدّمها عدوّ المتّهم. وحقيقة ادّعاء الربّ بالألوهيّة ثابتة بكلّ تأكيد بسبب ما فعله أعداؤه. علينا أنْ نتذكّر أنّ اليهود لم يكونوا قبيلة من المتوحّشين الجهلة، إنّما كانوا شعبًا عالي الثقافة ومتديّنون بشدّة. وبناء على هذه التهمة نفسها، حُكم عليه بالإجماع في السنهدريم بموته. وقد كان هذا المجلس الوطني يتألّف من أبرز القادة الدينيّين أمثال غمالائيل الفيلسوف اليهوديّ العظيم من القرن الأوّل وتلميذه الذائع الصيت، شاول الطرسوسي.[٧]

من الواضح إذًا أنّ هذه هي الشهادة التي أراد يسوع أنْ يقدّمها عن نفسه. ونرى بأنّ اليهود فهموا من إجابته بأنّه يدّعي الألوهيّة. كانوا أمام خيارَين: إمّا أنْ تكون تصريحاته تجديفًا صارخًا، وإمّا أنْ يكون فعلًا هو الله. كان الأمر واضحًا بالنسبة إلى القضاة. كان واضحًا جدًّا لدرجة أنّهم قرّروا صلبه وبدأوا بعد ذلك يسخرون منه قائلين: «قد اتّكل على الله... لأنّه قال أنا ابن الله.» (متى٢٧: ٤٣)

ما رأيك؟
ألا تعتقد أنّ ردّ فعل القادة اليهود على ادّعاءات يسوع كان دعمًا لها؟ لو كنت قائدًا يهوديًّا، كيف كنت ستتصرّف؟

يشرح هـ. ب. سويتي أستاذ مادّة علم اللاهوت في جامعة كامبردج أهمّيّة ومعنى تمزيق رئيس الكهنة رداءه بقوله:

> كان الناموس يحرّم على رئيس الكهنة تمزيق ردائه أو شقّه خلال مشكلة شخصيّة (لاويين ١٠: ٦؛ ٢١: ١٠)، ولكنْ حين يأخذ دور القاضي، كانت الأعراف والعادات تُملي عليه أنْ يعبّر بهذه الطريقة عن استهجانه الشديد لأيّ تجديف يُنطق في حضوره. وقد أدّى ذلك إلى ارتياح القاضي الذي كان في وضع حرج. فلو لم يُقدّم برهانًا ملموسًا، لأصبح من الضروريّ ردّ التهمة: لكنّ السجين المُتّهم بين يديه كان قد جرّم نفسه بنفسه.[٨]

وهكذا نلاحظ أنّ هذه المحاكمة لم تكن محاكمة اعتياديّة، كما يُشير المحامي أروين لينتون قائلًا:

> كانت هذه المحاكمة فريدة من نوعها في محاكمات المجرمين. حيث أنّ التهمة ليست أمرًا ارتكبه الجاني، إنّما التهمة هي في هويّته. إنّ التهمة الجنائيّة ضدّ المسيح كانت اعترافه أو شهادته، أو بالحريّ تصرّفًا قام به أمام المحكمة أدين بسببه. والتحقيق الذي قام به الحاكم الرومانيّ ولوحة الاتّهام التي عُلّقت على الصليب أثناء تنفيذ الحكم كلّها كانت مرتبطة بهذا السؤال عن هويّة المسيح الحقيقيّة وكرامته: «ماذا تظنّون في المسيح؟ ابن مَن هو؟»[٩]

يقول قاضي المحكمة العليا في نيويورك، القاضي وليام جاي غاينور في خطاب ألقاه حول محاكمة يسوع بأنّ التهمة الوحيدة التي أُدين بها أمام السنهدريم هي التجديف. وبالإشارة إلى يوحنا ١٠: ٣٣، يقول القاضي: «من الواضح من روايات الأناجيل الأربعة أنّ الجريمة التي حوكم يسوع من أجلها وأدين بها هي التجديف... فقد كان يدّعي امتلاكه قوى خارقة، الأمر الذي يُعتبر تجديفًا إنْ كان موجودًا في إنسان.»[١٠]

في أغلب المحاكمات يُحاكم المتّهم على جرم ارتكبه، ولكن هذا الأمر لا ينطبق على محاكمة المسيح، فقد حوكم بسبب ادّعاء ادّعاه عن نفسه.

يجب أنْ تكون محاكمة يسوع دليلًا مُقنعًا بأنّه اعترف بألوهيّته، فقُضاته يشهدون لذلك. بالإضافة إلى هذا، أقرّ أعداؤه يوم صلب المسيح أنّه زعم بأنّه الله الذي أتى في الجسد.

وكذلك رؤساء الكهنة استهزأوا به مع الكتبة والشيوخ قائلين: «خلَّص آخرين، وأمّا نفسه فما يقدر أنْ يخلِّصها. إنْ كان هو ملك إسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به. قد اتّكل على الله، فليُنقذه الآن إنْ أراده، لأنّه قال: أنا ابن الله.» (متّى ٢٧: ٤١-٤٣)

في أغلب المحاكمات يُحاكم المتّهم على جرم ارتكبه، ولكن هذا الأمر لا ينطبق على محاكمة المسيح، فقد حوكم بسبب ادّعاء ادّعاه عن نفسه.

الفصل الثالث

هو ربّ أم منافق أم مختلّ؟

إنْ بحثت عن اسم يسوع اليوم في موقع البحث غوغل، ستحصل على حوالي ١٨١ مليون موقعًا يتكلّم عنه. وإنْ بحثت في موقع أمازون عن اسم يسوع، فستجد أنّه يحتوي على حوالي ٢٦١,٤٧٤ كتابًا عن يسوع. مع تنوّع الآراء التنافسيّة، هل يبقى لدينا الثقة بشخصيّة يسوع التاريخيّة؟ كثيرون لا يعتبرون أنّ يسوع هو الله، بل هو رجل صالح ذو أخلاق عالية، أو نبيّ حكيم نطق بحقائق عميقة. غالبًا ما يصل علماء اللاهوت إلى هذه الخلاصة كونها الخلاصة الأفضل لعمليّة تحليل عقلانيّة. كثيرون يهزّون برؤوسهم موافقين، ولا يُزعجون أنفسهم بالنظر في هذه المغالطة المنطقيّة.

لقد ادّعى يسوع أنّه الله، وبالنسبة إليه كان من المهمّ جدًّا أنْ يؤمن الرجال والنساء بهذه الهويّة. فإمّا أنْ نؤمن به أو لا، لأنّه لم يترك لنا خيارًا أو بدائل وسطيّة. إنْ ادّعى شخص ما ادّعاه يسوع عن نفسه، فلن يكون رجلًا أخلاقيًّا أو نبيًّا، لأنّ هذا الاحتمال غير متاح أمامنا ولم يقصد يسوع أنْ يكون الأمر هكذا.

فهم سي. أس. لويس هذا الموضوع بشكل واضح، وهو أستاذ جامعيّ سابق في جامعة كامبريدج وكان سابقًا من أتباع الفلسفة اللاأدريّة (وهي فلسفة تقول إنّ وجود الله وطبيعته وأصل الكون، هي أمور لا يستطيع الإنسان أنْ يعرفها). كتب يقول: «إنّي أحاول أنْ أمنع أيّ شخص من ترداد ذلك القول الغبيّ عن يسوع الذي يقول: «أنا مستعدّ أنْ أقبل يسوع كمعلّم أخلاقيّ عظيم، ولكنّي غير مستعدّ أنْ أقبل ادّعاءه بأنّه هو الله.» هذا هو الأمر الوحيد الذي يجب ألّا نقوله، لأنّ الرجل الذي قال ما قاله يسوع لا يمكن أنْ يكون مجرّد معلّم أخلاقيّ عظيم. فإمّا أنْ يكونَ مُختلًّا، أو يكون الشيطان الرجيم. عليك أنْ تختار: إمّا أنْ يكون هذا الرجل ابن الله، أو هو إنسان مُختلٌّ عقليًّا أو أسوأ من ذلك.»
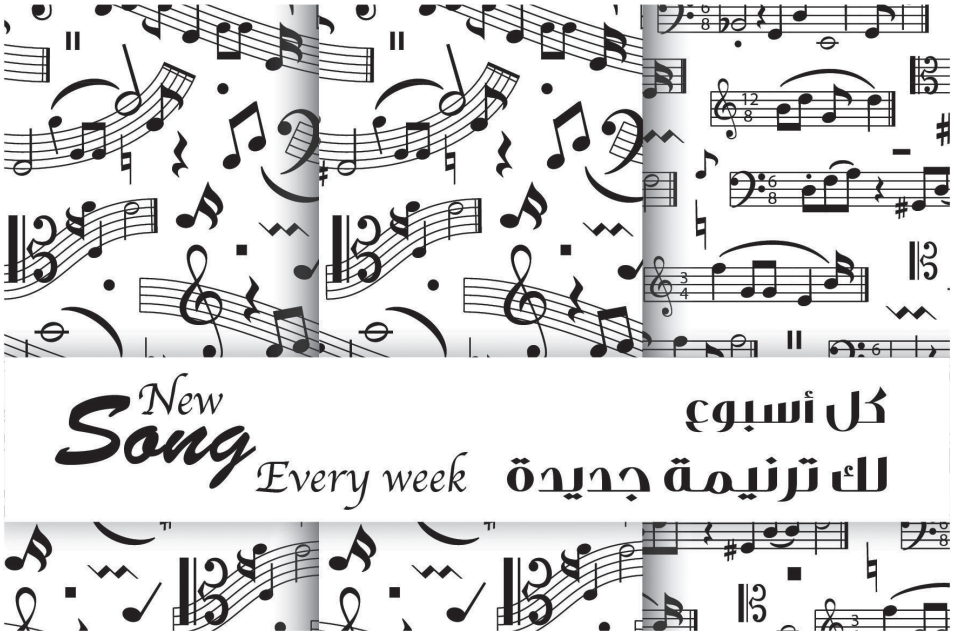
* حمّل التطبيق Agapear واستخدم الكاميرا الخاصّة به.
* وجّه الكاميرا نحو الصورة لتشاهد الفيديو.
* يتطلّب التطبيق أنْ يكون هاتفك متّصلًا بشبكة الإنترنت.

Available on the App Store
GET IT ON Google Play

ثمّ يضيف لويس قائلًا:

> يُمكنك أنْ تصنّفه كرجل أحمق، أو أنْ تبصق في وجهه وتقتله كشيطان، أو أنْ تسقط عند قدميه وتدعوه ربًّا وإلهًا. دعونا نبتعد عن المقولة الغبيّة بأنّه كان مجرّد معلِّم عظيم، فهو لم يترك أمامنا هذا الخيار ولم يقصد أنْ يتركه أمامنا.[١]

أمّا البروفيسور ف. ج. أ. هورت من جامعة كامبريدج والذي أمضى ثمانية وعشرين عامًا في دراسة نقديّة لنصوص العهد الجديد، فقد كتب التالي:

> لقد كانت كلماته (أي كلمات المسيح) بكامل أجزائها عن نفسه، ولا يُمكن تأويلها كتصريحات مجرّدة عن الحقيقة صادرة عنه كنبيّ أو وسيط روحيّ. إنْ حذفت شخص المسيح ولم تعتبر أنّه الموضوع الرئيسيّ لتصريحاته، فستسقط كلّ تصريحاته وتُصبح بلا معنى.[٢]

ويقول كينيث سكوت لاتوريت مؤرّخ المسيحيّة في جامعة يال:

> ليست تعاليم المسيح التي تجعل منه شخصًا مميّزًا، مع أنّها قادرة وحدها أنْ تميّزه عن الآخرين. بل ما يميّزه هو مزيج من تعاليمه وشخصه، إذ لا يمكن فصلهما.

ثمّ يصل لاتوريت إلى هذه الخلاصة:

> من الواضح لأيّ قارئ مُفكّر بالإنجيل أنّ يسوع اعتبر أنّه لا يمكن الفصل بينه وبين رسالته. كان معلِّمًا عظيمًا، ولكنّه كان أكثر من ذلك. كانت تعاليمه عن ملكوت الله والسلوك البشريّ والله تعاليمًا بغاية الأهمّيّة، لكن يستحيل فصلها عنه وإلّا ستُصبح، بحسب رأيه، بلا معنى.[٣]

ادّعى يسوع أنّه الله. ادّعاؤه هذا إمّا أنْ يكون صحيحًا أو خاطئًا، وعلى الجميع أنْ يفكّروا جدّيًّا به كما توقّع المسيح من تلاميذه حين سألهم: «من تقولون إنّي أنا؟» (متّى ١٦: ١٥). ولهذا السؤال عدّة إجابات مُحتملة.

دعونا نبتعد عن المقولة الغبيّة بأنّه كان مجرّد معلِّم عظيم، فهو لم يترك أمامنا هذا الخيار ولم يقصد أنْ يتركه أمامنا.

أوّلًا، لنفترض أنّ ادّعاءه بأنّه هو الله هو ادّعاء خاطئ. وإنْ كان خاطئًا فعلًا، فنحن أمام خيارين لا ثالث لهما: فإمّا أنّه يعلم أنّ ادعاءه خاطئ، وإمّا أنّه لا يعرف ذلك. سوف نتأمّل بالاحتمالين بشكل منفصل ونتفحّص الأدلّة والبراهين الخاصّة بكلّ واحد منهما.

هل كان يسوع كاذبًا؟

لو كان يسوع يعلم حين قام بهذا الادّعاء بأنّه ليس الله، فإنّه كان يكذب متعمّدًا خداع أتباعه. ولكن، لو كان يكذب، لكان أيضًا منافقًا، لأنّه كان يعلّم الآخرين أنْ يكونوا صادقين مهما كان الثمن.

ما رأيك؟

لماذا لا تقدر أنْ تقول إنّ يسوع كان مجرّد معلّم أخلاقيّ صالح؟ هل تستطيع أنْ تفكّر ببعض «الأخلاق الجيّدة» المعيّنة التي علّمها لأتباعه وما تزال منطقيّة حتى يومنا هذا؟

والأسوأ من هذا، لو كان يكذب، لكان أيضًا شيطانًا، لأنّه طلب من الآخرين أنْ يضعوا مصيرهم الأبديّ بين يديه. لو لم يكن قادرًا أنْ يدعم ادّعاءه وكان يعلم ذلك، لكان شرّيرًا لا يمكن وصفه لأنّه خدع أتباعه بأمل مُزيّف. وأخيرًا، لكان أيضًا أحمقَ لأنّ ادعاءه بأنّه الله قاده إلى الصليب، في الوقت الذي كان بإمكانه أنْ يتراجع في اللحظة الأخيرة عن ادّعائه هذا ليُنقذ نفسه.

يُدهشني حين أسمع أشخاصًا كثيرين يقولون إنّ يسوع كان مجرّد معلِّم أخلاقيّ صالح. فلنكن واقعيّين: كيف يُمكنه أنْ يكون معلِّمًا أخلاقيًّا عظيمًا، وفي الوقت نفسه يضلّل الناس في أهمّ نقطة من تعاليمه، أي في أمر هويّته؟

إنّ الاستنتاج بأنّ يسوع تعمّد الكذب لا يتماشى مع ما نعرفه عنه أو عن حياته وتعاليمه. فحيثما كُرز بيسوع، نرى حياة الناس تتغيّر نحو الأفضل، والأمم تتغيّر نحو الأفضل، واللصوص يُصبحون مستقيمين، والمدمنون على الكحول يصحَون، والذين يكرهون الآخرين يُصبحون محبّين لهم، والظالمون يُصبحون عادلين.

وليام ليكي، أحد أشهر مؤرّخي بريطانيا العظمى وأحد أشرس خصوم المسيحيّة المنظّمة، بعد أنْ رأى تأثير المسيحيّة الحقيقيّة على العالم، كتب يقول:

> لقد تميّزت المسيحيّة بأنْ قدّمت للعالم شخصيّة مثاليّة ألهمت قلوب الناس بمحبّة مُلتهبة على الرغم من كلّ التغييرات التي حصلت على مدى الثمانية عشر قرنًا الماضية، وأظهرت قدرتها على التعامل مع كلّ العصور والأمم والأمزجة والظروف، ولم تكن أفضل نمط للفضيلة فحسب، ولكنّها كانت أيضًا أقوى حافز لممارستها... إنّ السجلّ البسيط للسنوات الثلاث القصيرة من حياة يسوع الناشطة، ساهم في تجديد الجنس البشريّ وتهذيبه أكثر من كلّ بحوث الفلاسفة وكل نصائح علماء الأخلاق.[٤]

ويقول المؤرّخ فيليب شاف:

> إنْ لم تكن هذه الشهادة (بأنّ يسوع هو الله) صحيحة، فلا بدّ أنْ تكون تجديفًا صارخًا أو جنونًا... الخداع الذاتي في أمر بغاية الأهمّيّة كهذا، لشخص يمتلك عقلًا واعيًا وحكيمًا على كلّ المقاييس، هو أمر غير مطروح إطلاقًا. كيف يُعقل أنْ يكون شخصًا مُتحمّسًا أو مجنونًا، وفي الوقت نفسه لا نراه أبدًا يفقد توازنه العقليّ، بل كان ينتصر على كلّ أنواع المشاكل والاضطهادات، ويُعطي أذكى الإجابات على أسئلة ماكرة، وهو الذي تنبّأ بموته على الصليب وقيامته في اليوم الثالث وانسكاب الروح القدس وتأسيس الكنيسة وخراب أورشليم، علْمًا أنّ كلّ هذه التنبؤات تمّت حرفيًّا كما قال؟

> هذه الشخصيّة الأصيلة والكاملة والثابتة في مواقفها والبشريّة بكلّ ما للكلمة من معنى، لا يُمكن أنْ تكون شخصيّة مزيّفة أو خياليّة. يحتاج الأمر إلى شخص أعظم من يسوع لكي يبتكر شخصيّته.[٥]

يُعطي شاف في مكان آخر حجّة مقنعة ضدّ القول بأنّ المسيح كاذب:

> كيف يُعقل باسم المنطق والعقل والخير أنْ يبتكر مُخادع أنانيّ مجرّد من الأخلاق ويحافظ على أنقى وأنبل شخصيّة عرفها التاريخ في جوّ كامل من الحقيقة والواقع منذ بدايتها حتّى نهايتها؟ كيف أمكنه أنْ يبتكر وينفّذ بنجاح خطّة مفيدة فريدة من نوعها، خطّة أخلاقيّة بامتياز، وأنْ يضحّي بحياته من أجلها في وجه أقصى حملات الظلم والحقد من شعبه وأبناء عصره؟[٦]

لو أراد يسوع أنْ يتبعه الناس ويؤمنوا به كالله، فلماذا ذهب إلى الأمّة اليهوديّة؟ لماذا يذهب إليهم كنجّار من بلدة غير معروفة في بلد صغير بمساحته وعدد سكّانه؟ لماذا يأتي إلى بلد شعبه يؤمن بالله الواحد؟ لماذا لم يذهب إلى مصر؟ أو إلى اليونان؟ حيث كانوا يؤمنون بتعدّد الآلهة وبظهوراتها المختلفة؟

لا يمكن لشخص عاش كما عاش يسوع، وعلّم كما علّم يسوع، ومات كما مات يسوع أنْ يكون كاذبًا. فلنبحث في خيارات أخرى.

هل كان يسوع مُختلًّا؟

إنْ كان من غير المعقول أنْ يكون يسوع كاذبًا، ألا يُمكن أنْ يكون قد اعتقد على نحو خاطئ بأنّه الله؟ لأنّه من الممكن أنْ يكون الإنسان صادقًا ومُخطئًا في الوقت نفسه. لكنْ علينا أنْ نتذكّر أنّه لكي يكون الإنسان مُخطئًا في الظنّ بنفسه أنّه الله، وخاصّة في حضارة تؤمن بشدّة بالإله الواحد، وأنْ يُخبر الآخرين أنّ مصيرهم الأبديّ يعتمد على الإيمان به، فإنّ هذا ليس مجرّد شطحة صغيرة من شطحات الخيال، إنّما يجب أنْ يكون هذا الشخص متوهّمًا ومُختلًّا إلى أبعد الحدود. هل من الممكن أنْ يكون يسوع المسيح مضطربَ العقل؟

ما رأيك؟
لماذا برأيك أتى يسوع برسالته إلى الشعب اليهوديّ؟ هل تعتقد أنّ كونه نجّارًا قبل البدء بخدمته ساعده بطريقة ما؟

اليوم، إنْ التقينا بشخص يعتقد نفسه بأنّه الله، فسنعامله بالطريقة نفسها التي نعامل فيها شخصًا يظنّ نفسه بأنّه نابليون. سنقول عنه إنّه مخدوع ويُضلّ نفسه، وسنحتجزه لكيلا يؤذي نفسه أو الآخرين. ولكن بالنسبة إلى يسوع، نحن لا نلاحظ فيه تصرّفات شاذّة أو غير متّزنة والتي ترافق شخصًا مختلًّا. لو كان فعلًا شخصًا مختلًّا، فسيكون الاتّزان ورباطة الجأش اللذان أظهرهما أمرًا مُدهشًا حقًّا.

في كتابَيهما Modern Clinical Psychiatry يصف عالِما النفس آرثر نويز ولورانس كولب الشخص المصاب بانفصام الشخصيّة كشخص يعاني من التوحّد أكثر منه شخصًا واقعيًّا. يرغب الشخص المصاب بانفصام في الشخصيّة أنْ يهرب من عالم الواقع. لنكن واقعيّين، إنّ ادّعاء إنسان عاديّ بأنّه الله هو فعلًا هروب من الواقع.

على ضوء أمور أخرى نعرفها عن يسوع، من الصعب أنْ نتخيّل أنّه كان مختلّ العقل. فنحن أمام رجل نطق بأعمق الأقوال المدوَّنة في التاريخ. تعاليمه حرّرت كثيرين من قيود ذهنيّة. يطرح كلارك هـ. بينوك البروفيسور الفخريّ لمادّة علم اللاهوت النظاميّ في معهد ماكماستر السؤال التالي: «هل كان مصابًا بجنون العظمة، هل كان يُضلّ الآخرين عن غير قصد؟ هل كان فصاميًّا؟ ما مهارته وعمق تعاليمه إلّا دليل على صحّة عقل كامل. يا ليتنا كنّا عاقلين كما هو!»[٧] أخبرني أحد الطلّاب في جامعة كاليفورنيا أنّ أستاذ مادّة علم النفس قال في إحدى محاضراته: «كلّ ما كان بحاجة إليه هو أنْ يفتح الكتاب المقدّس ويقرأ أجزاء من تعاليم يسوع على مسامع كثيرين من مرضاه، وهذا كلّ ما كانوا بحاجة إليه خلال جلسات الإرشاد النفسي.»

ما رأيك؟
هل لاحظت شيئًا في تصرّفات يسوع (غير ادّعائه الألوهيّة) يدلّ على اضطراب عقليّ؟ لو كنت تعيش في عصره، هل ستودّ سماعه يتكلّم؟

يشرح عالِم النفس غاري ر. كولينز أنّ يسوع:

> كان مُحبًّا لكنّه لم يسمح لعاطفته أنْ تشلّ حركته. لم يكنْ متكبّرًا مع أنّه غالبًا ما كان مُحاطًا بالجموع المُحبّة له. حافظ على توازن، على الرغم من نمط حياته المُنشغل. كان مُدركًا كلّ الوقت لما يفعل وإلى أين هو ذاهب. اهتمّ بالناس بشدّة بمن فيهم النساء والأولاد الذين كانوا قليلي الشأن في ذلك العصر. كان مستعدًّا أنْ يقبلَ الناس ويغضّ الطرف عن خطاياهم. التقى بالناس حيث هم موجودون وسدّ احتياجاتهم الفريدة. لهذا السبب، لا أقدر أنْ أرى إشارات تدلّ إلى أنّ يسوع كان مُصابًا بأيّ مرض عقليّ معروف... كان أعقل من أيّ شخص أعرفه بمن فيهم أنا نفسي![٨]

يقول عالم النفس ج. ت. فيشر إنّ تعاليم يسوع كانت عميقة. ويضيف قائلًا:

> لو قُدّر لك أنْ تأخذ كلّ المقالات الموثوقة المُعتمدة التي كتبها أكثر علماء وأطبّاء النفس كفاءة عن موضوع الصحّة العقليّة، ولو قُدّر لك أنْ تجمعها وتنقّحها وحذفت منها الحشو الزائد، ولو قُدّر لك أنْ تأخذ مقتطفات المعرفة العلميّة المحضة التي عبّر عنها أقدر الشعراء المعاصرين الأحياء، لحصلت على تلخيص غير كامل للعظة على الجبل، ولو قمنا بمقارنتها مع العظة على الجبل لفشلت فشلًا ذريعًا. لقد حمل المسيحيّون بين أيديهم قرابة ألفي عام الحلّ الكامل والإجابة الشافية لأشواق البشريّة العقيمة. وهنا... نجد مُخطّط الحياة البشريّة الناجحة الممزوجة بالتفاؤل والصحّة العقليّة والاكتفاء.[٩]

لكي يدّعي رجل عادي بأنّه الله فما هذا إلّا ابتعاد عن الواقع بكلّ تأكيد.

يقول سي. أس. لويس:

> هنالك صعوبة تاريخيّة كبيرة في إعطاء أيّ تفسير أيسر وأسهل من التفسير المسيحيّ لحياة يسوع وتعاليمه وتأثيره. فالفرق بين عمق تعاليمه الأخلاقيّة ودلالتها على الصحّة العقليّة وبين جنون العظمة، الذي لا بدّ أنّه يكمن خلف تعاليمه اللاهوتيّة، لا يمكن تفسيره تفسيرًا مقنعًا إلّا إذا كان هو الله بالفعل. وهكذا نجد أنّ الفرضيّات والنظريّات غير المسيحيّة تنمّ عن قلق وارتباك كبيرَين.[١٠]

يقول فيليب شاف:

> هل يُمكن أنْ تكون مثل هذه العقليّة الصافية صفاء السماء، والمنشّطة كهواء الجبل العليل، الحادّة والخارقة كالسيف، والتي تتّسم بالصحّة والحيويّة، والمستعدّة والمتأهّبة والمتّزنة دائمًا، عرضة لخداع جذريّ وخطير للغاية فيما يتعلّق بهويّتها ومهمّتها؟ إنّ هذا الخيال مناف للطبيعة والعقل![١١]

هل كان يسوع هو الربّ؟

لا أستطيع شخصيًّا أنْ أستنتج بأنّ يسوع كان كاذبًا أو مختلًّا. البديل الوحيد هو أنّ المسيح كان ابن الله كما زعم. ولكن، على الرغم من كلّ هذا المنطق والبراهين المقدّمة، يبدو أنّ كثيرين لا يقدرون أنْ يصلوا إلى هذا الاستنتاج نفسه.

يدّعي المؤلّف دان براون في كتابه «دا فينشي كود» التالي: حين أقرّ قسطنطين رسميًّا أنّ يسوع هو ابن الله، حوّله بذلك إلى إله موجود خارج إطار العالم البشريّ ويتمتّع بقوى خارقة.» [١٢] ما يريده براون هو أنْ يؤمن الناس بأنّ ألوهيّة المسيح ابتُكرت في مجلس نيقيا. مع أنّه تمّ مناقشة هذا الأمر على الصعيد الشعبيّ، إلّا أنّ هذه «الحقيقة» رفضها أكثر من ٩٩,٩٩٪ من علماء الكتاب المقدّس الذين يدرسون الوثائق التاريخيّة، وإليكم السبب.

يقدّم لنا العهد الجديد أولى البراهين عن الإيمان بألوهيّة المسيح (انظر الفصل الثاني). وبما أنّ هذه الوثائق كُتبت في القرن الأوّل بعد عقود من الأحداث التي كانت محيطة بالمسيح، فهي تسبق مجمع نيقيا أكثر من قرنين. ومع أنّ أشخاصًا مختلفين كتبوها لأهداف مختلفة، إلّا أنّهم كانوا بلا شكّ متّفقين على موضوع واحد ألا وهو أنّ المسيح هو الله.

يوفّر لنا الآباء الذين كانوا معارضين مجمع نيقيا دعمًا إضافيًّا بأنّ يسوع هو الله قبل مجمع نيقيا بكثير. كان الآباء المعارضين لمجمع نيقيا من المفكّرين المسيحيّين الأوائل الذين عاصروا أحداث فترة العهد الجديد (١٠٠ ب. م.) أيْ قبل مجمع نيقيا (٣٢٥ ب. م.) كان من بين هؤلاء الآباء رجال أمثال الشهيد يوستينيوس وأغناطيوس وايرينايوس. وممّا لا شكّ فيه أنّهم أدركوا بأنّ يسوع كان إلهًا. تأمّل ببعض الاقتباسات المأخوذة من مؤلّفاتهم القديمة:

ما رأيك؟
لماذا برأيك يرى كثيرون من علماء النفس يسوع كمثال عن الصحّة؟ لماذا كان يسوع مكتفيًا وراضيًا عن نفسه؟

أغناطيوس الأنطاكي (١١٠ ب. م.): «الله المتجسّد... الله نفسه ظهر بشكل إنسان.»[١٣]

الشهيد يوستينيوس (١٠٠–١٦٥ ب. م.): «... كلمة الله المولود، هو الله.»[١٤]

إرينايوس (١٧٧ ب. م.): «... الآب هو الله والابن هو الله؛ لأنّ المولود من الله هو الله.»[١٥]

ميليتس أسقف ساردس (حوالي ١٧٧ ب. م.): «كان إنسانًا، وكان أيضًا إلهًا.»

قد يكون البرهان الأكثر إقناعًا بأنّهم كانوا يعتبرون يسوع إلهًا قبل مجمع نيقيا موجودًا عند المؤلّفين غير المسيحيّين. يوضح كلّ من الشاعر التهكّميّ اليونانيّ لوسيان من ساموساتا (حوالي ١٧٠ ب. م.)، والفيلسوف الرومانيّ سلسوس (حوالي ١٧٧ ب. م.) والحاكم الرومانيّ بلينوس الصغير (حوالي ١١٢ ب. م.) أنّ المسيحيّين الأوائل كانوا يعتبرون يسوع إلهًا. اضطهد الإمبراطور پليني المسيحيّين بسبب اعتقادهم أنّ يسوع هو الله، واعترف قائلًا: «كانوا يجتمعون بشكل منتظم قبل الفجر في يوم محدّد للترتيل بالتناوب بين بعضهم مُكرّمين وممجّدين المسيح كما لو أنّه إله.»[١٦]

استنادًا إلى هذه الوقائع وغيرها بكثير، استنتج مؤلّفو كتاب Reinventing Jesus التالي: "من الغباء بمكان الاقتراح بأنّه كان لأوغسطينوس القدرة أو الميل للتلاعب بمجلس الأمّة لكي يؤمنوا بشيء لم يتبنّوه مُسبقًا."[١٧] البرهان واضح: كان الإيمان بيسوع بأنّه الله موجودًا قبل مجمع نيقيا بكثير.

لا أستطيع شخصيًّا أنْ أستنتج بأنّ يسوع كان كاذبًا أو مختلًّا. البديل الوحيد هو أنّه كان المسيح ابن الله.

ما رأيك؟
إنْ كان الدليل والبرهان على ألوهيّة يسوع واضحًا لهذه الدرجة، لماذا برأيك ما زال كثيرون من الناس يرفضونه؟

حين أذكر المعلومات الواردة في هذا الفصل أمام اليهود أو المسلمين، تكون إجابتهم مثيرة للاهتمام. أخبرهم عمّا ادّعى به يسوع عن نفسه وأسألهم عن الخيارات الثلاثة: (كاذب، مختلّ أو ربّ)؟ حين أسألهم إنْ كان يسوع كاذبًا، يجيبونني بكلّ شدّة «لا!» ثمّ أسألهم إنْ كان مختلًّا فتكون الإجابة «طبعًا لا.» وحين أسألهم: «هل تؤمنون أنّه الله؟» وقبل أنْ أتفوّه بأيّ شيء آخر، أسمعهم يجيبونني: «قطعًا لا!» علمًا أنّه لا يوجد خيار رابع.

لا تكمن المسألة فيما يختصّ هذه الاحتمالات الثلاثة إنْ كانت واحدة منها ممكنة، لأنّه وبكلّ وضوح كلّ الاحتمالات ممكنة. بل السؤال المطروح هنا هو التالي: «أيّ منها أكثر احتمالًا من الأخرى.» لا يمكن أنْ نعتبر يسوع مجرّد معلّم أخلاقيّ عظيم أو نبيّ ونكتفي

بذلك. هذا الاحتمال ليس جيّدًا. هو إمّا أنْ يكون كاذبًا أو مختلًّا أو ربًّا وإلهًا. عليك أنْ تختار. يجب أنْ يكون قرارك عن يسوع أكثر من مجرّد تمرين منطقيّ. كما كتب الرسول يوحنا: «وأمّا هذه فقد كُتبت لتؤمنوا أنّ يسوع المسيح ابن الله» – والأهمّ من ذلك – «ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه» (يوحنا ٢٠: ٣١). الدليل واضح جدًّا بأنّ يسوع هو الربّ.

الفصل الرابع

ماذا عن العِلْم

يحاول كثيرون أنْ يؤجّلوا قرار تكريس أنفسهم بشكل شخصيّ للمسيح، مفترضين أنّه إنْ كنت غير قادر أنْ تبرهن أمرًا ما بطريقة علميّة، فهو بالتالي غير صحيح. وبما أنّه يستحيل برهان ألوهيّة يسوع أو قيامته علميًّا أو مخبريًّا، فإنّ إنسانَ القرن الواحد والعشرين أكثر فطنة من أنْ يقبلَ المسيح مُخلِّصًا.

غالبًا ما يواجهني أحدهم في صفّ الفلسفة أو التاريخ بهذا السؤال: «هل يُمكنك إثبات ذلك علميًّا؟» وعادة أجيب قائلًا: «لا، فأنا لست عالمًا.» بعد ذلك أسمع الطلّاب يتمتمون ويتهامسون قائلين: «لا تحدّثني إذًا عن هذا الموضوع،» أو «اسمعْ، عليك أنْ تقبل كلّ هذا بالإيمان» (أيْ الإيمان الأعمى.)

بينما كنت مرّة مسافرًا إلى بوسطن، بدأت أشرح للمسافر الجالس قربي لماذا أؤمن أنّ المسيح هو فعلًا ما قاله عن نفسه. فسمع قبطان الطائرة جزءًا من حديثي بينما كان يجول بين الركّاب مرحّبًا بهم، فقال لي: «لديك مُعضلة في مُعتقدك.» سألته: «وما هي يا ترى؟» فأجابني: «لا يُمكنك إثباته علميًّا.» في الواقع، أنا مُندهش بسبب انحدار التفكير المعاصر إلى هذا المستوى المتدنّي. يُشبه هذا القبطان كثيرين غيره في هذا العصر ممّن يتمسّكون بفكرة أنّ ما لا يُمكن برهنته علميًّا لا يمكن أنْ يكون حقيقيًّا. ولكنّنا جميعنا نقبل

ما رأيك؟

بالإضافة إلى الحقائق العلميّة، هل يوجد أمور أخرى نعرف أنّها صحيحة ولا يُمكن تقديم برهان علميّ عنها؟ إنْ كان هذا صحيحًا، فما هي؟

حقائق كثيرة لا نقدر أنْ نثبتها بالطرق العلميّة. فنحن لا نقدر أنْ نبرهن علميًّا أيّ شيء عن أيّ شخص أو حدث تاريخيّ، ولكن هذا لا يعني أنّ البرهان غير موجود. علينا أنْ نفهم الفرق بين البرهان العلميّ وما أسمّيه بالبرهان القانونيّ والتاريخيّ، وسأشرح الفرق بينهما.

كثيرون يتمسّكون بفكرة أنّ ما لا يُمكن برهنته علميًّا لا يُمكن أنْ يكون حقيقيًّا.

يرتكز البرهان العلميّ على إثبات صحّة أمر ما بتكرار حدوثه في حضور الشخص الذي يُشكّك بصحّته. يتمّ الاختبار العلميّ هذا في بيئة يتحكّم بها الإنسان، لكي يقدر أنْ يسجّل ملاحظاته ويُثبت صحّة الفرضيّة بالتجربة.

مهما كان تعريفنا للطريقة العلميّة، هي ترتبط بقياس الظواهر والاختبارات أو الملاحظات المتكرّرة.[١] يقول الدكتور جايمس ب. كونانت، الرئيس السابق لجامعة هارفرد:

> العِلْم هو سلسلة مترابطة من المفاهيم والمخطّطات الفكريّة التي تطوّرت نتيجة للاختبارات العلميّة والملاحظات الناتجة عنها، وتثمر عن مزيد من التجارب العلميّة والملاحظات.[٢]

لو كان الأسلوب العلميّ الأسلوب الوحيد لبرهنة الحقائق، فلن تقدر بهذا الأسلوب أنْ تبرهن بأنّك تناولت طعام الغذاء، لأنّه لا سبيل لإعادة هذا الحدث على الإطلاق في بيئة يتحكّم بها الإنسان.

إنّ امتحان صحّة فرضيّة ما، عبر إجراء اختبارات تحت ظروف يتحكّم بها الإنسان، هو أحد التقنيّات الأساسيّة التي تُستخدم في الأسلوب العلميّ الحديث. فعلى صعيد المثال، إنْ ادّعى أحدهم أنّ الخشب لا يطفو على الماء، فإنّي أدخله مطبخي حيث أضع كميّة من الماء في وعاء وأقوم بإسقاط الخشب في الماء. عندها سيرى بنفسه إنْ كان الخشب

يطفو أم لا. إذًا، نسجّل الملاحظات والمعلومات، ونتحقّق من الفرضيّة بطريقة اختباريّة، ثمّ نستنتج بأنّ الخشب يطفو على وجه المياه.

لو كان الأسلوب العلميّ الأسلوب الوحيد لبرهنة الحقائق، فلنْ تقدر بهذا الأسلوب أنْ تبرهن بأنّك شاهدت التلفزيون في الليلة الماضية أو بأنّك تناولت طعام الغذاء، لأنّه لا سبيل لإعادة هذين الحدثين على الإطلاق في بيئة يتحكّم بها الإنسان.

الطريقة الأخرى للبرهان، هي الإثبات القانونيّ التاريخيّ الذي يعتمد على إظهار صحّة أمر بلا أدنى شكّ. بكلماتٍ أخرى، يمكن الوصول إلى الحُكم على الأمر استنادًا على وزن الأدلّة ولن يكون هنالك أيّ أساس منطقيّ معقول للشكّ بهذا الحُكم. يستند البرهان القانونيّ التاريخيّ على ثلاثة أنواع من الشهادات: الشهادة الشفهيّة، والشهادة الخطّيّة، والأدلّة المادّيّة (كالمسدّس والطلقة الناريّة ودفتر الملاحظات). عند استخدام الطريقة القانونيّة التاريخيّة لتحديد الحقائق، يُمكنك بلا أدنى شكّ أنْ تُثبت بأنّك تناولتَ طعام الغذاء في المطعم اليوم. فقد رآك أصدقاؤك هناك وكذلك صاحب المطعم، وما زالت فاتورة الطعام معك.

إذًا، يُمكن استخدام الطريقة العلميّة لإثبات أمور يمكن تكرارها، وليست مناسبة لكي تُثبت أو تنفي أمورًا تتعلّق بأشخاص أو أحداث تاريخيّة. الطريقة العلميّة ليست مناسبة للإجابة عن أسئلة مثل هذه: هل وُجد في التاريخ رجل كان اسمه جورج واشنطن؟ هل كان مارتن لوثر كينغ جونيور قائدًا ومُدافعًا عن الحقوق المدنيّة؟ مَنْ كان يسوع الناصريّ؟ هل كان روبرت كينيدي النائب العام للولايات المتّحدة الأميركيّة؟ هل قام يسوع المسيح من بين الأموات؟ هذه الأسئلة تقع خارج منطقة البرهان العملي، ويجب أنْ نضعها في منطقة

ما رأيك؟
ما هي منافع استخدام الطريقة العلميّة لكي «تُثبت» أمرًا ما؟ ما هي مساوئها؟ ما هي منافع استخدام الطريقة القانونيّة والتاريخيّة للبرهان؟ هل تستخدم طريقة منهما أكثر من الأخرى.

البرهان القانونيّ والتاريخيّ. بكلمات أخرى، إنّ الطريقة العلميّة التي تعتمد على الملاحظة وجمع المعلومات ووضع الفرضيّات والاستنتاج والتجربة لإثبات أمور تحدث بانتظام في الطبيعة، لا يُمكنها الإجابة عن أسئلة مثل هذه: هل يُمكنك أنْ تثبت القيامة من الأموات؟ هل العِلْم في صراع مع الدين، كما يدّعي البعض؟ هل العِلْم والإيمان على خلاف؟ في الفصل التالي، سيبحث ابني شون في ادّعاءات «المُلحدين الجُدد» الذين يؤمنون بهذا الأمر.

كلّ أسبوع مع الكاتب AR

Josh McDOWELL

*حمّل التطبيق Agapear واستخدم الكاميرا الخاصّة به.
*وجّه الكاميرا نحو الصورة لتشاهد بالفيديو ما يقدّمه الكاتب عن هذا الكتاب.
*يتطلّب التطبيق أنْ يكون هاتفك متّصلًا بشبكة الإنترنت.

Available on the App Store
GET IT ON Google Play

الفصل الخامس

تحدّي الإلحاد الجديد

بينما كنت أنا (شون) جالسًا في مقهى محلّيّ أشرب فنجان القهوة، نظرت حولي ولاحظت امرأة شابّة تقرأ كتابًا استفزّني عنوانه. كان العنوان مطبوعًا بأحرف فضّيّة على خلفيّة صفراء ساطعة: «الله ليس عظيمًا: كيف يسمّم الدين كلّ شيء،» بقلم كريستوفر هيتشنز. حيّرني هذا العنوان، فقرّرت أنْ أسألها عن محتوى الكتاب. وحين سألتها استفاضت بكلّ حماسة وبدأت تحاضرني وتشرح لي كيف كان الدين قوّة شرّ عظيمة في تاريخ البشريّة، وكيف أنّ العِلْم أثبت عدم وجود أساس منطقيّ للإيمان، وأنّه يمكن للإنسان أنْ يكون صالحًا من دون الله.

هل كانت هذه الامرأة الشابّة مُحقّة؟ هل الدين هو سبب هلاك الوجود البشريّ؟ هل استطاع العِلْم بطريقة ما إنكار وجود الله؟ هل يُمكن أنْ يصبح العالم أفضل ممّا هو عليه إنِ اعتنق الجميع الإلحاد؟

الإلحاد ليس أمرًا جديدًا بكلّ تأكيد. فقبل ألف عام من مجيء المسيح، وصف الملك داود الرجل الذي يقول في قلبه: «ليس إله» (مزمور ١٤: ١). وُجد على مرّ الزمان أشخاصٌ يُنكرون وجود الله، وسوف يتواجدون دائمًا. ومع أنّ الملحدين كانوا دائمًا يُسمِعون الآخرين رأيهم ويدافعون عنه، إلّا أنّ تأثيرهم الحضاريّ الشعبيّ ما زال في حدّه الأدنى.

منذ فترة قصيرة، ظهر على المسرح العام مجموعة من الملحدين المتحمّسين والبارعين في الكلام. ولم يسبق لنا أنْ رأينا في تاريخ الإلحاد عددًا غفيرًا من الناس يتبعهم ويأتمر بهم. فخلال سنة ونيّف، وصلَت ثلاثة من كتبهم إلى رفوف المكتبات. بدأ سام هاريس الهجوم بإطلاقه كتاب «رسالة إلى الأمّة المسيحيّة» (٢٠٠٦)، وتبعه ريتشارد دوكنز بكتاب «وهم الله» (٢٠٠٦) وأخيرًا كريستوفر

هيتشنز بكتاب «الله ليس عظيمًا» (٢٠٠٧). بيعت هذه الكتب فورًا بسرعة وبقيت من أكثر الكتب مبيعًا لعدّة أشهر. فقد ظهر كتاب «الله ليس عظيمًا» مثلًا على غلاف مجلة نيويورك تايمز كونه الكتاب الأكثر مبيعًا بعد شهر واحد من نشره. وكان يُطبع منه ٣٠٠,٠٠٠ نسخة بعد الأسبوع السابع من نشره.

لقد تخطّى تأثير هؤلاء الملحدين الجُدد عالم النشر والطباعة، فقد كتبوا مقالات وحاضروا في الجامعات، وشاركوا في المناظرات وتكلّموا على شاشات التلفزيون والمحطّات الإذاعيّة، ونشروا عددًا لا يُحصى من التسجيلات على موقع يوتيوب. لقد أربكوا الباحثين عن الله وزعزعوا إيمان كثيرين من المؤمنين. وتشير الإحصاءات الأخيرة إلى أنّ عددًا كبيرًا من الأميركيّين يعتبرون أنفسهم مُلحدين أو لاأدريّين. إنّ هدف الملحدين الجدد بسيط جدًّا وهو: القضاء على الأسس المنطقيّة للإيمان الدينيّ وإقناع المؤمنين بوجود الله أنْ يبتعدوا عن الإيمان. فهل ابتكروا شيئًا جديدًا؟ وهل أزاحوا النقاب عن براهين جديدة تُثبت عدم وجود الله؟ ما الذي يجعل من الإلحاد الجديد جديدًا؟

ما رأيك؟
لماذا برأيك استطاع المُلحدون الجدد مؤخّرًا جذب عدد غفير من الناس؟

القديم نفسه ... القديم نفسه

قال الصحافيّ الإنكليزيّ المشهور مالكولم ماغريدج مرّة إنّ كلّ الأخبار ليست سوى أشخاص جدد يختبرون أمورًا قديمة. قد تبدو لنا الأمور جديدة، لكن بالكاد هذا يعني أنّها فعلًا جديدة. لم يأتِ الالحاد الجديد بأيّ اكتشاف جديد لا في العلم ولا في الفلسفة أو في التاريخ من شأنه تقويض المسيحيّة. فإنّ أغلب حجج الملحدين الجدد ما هي إلّا إعادة تدوير لآراء ملحدين قدامى أمثال فردريك نيتشه وسغموند فرويد وكارل ماركس وبرتراند راسل. ومع هذا، يوجد بعض الخصائص التي تجعل من الإلحاد الجديد فريدًا من نوعه.

نعى ملحدون قدامى كثيرون موت الله. أمّا الملحدون الجدد فقد احتفلوا بموت الله.

أوّلًا، الإلحاد الجديد أقلّ كلفة. كان الملحدون في الماضي مُدركون جيّدًا لنتائج نكران وجود الله. فقد أدركوا أنّنا بدون الله سنسكن في عالم بارد ومُظلم وبلا هدف. نعى ملحدون قدامى كثيرون موت الله لأنّهم أدركوا أنّ هذا الأمر يقوّض أساسات الحضارة الغربيّة. أمّا الفيلسوف الوجوديّ ألبرت كامو، فقد أقرّ أنّ موت الله يعني فقدان الهدف والفرح وكلّ ما يجعل الحياة حياةً تستحقّ أنْ يحيا من أجلها الإنسان.

وبالمقابل، يحتفل الملحدون الجدد بموت الله. فهم يعتقدون أنّ الحياة ستستمرّ (لا بل ستتحسّن) إنْ تمّ إلغاء الدين. هذا الإلحاد «اللطيف»، كما يقول الأستاذ الجامعيّ جون هوت من جامعة جورجتاون، يفشل في أخذ الإلحاد على محمل الجدّ:

> بفضل الداروينيّة، يفترض الإلحاد اللطيف أنّنا نستطيع أنْ نتخلّى عن فكرة الله كالتخلّي عن سانتا كلوز من دون أنْ يؤدّي ذلك إلى انهيار كامل للحضارة الغربيّة، وهذا يتضمّن مفهومنا عمّا هو عقلانيّ ومنطقيّ أو أخلاقيّ. أمّا الملحدون المتشدّدون، فقد أدركوا على الأقل أنّه لو كنّا فعلًا صادقين في إلحادنا، فعلى كلّ القيم التي تدور حول فكرة وجود الله في الحضارة الغربيّة أنْ تتلاشى مع الهيئة المنظّمة لها.[١]

ثانيًا، بالمقارنة مع أشكال الإلحاد القديم، لا يُظهر الملحدون الجُدد أيّ تحمّل للمعتقدات الدينيّة. فهم لا ينادون فقط بأنّ الدين هو من صنع الإنسان، بل يقولون إنّ الدين يسمّم كلّ شيء، وبالتالي يجب استئصاله. يقول سام هاريس في كتابه «رسالة إلى الأمّة المسيحيّة» التالي: «إنّ الاحترام (الحقّ الدينيّ) الذي يطالبون به نحو معتقداتهم الدينيّة يفتح الباب أمام قيام متطرّفين من كلّ الأديان.[٢] ومع أنّ هاريس مُدرك أنّ الليبراليّين والمعتدلين منهم لا يصدمون طائراتهم بناطحات السحاب، إلّا أنّه يعتقد أنّ تسامحهم الدينيّ يفتح الباب أمام قيام متطرّفين يقومون بهذه الأعمال. لهذا السبب يجب استئصالها. إنْ نجح الملحدون الجدد بهذا الأمر، فحرّيّة الدين لن تكون إلّا أثرًا من الماضي.

ثالثًا، يحتفظ الملحدون الجدد بأكثر الهجمات فتكًا على المسيحيّة. فمع أنّهم ينتقدون البوذيّة والإسلام والمورمونيّة والأديان الأخرى، إلّا أنّ هدفهم الواضح هو إله الكتاب المقدّس. ويعترف ريشارد داوكينز قائلًا: «ما لم أصرّح بعكس ذلك، ستبقى المسيحيّة هدفي الأوّل.»[٣]

إنْ قرأت أيّ كتاب للملحدين الجدد، فمن المهمّ جدًّا أنْ تتذكّر كلمات الملك سليمان الذي قال: «الأوّل في دعواه محقّ، فيأتي رفيقه ويفحصه.» (أمثال ١٨: ١٧) بكلمات أخرى، حين تُسمع شهادة أحد الطرفين في المحكمة، يبدو للسامع أنّ ما يُقال مُقنع. ولكن حين تُروى القصّة من كلّ جوانبها، غالبًا ما تسقط الرواية الأولى. المُلحدون الجُدد مُقنعون في دعواهم – إلى أنْ يقف الطرف الآخر ويتكلّم. فإليكم ما يقوله الطرف الآخر.

هل الإلحاد أكثر منطقيّة؟

يعتقد الملحدون الجُدد بشدّة أنّ الإلحاد منطقيّ أكثر من غيره. وبحسب هيتشنز، تعتمد الأديان على «الإيمان وحده،» بينما لا يتطلّب الإلحاد أيّ إيمان لأنّه يعتمد بشكل أساسيّ وأوّليّ على البرهان العلميّ التجريبيّ.[٤]

سوف نبحث فيما إذا كان العِلْم يدعم الإلحاد أو الإيمان بالله، ولكن لنبدأ، علينا أوّلًا التأمّل في سؤال أساسيّ وهو: لماذا العالم الطبيعيّ منطقيّ؟ قال أينشتاين مرّة إنّ أكثر أمر لا يُمكنه فهمه عن العالم هو كونه قابلًا للفهم وللإدراك.

أدرك أينشتاين حقيقة أساسيّة تتعلّق بالعِلْم، وبشكل خاصّ كونها ترتكز على فرضيّات فلسفيّة معيّنة حول العالَم الطبيعيّ. هذه الفرضيّات تتضمّن وجود عالَم خارجيّ حقيقيّ منتظم وقابل للمعرفة والإدراك، وتتضمّن أيضًا الثقة بأنّ عقولنا قادرة أنْ تُدرك هذا العالم. ولا يمكن للعِلْم أنْ يتقدّم من دون هاتين الفرضيّتين.

ولكن هذا يطرح مُعضلة شائكة بالنسبة إلى الملحد: إنْ كان العقل قد تطوّر عبر العمليّة العمياء والماديّة الداروينيّة للارتقاء والتطوّر، فلماذا يُفترض بنا الوثوق بها؟ لماذا يُفترض بنا أنْ نقبل بأنّ العقل البشريّ – الذي كان نتيجة عمليّة عشوائيّة – يربطنا حقًّا مع الواقع؟ لا يُمكن استخدام العِلْم كإجابة عن هذا السؤال، لأنّ العِلْم نفسه يعتمد على هذه الفرضيّات عينها.

قال أينشتاين مرّة إنّ أكثر أمر لا يُمكنه فهمه عن العالم هو كونه قابلًا للفهم وللإدراك.

حتّى تشارلز داروين كان مُدركًا لهذه المُعضلة: «يبدأ الشكّ دائمًا حين لا يكون للقناعات الفكريّة لشخص ما – والتي تطوّرت من عقلِ أدنى الحيوانات – أيّ قيمة أو مصداقيّة. هل يُمكن لأيّ كان أنْ يثق بقناعة موجودة في عقل قِرْد لم يكن في عقله أساسًا أيّ قناعات؟»[٥] يضع الملحدون الجدد ثقة كبيرة في قواهم المنطقيّة والفكريّة، ولكن وجهة نظرهم الإلحاديّة تنسف أيّ أساس لهذه الثقة. في الواقع، إنْ كانت نظريّة الارتقاء والتطوّر الداروينيّة صحيحة، علينا بالتالي ألّا نثق بمَلَكاتِنا الإدراكيّة لأنّها نتيجة عمليّة غير منطقيّة وغير موجّهة. يقول عالم الفيزياء بول دايفيز، الحائز على جائزة تامبلتون: «يرتكز العِلْم على فرضيّة تقول بأنّ الكون عقلانيّ ومنطقيّ بالكامل وعلى كلّ المستويات. والملحدون يدّعون أنّ قوانين (الطبيعة) وُجدت بشكل غير منطقيّ وبأنّ الكون هو مناف للعقل بشكل مطلق. كعالِم، أجِدُ صعوبة في قبول هذا الأمر، إذ لا بدّ من وجود أساس منطقيّ لا يتغيّر تتجذّر فيه طبيعة هذا الكون المنطقيّة والمنتظمة.»[٦]

لا يوفّر الإلحاد أساسًا عقلانيًّا أو منطقيًّا مثل هذا. في الواقع، ينسف الإلحاد هذا الأساس. أمّا الإيمان بالله، فإنّه يقدّم ويبني على هذا الأساس. ليس الأمر بكلّ بساطة أنّ منطق الكون يتناسب بشكل أفضل مع الإيمان بوجود الله، بل إنّ مستوى الارتباط يصل إلى مستوى أعمق، فوجود كونٍ منطقيّ عقلانيّ هو ما ينبغي أنْ نتوقّعه إنْ كان الله موجودًا.

إنْ كانت نظريّة الارتقاء والتطوّر الداروينيّة صحيحة، علينا بالتالي ألّا نثق بمَلَكاتِنا الإدراكيّة لأنّها نتيجة عمليّة غير منطقيّة وغير موجّهة.

هل العِلْم في صراع مع الدين؟

يريدك الملحدون الجدد أنْ تقتنع بأنّ العِلْم في صراع مع الدين على مدى قرون طويلة. مع أنّ هذه النظريّة منتشرة بشكل واسع، إلّا أنّها خرافة مفادها بأنّ الدين يعرقل ويعيق نموّ العِلْم.[٧] في الواقع، إنّ وجهة نظر المسيحيّة للكون – التي تُصرّ على انتظام الكون وتركّز على المنطق البشريّ وتعليمه بأنّ الله يتمجّد بفهمنا لخليقته – هي التي وضعت أساسات الثورة العلميّة الحديثة.

ما رأيك؟
لماذا نتوقّع من الكون أنْ يكون منطقيًّا وعقلانيًّا إنْ كان الله موجودًا؟ كيف يقوّض الإلحاد أساسات العقلانيّة؟

لم يتطوّر العِلْم الحديث من الفراغ، إنّما تطوّر بشكل كبير بواسطة قوى مدفوعة من المسيحيّة. يستنتج عالم الرياضيّات والفيلسوف البريطاني ألفرد نورث وايتهد في كتابه «حول العلم والعالم الحديث» أنّ العِلْم الحديث تطوّر بشكل أساسيّ من «إصرار القرون الوسطى على عقلانيّة الله...»[٨]

لم يتطوّر العِلْم الحديث في الفراغ، إنّما تطوّر بشكل كبير بواسطة قوى مدفوعة من المسيحيّة. فلا عجب أنّ العلماء الأوّلين كانوا مؤمنين بوجود الله أمثال روبرت بويلي (١٦٢٧ – ١٦٩١)، واسحق نيوتن (١٦٤٢ – ١٧٢٧)، وبلايز باسكال (١٦٢٣ – ١٦٦٢)، وجوهانس كابلر (١٥٧١ – ١٦٣٠)، ولويس باستور (١٨٢٢ – ١٨٩٥)، وفرانسيس باكون (١٥٦١ – ١٦٢٦). بالنسبة إلى كثيرين منهم، كان الإيمان بالله دافعهم الأساسيّ للانطلاق ببحثهم في العالم الطبيعيّ. كان باكون مقتنعًا بأنّ العالم الطبيعيّ مليء بالغموض وبأنّ الله أراد لنا استكشافها. ووصف كابلر دافعه للغوص في العِلْم قائلًا: «إنّ هدفي الرئيسيّ وراء كلّ الاستقصاء العلميّ الذي أقوم به للعالم الخارجيّ هو اكتشاف النظام المنطقيّ والعقلانيّ الذي فرضه الله عليه، والذي أعلنه لنا بلغة عِلْم الرياضيّات.»[٩]

يرفض هيتشنز القناعات الدينيّة لهؤلاء العلماء الرائدين، بحجّة عدم وجود علماء عقلانيّين غير متديّنين غيرهم في ذلك الوقت.[١٠] ولكن هذا الموقف يضع هيتشنز في موقف مُحرج. فإنْ لم يكن للمؤمنين بالله فضل بالمساهمات الإيجابيّة التي قدّموها للمجتمع (مثلًا، تشكيل العِلْم الحديث) لأنّ «الجميع كانوا متديّنين،» فكيف يُمكنه لوم المؤمنين بالله على الأعمال الوحشيّة المُرتكبة باسم الله؟ هذه ازدواجيّة واضحة. يريد الملحدون الجدد أنْ يُنكروا فضل المؤمنين بالله، وفي الوقت نفسه يريدون إلقاء كلّ اللوم عليهم. ولكي يُثبت هيتشنز أنّ «الدين يسمّم كلّ شيء»، كان عليه أنْ يغضّ النظر عن كلّ الأدلّة المناقضة، وكان سعيدًا بذلك.

هل الإلحاد أكثر علميّة؟

تكمن ثقة الملحدين الجُدد في حقيقة مركزيّة واحدة هي: إنّهم يؤمنون أنّ العِلْم يقف إلى جانبهم. يقول سام هاريس: «لا نجد دعمًا للإيمان بإله الكتاب المقدّس في مفهومنا العلميّ النامي عن الكون.»[١١] وبحسب هيتشنز، كلّما تطوّر العِلْم تقلّصت مساحة فكرة وجود الله.[١٢] ولكنْ، هل هذه هي كلّ الحقيقة؟ يرغب الملحدون الجدد أنْ نؤمنَ بأنّه يُمكن الاستدلال إلى وجود الله من خلال «الفجوات» الموجودة في المعرفة العلميّة، ولكنْ في الحقيقة، إنّ البرهان العلميّ لوجود تصميم لهذا الكون ظهر وانتشر مؤخّرًا في السنوات القريبة الماضية.[١٣] في الواقع، لهذا السبب غيّر أحد أشهر الملحدين في العقود الخمسة الأخيرة رأيه حول الله وهو أنطوني فْلو.

مع أنّ مُلحدين آخرين كانوا أكثر شهرة منه، إلّا أنّ تأثير فْلو كان تأثيرًا لا نظير له. فقد ألقى فْلو محاضرته الشهيرة بعنوان «اللاهوت والتزييف» في نادي سقراط في جامعة أوكسفورد التي كان يرأسها آنذاك سي. أس. لويس. وهذه المحاضرة أصبحت فيما بعد أكثر مقال فلسفيّ يُطبع لمدّة خمسة عقود، وكانت كتبه ومحاضراته أساس برنامج الإلحاد الحديث.

وفي عام ٢٠٠٤، قدّم فْلو إعلانًا صادمًا حين قال: «لا بدّ أنْ يكون الله موجودًا. وأصبح فْلو مُقتنعًا بأنّ أفضل شرح للكون هو وجود الله. فلماذا غيّر رأيه يا تُرى؟ وللإجابة عن هذا السؤال، كتب فْلو قائلًا: «الإجابة المُختصرة عن هذا السؤال هي أنّ نظرتي للكون انبثقت من العِلْم الحديث.»[١٤] للملحدين الجدد الحريّة بأنْ يُعلنوا أنّ العِلْم يقف إلى جانبهم، ولكنّ الدليل يُشير إلى عكس ذلك تمامًا، إذ يكفي التفكير بأحجيتين علميّتين لم يقدر العِلْم الطبيعيّ أنْ يجد تفسيرًا لهما، وفي الوقت نفسه يُشيران بشدّة إلى وجود الله.

ما رأيك؟
برأيك، هل البرهان العلميّ يدعم وجود الله أم يُثبت عدم وجوده أم هو برهان حياديّ؟ برّر إجابتك.

أحجية أصل الحياة

أحد أكثر المسائل العلميّة تعقيدًا اليوم هو أصل الحياة. المجتمع العلميّ موافق بالإجماع أنّ هذه الأحجية ما زالت غير محلولة. ولاحظ العالِم الكيميائيّ جورج وايتسايدز من جامعة هارفرد أنّ مسألة أصل الحياة هي من أكبر المسائل العلميّة التي لم يجد لها العِلْم حلًّا بعد.[١٥] حتّى سام هاريس يُقرّ بأنّ أصلَ الحياة ما زال أحجية غامضة.[١٦]

إنّ مسألة أصل الحياة هي مشكلة تتعلّق بشكل أساسيّ بالمعلومات.

مع اكتشاف بُنْية الحمض النوويّ (DNA) عام ١٩٥٣، أدرك العلماء أوّلًا أنّ عمليّة تصنيف وتطوير الكائنات الحيّة مُنظّمة بواسطة المعلومات الجينيّة. لهذا السبب، أشار دافيد بالتيمور، الحائز على جائزة نوبل، في خطاب يُقتبس عنه بشكل واسع، إلى عِلْم الأحياء الحديث بأنّه «عِلْم المعلومات.»

ما هي كمّيّة المعلومات الموجودة في الكائنات الحيّة؟ وفقًا لريشارد داوكينز، فإنّ المعلومات الموجودة في نواة خليّة الأميبا الصغيرة هي أعظم وأكثر من كلّ أجزاء موسوعة بريتانيكا،[١٧] والحمض النوويّ البشريّ يحتوي على معلومات أكثر بكثير. ومع هذا، فإنّ وظيفة الحمض النوويّ هي أكثر من مجرّد تخزين للمعلومات. فعند دمجه بأنظمة خلويّة أخرى، يقوم الحمض النوويّ بمعالجة معلومات كجهاز الكومبيوتر. لهذا السبب، يُشبّه بيل غايتز الحمض النوويّ ببرنامج كومبيوتر، مع أنّه متطوّر أكثر من أيّ برنامج الكتروني اخترعه الإنسان.[١٨]

ما رأيك؟
هل الحظّ هو الاستنتاج المعقول لأصل الحياة؟ بعيدًا عن الله، هل تقدر أنْ تفكّر بأيّ شرح منطقيّ آخر؟

يعترف الملحدون بملء إرادتهم أنّه ليس لديهم أدنى فكرة عن كيفيّة ظهور الحياة لأوّل مرّة. يُدرك داوكينز هذه المُعضلة، إلّا أنّه يقدّم استنتاجًا أو حلًّا صاعقًا قائلًا إنّه الحظّ. نعم، الحظّ.[١٩] هل يُعقل أنْ يكون الحظّ هو الحلّ الأكثر منطقيّة وعقلانيّة؟ هل يمكن للمعلومات أنْ تظهرَ للعيان نتيجة عمليّة ماديّة غير عقلانيّة وغير موجّهة؟

كان محتوى المعلومات الموجود في الحمّض النوويّ أحد الأسباب الرئيسيّة التي جعلت الملحد السابق أنطوني فْلو يغيّر رأيَه عن الله، واستنتج قائلًا: "إنّ الشرحَ الوحيد المُرضي لأصل هذه الحياة التي تكرّر ذاتها بذاتها كما نراها هنا على الأرض، هو وجود عقل ذكيّ لا محدود.»[٢٠] إنْ وصلتنا رسالة معقّدة كموسوعة بريتانيكا من الفضاء الخارجيّ، فستكون دليلًا لا يقبل الشكّ بوجود ذكاء فضائيّ خارج الأرض. إنّ الشرح الأكثر منطقيّة للحمّض النوويّ البشريّ – الذي يحتوي على كمّ هائل من المعلومات يفوق المعلومات الموجودة في موسوعة بريتانيكا – هو وجود عقل إلهيّ.

الكون المتناغم

تخيّل نفسك تسير في الجبال وترى كوخًا من بعيد. بينما تقترب من الكوخ، تلاحظ أمرًا غريبًا، إذ تجد داخله برّادًا مليئًا بالأطعمة الشهيّة، وتسمع أغنيتك المفضّلة، وتجد كلّ كتبك المفضّلة لديك والمجلّات والأقراص المُدمجة مصفوفة على الطاولة. فما هو الاستنتاج الذي ستتوصّل إليه؟ بما أنّ احتمال وجود كلّ هذه الأمور بالصُدفة أمرٌ خارج المعادلة، فإنّك ستستنتج أنّ أحدهم كان يتوقّع حضورك وقد جهّز لك كلّ هذه الأمور.

«إنّ الشرح الوحيد المُرضي لأصل هذه الحياة التي تُكرّر ذاتها بذاتها كما نراها هنا على الأرض، هو وجود عقل ذكيّ لا محدود.»
– أنطوني فْلو، مُلحد سابق ذائع الصيت

بدأ العلماء يدركون في العقود الماضية أنّ هذا المشهد هو انعكاس للكون برمّته. إذ يبدو أنّ الكون قد صُمّم بشكل فريد والإنسان موجود في ذهن المصمّم. يقول عالِم الفيزياء فريمن ج. دايسون: «حين نتأمّل بالكون ونحدّد الاصطدامات الفيزيائيّة والفلكيّة التي كانت لمصلحة الجنس البشريّ، لا يسعنا إلّا أنْ نفكّر بأنّ الكون كان يعلَم بطريقة ما أنّنا قادمون إليه.»[٢١] لهذا السبب يقول عالِم الفلك البريطاني فرد هويل: «إنّ التفسيرَ المنطقيّ للحقائق يُفيد بأنّ ذكاءً فائقًا تلاعب بالفيزياء والكيمياء وعِلْم الأحياء، وبأنّه لا يوجد قوى عمياء تستحقّ أنْ نتكلّم عن وجودها في الطبيعة.»[٢٢] يتّفق علماء الفيزياء بأنّ الحياة متّزنة بدقّة متناهية.

تأمّل بهذه الأمثلة. أوّلًا، لو تغيّر قانون الجاذبيّة قليلًا، لما كان هناك حياة على الأرض. وفيما يتعلّق بالقوى الأخرى الموجودة في الطبيعة، لا بدّ أنْ تكون الجاذبيّة متناغمة بجزء واحد من أصل ١,٠٤٠ جزءًا (أي جزء واحد من أصل (١٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠)).[٢٣] ثانيًا، لاحظ عالِم الفيزياء ستيفن هوكينغ من جامعة كامبريدج التالي: «لو كانت نسبة التوسّع الكونيّ أصغر بجزء واحد من أصل مئة ألف مليون مليون بعد ثانية واحدة من الانفجار الكبير، لانهار الكون على نفسه قبل أنْ يصل إلى حجمه الحاليّ.»[٢٤]

يبدو أنّ الكون قد صُمّم بشكل فريد والإنسان موجود في ذهن المصمّم.

في الواقع، يوجد تسعة عشر من الثوابت الكونيّة التي يجب أنْ تكون جميعها متناغمة بشكل متكامل.[٢٥] من الواضح أنّ احتمالات عدم وجودنا على الأرض هي احتمالات ضئيلة جدًّا. في الواقع، استنتج عالِم الفيزياء روجر بنروز من جامعة أوكسفورد أنّه لو تأمّلنا بقوانين الطبيعة مجتمعة والتي يجب أنْ تكون في تناغم تامّ، فلن نقدر أنْ نسجّل عددها الهائل، لأنّ الأرقام التي نحتاجها لكتابة هذا الرقم تفوق عدد الجسيمات الأوّليّة الموجودة في الكون.[٢٦]

إنّ برهان وجود تصميم للكون مُقنع جدًّا لدرجة أنّ پول دايفيس، وهو عالِم فيزياء ذائع الصيت في جامعة ولاية أريزونا، يقول إنّ البيئة الحاضنة الصديقة للطبيعة والموجودة في عالمنا هي «مقصودة». ويتابع قائلًا: «إنّ القول المأثور بأنّ الحياة في توازن تامّ كما لو أنّها تقف على حدّ السكّين، هو قول لا يعطي وصفًا مقبولًا ودقيقًا للكون: إذْ لا يوجد في الكون سكّين بحدّ رفيع مثل هذا.»[٢٧] ويقول دايفيس إنّه لا يوجد تفسير علميّ كامل في الكون بدون الأخذ بعين الاعتبار وجود تصميم للكون. ويحاول البعض أنْ يشرحوا هذا التناغم الكبير بوجود أكوان متعدّدة، ولكنّ البرهان التجريبيّ بالنسبة إليهم غير موجود. إنّ التفسير الذي يُمكن الاعتماد عليه أكثر من غيره والأقلّ كلفة لشرح تناغم الكون الدقيق هذا، هو وجود الله، فهو الذي صنعه ليكون متناغمًا بهذا الشكل.

هل الإلحاد أكثر أخلاقيّة؟

ينتقد الملحدون الجدد بشدّة الشرّ الناتج عن الدين وشخصيّة وصِفات إله الكتاب المقدّس، وينادون بصوت مرتفع قائلين إنّ الأخلاق يمكن أنْ تكون موجودة باستقلاليّة عن الله. يقول داوكينز: «لسنا بحاجة إلى الله لنكون صالحين أو أشرارًا.»[٢٨] يرفض الملحدون الجدد الدين بحماسة ويصفونه بالشرّ بينما يمدحون العلم. ولكن ينتج عن هذا الأمر مُعضلة خطيرة بالنسبة إلى الملحد: إنْ كان الله غير موجود، فما هو مصدر الأخلاق يا تُرى؟ وإنْ كان «لا يوجد شيء أبعد من العالم الطبيعيّ والمادّيّ»[٢٩] كما يدّعي داوكينز، فما المنفعة من القول إنّ الشرّ موجود؟ وإنْ كانت القِيَم الأخلاقيّة بلا خصائص مادّيّة كالارتفاع والعرض والوزن، فكيف نقدر أنْ نقول إنّها حقيقيّة؟

ما رأيك؟
قال الروائيّ الروسيّ فيودور دوستويسكي: كلّ شيء متاح ومسموح بدون وجود الله. ماذا عنى برأيك حين قال هذا؟ هل يوجد مقياس أخلاقيّ بعيدًا عن الله؟

الحقيقة الصارخة بالنسبة إلى الإلحاد هي أنّه من الصعوبة بمكان تعريف الشرّ بعيدًا عن مقياس أخلاقيّ إلهيّ للخير. يُعرَّف الشرّ تقليديًّا بأنّه انحراف الخير. وكما أنّ الاعوجاج يتضمّن مقياسًا عن الاستقامة، هكذا الشرّ يتضمّن وجود مقياس للخير. يشتهر سي. أس. لويس بقوله إنّ العصا المعوجّة تُقاس بوجود مقياس مستقيم. وبنفس الطريقة، يمكن للشرّ أنْ يكون موجودًا إنْ كان الخير أو الصلاح موجودًا بالأساس. وإنْ لم يكن الله موجودًا (كما يدّعي الملحدون الجدد)، فما هو الخير يا تُرى؟ حتّى الملحد الراحل ج. ل. ماكي اعترف بأنّ الأخلاق الموضوعيّة لن تكون موجودة لولا وجود إله كلّيّ القدرة.

إنّ وجود قِيَمٍ أخلاقيّة موضوعيّة، هو حجّة مُقنعة للإيمان بوجود الله. تأمّل بهذه الحجّة البسيطة:

١. إنْ كانت القِيَم الأخلاقيّة الموضوعيّة موجودة، فلا بدّ أنْ يكون الله موجودًا.
٢. القِيَم الأخلاقيّة الموضوعيّة موجودة.
٣. بالتالي، لا بدّ أنْ يكون الله موجودًا.

نحن نعلَم أنّ القيم الأخلاقيّة الموضوعيّة موجودة. فنحن لسنا بحاجة أنْ يُقنعنا أحدهم على صعيد المثال لا الحصر، أنّ تعذيب الأطفال من أجل المُتعة خطأ، لأنّ كلّ إنسان عاقل مُدرك لهذه الحقيقة. لهذا السبب، بما أنّ القِيَم الأخلاقيّة موجودة، فلا بدّ أنْ يكون الله موجودًا.

من الصعوبة بمكان تعريف الشرّ بعيدًا عن مقياس أخلاقيّ إلهيّ للخير.

يتحدّى كريستوفر هيتشنز باستمرار في المناظرات العامّة خصومه بأنْ يقدّموا مثلًا واحدًا عن عمل أخلاقيّ لا يستطيع الملحد أنْ يقوم به. بالطبع لا يوجد، فملحدون كثيرون صالحون يصنعون الخير ويعملون باجتهاد. ولكنّ التحدّي الذي يقدّمه هيتشنز، ينقصه نقطة أساسيّة وهي: كيف يُمكن للإلحاد نفسه أنْ يفسّر القِيَم الأخلاقيّة بطريقة منطقيّة؟ فإنْ كان الله غير موجود، فما هو أساس الخير والشرّ؟ الإلحاد يصمت عند هذه النقطة. وهكذا، ولسخرية الأقدار، إنّ أحد أكثر الاعتراضات شيوعًا لوجود الله هو نفسه من أفضل الحجج للإيمان بوجوده.

هل المسيحيّة لعنة؟

آمن الملحدون القدامى أنّ الدين مزيّف. والملحدون الجدد يؤمنون أنّ الدين ليس مزيّفًا فحسب، بل هو شرّ. يقول سام هاريس عن الدين: «هو المصدر الأقوى للصراع البشريّ في الماضي والحاضر.»[٣٠] ويشير الملحدون الجدد باستمرار إلى سوء معاملة الكنيسة لجاليليو، وإلى أعمال الحملات الصليبيّة الوحشيّة، ومحاكم التفتيش، ومحاكمات الساحرات في التاريخ القديم، والتعدّي الجنسيّ على الأطفال من قبل الكهنة الكاثوليك في عالمنا المعاصر كبرهان يثبت شرّ المسيحيّة وقسوتها.

لا شكّ أنّ بعض الأشخاص ارتكبوا أمورًا فظيعة باسم المسيح. ولكن لماذا تُلام المسيحيّة حين يرتكب أتباعها أمورًا بعكس ما علّم المسيح؟ هل وافق يسوع على حرق الساحرات؟ هل شجّع يسوع أتباعه أنْ يعذّبوا المهرطقين؟ طبعًا لا. في الواقع، علّم يسوع عكس هذه الأمور تمامًا، إذْ طلب أنْ نحبّ أعداءَنا (متّى ٥: ٤٤)، وأنْ نساعد المهمّشين (متّى ٨: ٣)، وأنْ نضع حياتنا من أجل الآخرين (يوحنا ١٥: ١٣). ولو عاش الناس كما علّم المسيح، لأصبح العنف أمرًا منسيًّا.

ما رأيك؟
لو عاش الناس بحسب تعاليم يسوع، كيف سيكون العالم اليوم؟ هل يجب أنْ تُلام المسيحيّة حين يرتكب أتباعها أمورًا بعكس ما علّم المسيح؟

يشرح دينيش دي سوزا في كتابه «ما الأمر العظيم عن المسيحيّة»، بأنّ المُلحدين الجدد يُضخّمون بقوّة الجرائم المُرتكبة باسم الدين، بينما يبرّرون منطقيًّا الجرائم الأعظم المُرتكبة باسم الإلحاد. مثلًا، يُقدّر سام هاريس عدد الأشخاص الذين قُتلوا بمحاكمات الساحرات بحوالي ١٠٠,٠٠٠. ولكن ما هو الرقم الحقيقيّ؟ هل هو بالمئات؟ بالآلاف؟ أو بعشرات الآلاف؟ في الواقع هو أقلّ من ٢٥.[٣١] فكيف توصّل الملحدون إلى هذه الأرقام المضخّمة؟

من المهمّ أنْ نتذكّر بأنّ المسألة ليست إنْ كان يُمكن للملحدين أنْ يكونوا أشخاصًا صالحين. طبعًا هذا ممكن (وكثيرون منهم هم فعلًا كذلك). لكنّ السؤال الأساسيّ هو: إنْ تمّ تبنّي الإلحاد كفلسفة في حضارة معيّنة، فهل الإلحاد جيّد لهذه الحضارة أم سيّء؟ وحين يُصبح هذا السؤال هو المقياس، يُصبح واضحًا أنّه لا يوجد أيّ وجهة فلسفة عالميّة أخرى تسبّبت بالأسى وسفك الدم أكثر من الإلحاد. وبالأخصّ عدد الناس الذين تمّ قتلهم في القرن العشرين تحت الأنظمة الإلحاديّة، كالشيوعيّة في الصين والشيوعيّة في روسيا والنازيّة الألمانيّة والذي يُقدَّر بمئة مليون قتيل.[٣٢] لا يوجد جرائم بأعداد كبيرة مثل هذا الرقم. ويعتقد دايفيد برلينسكي، وهو يهوديّ علمانيّ حاصل على شهادة الدكتوراه من جامعة برينستون، أنّ أحد الأسباب هو غياب المحاسبة

في الوقت الذي ارتكب فيه المسيحيّون حتمًا أمورًا سيّئة، يبقى الإرث المسيحيّ بغالبيته إيجابيًّا.

المطلقة: «ما لم يؤمن به هتلر وستالين وماو، وما لم يؤمن به الغيستابو وغيرهم... هو أنّ الله كان يراقب ما كانوا يرتكبونه من جرائم.»[٣٣]

في الوقت الذي ارتكب فيه المسيحيّون حتمًا أمورًا سيّئة، يبقى الإرث المسيحيّ بغالبيته إيجابيًّا. فقد بنى المسيحيّون المستشفيات الأولى، وأنشأوا الصليب الأحمر، وقادوا الحملات لإنهاء العبوديّة، وأوجدوا الجامعات، وكانوا روّاد العِلْم الحديث. وحين نقتفي أثر الحركات التي قادت إلى تحرير البشريّة، نجد بأنّ الإنجيل كان في صلب أغلب هذه الحركات إنْ لم يكن في جميعها.

خلاصة

كتحليل أخير، إنّ الأمر الجديد فعلًا عند الملحدين الجدد هو موقفهم القلبيّ. فعلى الرغم من بلاغتهم المشتعلة، لا يوجد مؤخّرًا أيّ اكتشافات علميّة أو تاريخيّة أو فلسفيّة تقضي على الإيمان بالله بشكل عام، والمسيحيّة بشكل خاصّ. في الواقع، العكس هو صحيح تمامًا، فكلّما غُصنا أكثر في عمل الخلايا أو في أعماق الكون الفسيح، رأينا أكثر بصمة لله فيها.

قال المرنّم منذ حوالي ٣,٠٠٠ سنة: «السماوات تحدّث بمجد الله، والفلك يُخبر بعمل يديه. يوم إلى يوم يُذيع كلامًا، وليل إلى ليل يُبدي علمًا.» (مزمور ١٩: ١–٢). فكما أعلن المرنّم بكلّ وضوح، يمكن أنْ نعرف الله من خلال خليقته. ولكن، كما يوضح هذا الكتاب، فقد أعلن عن نفسه بشكل خاصّ من خلال شخص يسوع المسيح الذي ما زال أعظم من التاريخ. وهذا أمر لا نقبله بإيمان أعمى، ولكنْ من خلال البراهين المُقنعة.

هل نستطيع أنْ نُثبت أنّ يسوع هو ابن الله؟ الطريقة القانونيّة التاريخيّة هي الطريقة التي سنستخدمها للإجابة عن هذا السؤال. والسؤال الأساسيّ سيكون التالي: هل يمكننا أنْ نثق بمصداقيّة الشهادات والبراهين (مثلًا، مصداقيّة العهد الجديد)؟

الإيمان المسيحيّ ليس بإيمان أعمى إنّما إيمان يرتكز على ذكاء حادّ، وهذا ما جذبني نحوه.

من الأمور التي جذبتني (أنا جوش) نحو الإيمان المسيحيّ بشكل خاصّ، هو أنّه ليس بإيمان أعمى أو جاهل، إنّما هو إيمان يرتكز على ذكاء حادّ. في كلّ مرّة نقرأ عن شخصيّة كتابيّة مارست الإيمان، نجد بأنّ الإيمان المُمارس هو إيمان ذكيّ. قال يسوع: «تعرفون الحقّ،» (يوحنا ٨: ٣٢) ولا تجهلونه. سألوا يسوع مرّة: «أيّة وصيّة هي العظمى في الناموس؟» فأجاب يسوع: «تحبّ الربّ إلهك من كلّ قلبك ومن كلّ نفسك ومن كلّ فكرك.» (متّى ٢٢: ٣٦–٣٧). مشكلة أغلب الناس هي بأنّه يبدو عليهم أنّهم يحبّون الله فقط من كلّ قلوبهم، ولكنّ الحقائق المتعلّقة بالمسيح لا تصل إلى عقولهم أبدًا. لقد وهبنا الله عقلًا لنستطيع بقوّة الروح القدس أنْ نعرف الله، ووهبنا قلبًا يستطيع أنْ يحبّه وإرادة تختاره. علينا أنْ نستخدم هذه النواحي الثلاث لكي نتمتّع بعلاقة كاملة مع الله ونمجّده. أنا لا أعرف كيف هي الحال معك في علاقتك مع الله، لكنّ قلبي لا يقدر أنْ يفرح في أمر رفضه عقلي. لقد خلق الله قلبي وعقلي لكي يعملا بتناغم، ولا نجد شخصًا طُلب منه أنْ يرتكب انتحارًا فكريًّا في قبوله المسيح مُخلّصًا وربًّا.

سوف نبحث في الفصول الأربعة القادمة بالبراهين التي تؤكّد مصداقيّة الوثائق المكتوبة ومصداقيّة الشهادات الشفهيّة وشهادات شهود العيان عن يسوع.

ما رأيك؟

هل فكرة الإيمان الذكيّ أو المنطقيّ فكرة جديدة بالنسبة إليك؟ إنْ لم يكن الإيمان «أعمى أو جاهلًا، بل بالحري مبنيًّا على الفطنة والذكاء،» فما هو برأيك التعريف المناسب للإيمان؟

كلّ أسبوع مع الكاتب AR

Josh McDowell

* حمّل التطبيق Agapear واستخدم الكاميرا الخاصّة به.
* وجّه الكاميرا نحو الصورة لتشاهد بالفيديو ما يقدّمه الكاتب عن هذا الكتاب.
* يتطلّب التطبيق أنْ يكون هاتفك متّصلًا بشبكة الإنترنت.

Available on the App Store
GET IT ON Google Play

الفصل السادس

هل يمكن الاعتماد على الأسفار الكتابيّة؟

يُعتبر العهد الجديد المصدر الأساسيّ للمعلومات المتوفّرة لدينا عن يسوع. لهذا السبب، شنّ كثيرون من النقّاد حربًا على مصداقيّة أسفار الكتاب المقدّس. ويبدو أنّهم مستمرّون بوابلٍ من الاتّهامات التي ليس لها أساس تاريخيّ أو التي برهنت الاكتشافات والأبحاث الأثريّة عدم صحّتها.

بينما كنت في جامعة ولاية أريزونا، اقترب منّي أستاذ جامعيّ أتى بصحبة طلّابه في مادّة الأدب بعد أنْ ألقيت محاضرة في الهواء الطلق وقال لي: «يا سيّد ماكدويل، أنت تبني كلّ مزاعمك حول المسيح على وثائق عفا عليها الزمن وتعود إلى القرن الثاني، وقد برهنتُ اليوم لطلّابي أنّ العهد الجديد كُتب بعد المسيح بفترة طويلة وبالتالي يستحيل أنْ يكون ما ورد فيه دقيقًا.»

فأجبته قائلًا: «أنا أفهم وجهة نظرك، وأعرف الكتب التي استخدمتها لتصلَ إلى هذا الاستنتاج. ولكنْ في الواقع، لقد تمّ إثبات أنّ هذه الكتب كانت خاطئة بواسطة الوثائق التي تمّ اكتشافها مؤخّرًا والتي تُظهر بكلّ وضوح أنّ العهد الجديد كُتب خلال الجيل الأوّل من زمن المسيح.»

لقد أكّدت الاكتشافات الأثريّة في القرن العشرين دقّة مخطوطات العهد الجديد.

إنّ المصدر الذي استخدمه هذا الأستاذ الجامعيّ حول الوثائق المختصّة بيسوع هي كتابات تعود إلى ناقد ألماني اسمه فرديناند كريستيان بور. لقد افترض بور أنّ أغلب أسفار العهد الجديد لم تُكتب إلّا في مرحلة متأخّرة من القرن الثاني الميلاديّ، وبأنّها مأخوذة من خرافات وأساطير نشأت خلال الفترة الطويلة الممتدّة بين حياة يسوع والوقت الذي دُوّنت فيه هذه الروايات.

بحلول القرن العشرين، أكّدت الاكتشافات الأثريّة دقّة مخطوطات العهد الجديد. كانت مخطوطات ورق البرديّ الأولى (مخطوطة جون رايلاند، ١٣٠ ب. م.، مخطوطة تشيستر بيتي، ١٥٥ ب. م.، ومخطوطة بودمر بابيري الثانية، ٢٠٠ ب. م.) بمثابة جسر بين زمن المسيح والمخطوطات التي تعود إلى وقت لاحق.

يقول ميللر بوروز، وهو معلّم مادّة اللاهوت الكتابيّ في جامعة يال اللاهوتيّة:

> النتيجة الأخرى التي نشأت عن مقارنة العهد الجديد المدوّن باللغة اليونانيّة بلغة مخطوطات ورق البردي الجديدة المكتشفة، أدّت إلى ازدياد ثقتنا في النقل الدقيق لنصوص العهد الجديد نفسه.[١]

لقد زادت هذه الوقائع المكتشفة ثقة الباحثين في الكتاب المقدّس ومصداقيّته.

كتب وليام ف. ألبرايت الذي كان أعظم عالم آثار للكتاب المقدّس عرفه التاريخ:

> نستطيع أنْ نقول بكلّ ثقة بأنّه لم يعد يوجد أيّ أساس ثابت لتأريخ أيّ سفر من أسفار العهد الجديد إلى ما بعد عام ٨٠ ميلادي، أيّ قبل جيلَين كاملَين من التاريخ الذي يضعه النقّاد الأكثر تشدّدًا للعهد الجديد وهو بين ١٣٠ و١٥٠ ب. م.[٢]

وقد أعاد تأكيد موقفه في مقابلة أجرتها معه مجلّة «المسيحيّة اليوم.»

> برأيي، لقد كُتب كلّ سفر من أسفار العهد الجديد على أيدي يهود آمنوا واعتمدوا بين أربعينيّات وثمانينيّات القرن الأوّل للميلاد (على الأرجح بين ٥٠ و٧٥ ب. م.)[٣]

يُعتبر السير وليام رامزي أحد أعظم علماء الآثار على الإطلاق، وكان تلميذًا في المدرسة التاريخيّة الألمانيّة التي كانت تعلّم أنّ سفر أعمال الرسل هو نتاج منتصف

القرن الثاني للميلاد، وبأنّه ليس من القرن الأوّل كما يُستدلّ من قراءته. اقتنع رامزي بعد قراءته كتب النقد الحديث أنّه لا يمكن الوثوق بهذا السفر فيما يختصّ بالأحداث التي دوّنها والتي حدثت سنة ٥٠ ب. م.، لهذا السبب، هو كتاب غير جدير بأنْ يثق به أيّ مؤرّخ. لذلك لم يعرْ اهتمامًا كبيرًا بالعهد الجديد خلال بحثه عن تاريخ آسيا الصغرى. غير أنّ تحقيقاته وأبحاثه قادته في النهاية ليأخذ ما كتبه لوقا، كاتب سفر أعمال الرسل، على محمل الجدّ. فلاحظ عالِم الآثار هذا دقّة التفاصيل التاريخيّة المتناهية، وبدأ تدريجيًّا بتغيير رأيه بخصوص سفر أعمال الرسل. واضطرّ أخيرًا أنْ يستنتج بأنّ لوقا هو مؤرّخ من الدرجة الأولى... ويجب أنْ يوضع بين مصاف أعظم المؤرّخين.

> وبسبب دقّة التفاصيل الواردة في هذا السفر، اعترف رامزي بأنّه لا يمكن أنْ يكون سفر أعمال الرسل وثيقة من القرن الثاني إنّما يعود إلى منتصف القرن الأوّل.[٤]

يجد كثيرون من علماء اللاهوت المتحرّرين أنفسهم مُجبرين أنْ يأخذوا بعين الاعتبار التواريخ الأقدم لتدوين العهد الجديد. إنّ النتائج التي توصّل إليها الأسقف الأنغليكاني الراحل جون أ. ت. روبنسون في كتابه «إعادة تاريخ العهد الجديد» مُذهلة إلى حدّ بعيد. فقد قاد بحثه إلى قناعة بأنّ كلّ العهد الجديد كُتب قبل سقوط أورشليم عام ٧٠ ب. م.[٥]

يقول نقّاد المدرسة الشكليّة الذين يقومون بتحليل الكتب الأدبيّة القديمة والتقاليد الشفهيّة الكامنة وراء الكتاب المقدّس، إنّ مادّة العهد الجديد انتقلت شفهيًّا إلى أنْ تمّ تدوينها كما نجدها الآن في شكل الأناجيل الأربعة. ومع أنّهم يُقرّون الآن بأنّ هذه الفترة أقصر بكثير ممّا كانوا يعتقدون سابقًا، ما زالوا يستنتجون بأنّ الأناجيل الأربعة اتّخذت شكل الأدب الشعبيّ الفولكلوريّ (أساطير وقصص وخرافات وأمثال).

ما رأيك؟

هل لفت انتباهك أيّ اكتشافات أثريّة للكتاب المقدّس في السنوات الأخيرة؟ لماذا تتصدّر هذه الاكتشافات دائمًا عناوين الصفحات الأولى حول العالم؟

أحد أهمّ الانتقادات الرئيسيّة ضدّ قول النقّاد الشكليّين بتطوّر التقليد الشفهيّ هو أنّ الفترة الممتدّة بين أحداث العهد الجديد وتدوينها ليست طويلة بما يكفي للسماح بتغيير الأحداث الواقعيّة إلى خرافات كما يزعم هؤلاء النقّاد. وبالكلام عن قُصر هذه الفترة، كتب سيمون كستاميكر وهو المعلّم الفخريّ لمادّة العهد الجديد في معهد الإصلاح اللاهوتيّ التالي:

> يستغرق تراكم الأحداث الفولكلوريّة في الحضارات البدائيّة عدّة أجيال، فهي عمليّة تدريجيّة تمتدّ على قرون من الزمن. ولكن، إنْ اتفقنا مع النقّاد الشكليّين، علينا أنْ نستنتج أنّ روايات العهد الجديد كُتبت وجُمعت في مدّة تزيد قليلًا عن جيل واحد. وبحسب المنهج النقديّ الشكليّ، يجب الإدراك بأنّ صياغة كلّ إنجيل من الأناجيل الأربعة هو مشروع واسع النطاق ذو مسار متسارع من الأحداث.[٦]

تحدّى أ. هـ. ماكنيل، الأستاذ الملكيّ السابق لعلم اللاهوت في جامعة دبلن، مفهوم النقّاد الشكليّين للتقليد الشفهيّ. أشار إلى أنّ النقّاد الشكليّين لا يتعاملون مع تقليد كلمات يسوع عن كثب كما ينبغي، فقد كان حفظ كلمات المعلّم الحرفيّة أمرًا هامًّا في الثقافة اليهوديّة لنقلها للأجيال القادمة. مثلًا، نجد في ١ كورنثوس ٧: ١٠، ١٢ و٢٥ تقليدًا حقيقيًّا وكيفيّة المحافظة عليه بحذر. لقد جرت العادة أنْ يحفظ تلميذ المعلّم اليهوديّ تعاليمه، وكان التلميذ الجيّد «كوعاء متين لا يرشح منه الماء» (ميشنا، أبوث، ii، ٨). وإذا اعتمدنا على نظريّة سي. أف، بورني في كتابه «الشعر في كلام ربّنا»، سنستطيع أنْ نفترض بأنّ كثيرًا من تعاليم الربّ كانت بصيغة الشعر الآرامي، ممّا يسهّل على الناس حفظها. وهكذا يستحيل في ثقافة مثل هذه أنْ تظهر خرافات لا تمتّ بصلة إلى الحقائق في وقت قصير مثل هذا.[٧]

يتّفق على هذا الأمر علماء لاهوت آخرون. كتب بول ل. ماير، وهو أستاذ مادّة التاريخ القديم في جامعة ميشغن الغربيّة: «إنّ الرأي القائل بأنّ المسيحيّة أنجبت أسطورة الفصح خلال فترة طويلة من الزمن، أو بأنّ الإنجيل قد كُتب بعد سنوات كثيرة من هذه الأحداث، هو رأي غير صحيح.»[٨] كتب ألبرايت في تحليله للنقد الشكليّ: «يستطيع فقط الباحثون العصريّون الذين يفتقرون إلى المنهج التاريخيّ

كان حفظ كلمات المعلّم الحرفيّة أمرًا هامًّا في الثقافة اليهوديّة لنقلها للأجيال القادمة.

والمنظور التاريخيّ، أنْ ينسجوا مثل هذا النسيج من التساؤل والشكّ حول تقليد الإنجيل.» وكان استنتاج ألبرايت الخاصّ بأنّ «الفترة الممتدّة من عشرين إلى خمسين سنة هي فترة قصيرة جدًّا من أنْ تسمح بأيّ تحريف للمحتوى الأساسيّ، أو حتّى للكلمات الحرفيّة التي نطق بها يسوع.»[٩] وكتب جفري ل. شيلر، وهو الكاتب الدينيّ لمجلة "أخبار الولايات المتّحدة وتقارير العالم": «الكتاب المقدّس ومصادره متجذّرة في التاريخ.»[١٠]

أربعة أناجيل أم عشرون إنجيلًا؟

ادّعى دان براون بكلّ جرأة، وهو كاتب الرواية المثيرة للجدل دا فينشي كود: «كان بين أيديهم أكثر من ثمانية أناجيل للعهد الجديد، ومع هذا اختاروا منها أربعة لوضعها فيه وهي: متّى ومرقس ولوقا ويوحنا.»[١١] وفي عام ١٩٩٠، نشر «ندوة يسوع» كتابًا بعنوان «الأناجيل الكاملة» وادّعوا أنّه الإصدار الأوّل لعشرين إنجيلًا معروفًا من الحقبة المسيحيّة الأولى. ومن أهمّها: إنجيل توما ويهوذا وفيلبّس وبطرس ومريم. كان قصدهم واضحًا وهو أنّ هذه النصوص القديمة تُعطي رأيًا مختلفًا عن يسوع ولها قيمة النصوص التقليديّة الأخرى نفسها التي تبنّتها الكنيسة. هل لهذه الادّعاءات أيّ أساس من الصحّة؟ هل فقدت الأناجيل الأربعة تميّزها بأنّها النصوص الحصريّة التي تكلّمت عن حياة وخدمة يسوع؟ هل تُغيِّر هذه الأناجيل التي تمّ اكتشافها مؤخّرًا مفهومنا عن المسيحيّة؟

قد تبدو لنا هذه المزاعم غير اعتياديّة ومثيرة للجدل، إلّا أنّها تتحطّم تحت ثقل التحليل التاريخيّ لها. لقد استنتج المؤرّخ فيليب جانكينز في كتابه «الأناجيل الخفيّة» بأنّ: «الفكرة التي تقول بأنّ الأناجيل المختلفة غير القانونيّة تُعتبَر شهادات صالحة للمسيحيّة الأولى هي فكرة معيبة.»[١٢] إنّ التحدّي الأكبر الذي يواجهنا هو تاريخها المتأخّر. فالأناجيل الأربعة كلّها كُتبت خلال القرن الأوّل، إلّا أنّ كلّ البراهين تدلّ إلى أنّ الأناجيل الأخرى كُتبت بين عام ١٢٠ و٢٥٠ ب. م.، أيْ بعد ثلاثة أجيال على الأقل من حياة المسيح.

بما أنّ هذه النصوص قد كُتبت بتاريخ متأخّر جدًّا عن الأناجيل التقليديّة الأربعة، فمِنْ غير المحتمل أنّها تحتوي على أيّ معلومات جديدة حول تاريخيّة يسوع المسيح. لهذا السبب يَخلُص عالِم العهد الجديد، البروفسور كراغ أ. إيفنز إلى: «أنّ سجلّ المسار الأكاديميّ لهذه الأناجيل غير القانونيّة هو مُحرج بكلّ صراحة... لقد اكتشفنا أنّ هذه الأناجيل غير القانونيّة لا تقدّم لنا معلومات قديمة موثوق بها غير موجودة في أناجيل العهد الجديد.»[١٣]

ما رأيك؟

هل تعطي أيّ مصداقيّة للكتب والمقالات والبرامج التلفزيونيّة الوثائقيّة التي تعتمد على مصادر ومعلومات من خارج الكتاب المقدّس بخصوص مصداقيّة وتاريخيّة يسوع؟ كيف تقارن البراهين التاريخيّة عن يسوع مع شخصيّات أخرى ذائعة الصيت؟

غالبًا ما يقول لي غير المسيحيّين بأنّنا لا نقدر أنْ نثق بما يقوله الكتاب المقدّس. يقولون: «لماذا نثق به؟ فقد كُتب منذ أكثر من ألفي سنة وهو مليء بالأخطاء والتناقضات.» فأجيبهم بأنّي أستطيع أنْ أثق بالكتاب المقدّس. ثمّ أصف لهم حادثة جرت معي خلال محاضرة كنت ألقيها في صفّ التاريخ. قلت في محاضرتي بأنّه يوجد براهين متعلّقة بمصداقيّة العهد الجديد أكثر من أيّ عشر وثائق كلاسيكيّة أدبيّة مجتمعة.

جلس البروفيسور في زاوية الصفّ يسخر كما لو أنّه يقول: «لا يُمكن أنْ أصدّق أنّك فعلًا تؤمن بهذا الكلام.» سألته عن الأمر الذي يجعله يسخر، فأجابني: «لا أقدر أنْ أصدّق بأنّك تتجرّأ بأنْ تقول في صفّ للتاريخ بأنّه يُمكن الوثوق بالعهد الجديد. هذا أمر سخيف!»

أردت البحث عن أرض مشتركة لأتابع حوارًا مُحترمًا معه، فطرحت عليه هذا السؤال: «قُل لي، يا سيّد، كونك مؤرّخًا، ما هي الاختبارات التي تقوم بها للكتابات التاريخيّة لتحدّد دقّتها وإن كان يُمكن الوثوق بها أم لا؟» دُهشت لأنّه لا يُجري أيّ اختبار. في الواقع،

انتظرت أنْ أحصل منه على إجابة إيجابيّة لهذا السؤال، فقلت له: «لديّ بعض الاختبارات.» ثمّ أخبرته بأنّي مقتنع بشدّة بأنّه يجب علينا أنْ نمتحن المصداقيّة التاريخيّة للكتاب المقدّس باستخدام المعايير نفسها التي نطبّقها على الوثائق التاريخيّة. يذكر المؤرّخ العسكريّ تشونسي ساندرز ثلاثة اختبارات أساسيّة لكتابة الأحداث التاريخيّة ويشرحها: الاختبار المخطوطيّ، واختبار الدليل الداخليّ، واختبار الدليل الخارجيّ.[١٤] فلنمتحن كلّ واحد منها على حدة.

الاختبار المخطوطيّ

الاختبار المخطوطيّ هو فحص لعمليّة النقل الحرفيّ للوثائق والمخطوطات القديمة التي تصلنا من الماضي. بكلمات أخرى، في غياب المخطوطات الأصليّة، علينا أنْ نطرح الأسئلة التالية: ما مدى مصداقيّة النُسَخ التي معنا؟ ما عدد المخطوطات التي وصلتنا؟ ما هي الفترة الزمنيّة الفاصلة بين النُسخة الأصليّة والنُسخة الموجودة فعلًا؟

نستطيع أنْ نقدّر الثروة الهائلة للمخطوطات التي تثبت سلطان العهد الجديد بمقارنتها مع نصوص أخرى متاحة لنا لدعم مصادر قديمة مشهورة أخرى.

إنّ تاريخ ثوسيدايدس (٤٦٠–٤٠٠ ق. م.) متوفّر بين أيدينا في ثماني مخطوطات يرجع تاريخها إلى حوالي ٩٠٠ ب. م.، أي بعد حوالي ١,٣٠٠ عامًا من كتابته لمخطوطته الأصليّة. كما أنّ المخطوطات التي تعود لهيرودوتس متأخّرة كثيرًا عن تاريخ كتابته للنُسخة الأصليّة، بالإضافة إلى أنّها نادرة. غير أنّ ف. ف. بروس، أستاذ مادّة النقد الكتابيّ ومادّة علم التفسير في جامعة مانشستر يقول:

لا يمكن لأيّ باحث كلاسيكيّ أنْ يلتفت إلى أيّ رأي أو قول يشكّك في مصداقيّة كتابات هيرودوتس وثوسيدايدس وحقيقتها، لأنّ أقدم نُسَخ لمخطوطاتهم التي نستطيع العودة إليها، تعود في تاريخها إلى ما يزيد عن ١,٣٠٠ عامًا من تاريخ كتابة النُسَخ الأصليّة.

- ف. ف. بروس

لا يمكن لأيّ باحث كلاسيكيّ أنْ يلتفت إلى أيّ رأي أو قول يشكّك في مصداقيّة كتابات هيرودوتس وثوسيدايدس وحقيقتها لأنّ أقدم نسخ لمخطوطاتهم التي نستطيع العودة إليها، تعود في تاريخها إلى ما يزيد عن ١,٣٠٠ عامًا من تاريخ كتابة النسخ الأصليّة.[١٥]

كتب أرسطو أشعاره حوالي ٣٤٣ ق. م. غير أنّ أقدم نسخة متوفّرة لدينا عنها تعود إلى ١,١٠٠ ب. م. (هنالك فجوة زمنيّة تبلغ حوالي ١,٤٠٠ سنة) كما أنّه لا يوجد إلّا تسع وأربعون نسخة من هذه المخطوطات.

كتب سيزار كتابًا عن تاريخ الحروب الغاليّة بين ٥٨ و٥٠ ق. م.، وتعتمد مصداقيّته على عشر مخطوطات يعود تاريخها إلى ألف سنة بعد وفاته.

يقول بروس ماتزغر مؤلّف ومحرّر خمسين كتابًا حول سلطان مخطوطات العهد الجديد:

لنأخذ مثلًا تاسيتوس المؤرّخ الرومانيّ الذي كتب «سجلّات أحداث الإمبراطوريّة الرومانيّة» حوالي عام ١١٦ ب. م. ما زالت كتبه الستّة الأولى موجودة اليوم في مخطوطة واحدة، وقد تمّ نسخها حوالي عام ٨٥٠ ب. م. أمّا كتبه الحادي عشر حتّى السادس عشر فهي موجودة في مخطوطة أخرى يعود تاريخها للقرن الحادي عشر. الكتب من السابع حتّى العاشر كلّها مفقودة. إذًا، يوجد فترة زمنيّة طويلة بين الوقت الذي كتب فيه تاسيتوس معلوماته وزمن النسخ الموجودة بين أيدينا.

أمّا بالنسبة إلى مؤرّخ القرن الأوّل يوسيفيوس، فلدينا تسع مخطوطات يونانيّة لكتابه «الحرب اليهوديّة» وقد كُتبت هذه النسخ في القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر. كما يوجد ترجمة لاتينيّة لكتابه تعود للقرن الرابع وموادّ روسيّة من القرون الوسطى يعود تاريخها إلى القرن الحادي عشر أو الثاني عشر.

ويعترف ماتزغر قائلًا: «إنّ كمّيّة المادّة المكتوبة في العهد الجديد مُحرجة جدًّا بالمقارنة مع كمّيّات المواد الأخرى المكتوبة في المخطوطات القديمة.»[١٦]

حين ألّفت هذا الكتاب للمرّة الأولى عام ١٩٧٧، استطعت توثيق ٤,٦٠٠ مخطوطة يونانيّة للكتاب المقدّس، وهي كمّيّة كبيرة جدًّا بالمقارنة مع أيّ كتاب آخر قديم. ولكن، عندما بدأت بكتابة هذه النسخة الجديدة للكتاب، كان قد تمّ اكتشاف مخطوطات يونانيّة أخرى حيث أستطيع الآن توثيق أكثر من ٥,٦٠٠ مخطوطة.

يقول دانيال والاس، أستاذ مادّة دراسات العهد الجديد في جامعة دالاس اللاهوتيّة وواحد من أهمّ المراجع العالميّة للنصوص اليونانيّة ومخطوطات العهد الجديد:

لقد تمّ اكتشاف أكثر من ٢٠٠ مخطوطة للكتاب المقدّس (٩٠ منها للعهد الجديد) في سيناء عام ١٩٧٥ بعد أنْ تمّ الكشف عن حجرة مخفيّة في برج القديس جاورجيوس. بعض هذه المخطوطات قديمة جدًّا، وتؤكّد كلّها أنّ عمليّة نسخ ونقل مخطوطات العهد الجديد قد تمّت بعناية فائقة وبأنّ الله قادر أنْ يحميها من التلف. بالإضافة إلى هذه المخطوطات، يوجد ٥٠ ألف رقعة مختومة في صناديق. ولقد وجد فيها العلماء أكثر من ٣٠ مخطوطة للعهد الجديد. ويعتقد العلماء أنّه يوجد الكثير غيرها.[١٧]

ما رأيك؟
هل تعتقد – أنت أو أيّ شخص آخر – أنّه لا يمكن الوثوق بالكتاب المقدّس لأنّ نصوصه قديمة جدًّا؟ هل يوجد نصوص قديمة أخرى غير كتابيّة تثق بها؟

فيما يختصّ بسلطة مخطوطات العهد الجديد، فإنّ وفرة المواد أمر مُذهل حقًّا بالمقارنة مع المخطوطات المتوفّرة لأيّ كتب كلاسيكيّة قديمة أخرى. بعد اكتشاف مخطوطات ورق البرديّ الأولى التي كانت بمثابة جسر

للهوّة الموجودة بين زمن المسيح والقرن الثاني، ظهر إلى العلن كمٌّ هائل من المخطوطات الأخرى، إذْ يوجد منذ العام ٢٠٠٩ أكثر من عشرين ألف نسخة لمخطوطات العهد الجديد. أمّا الإلياذة، وهي في المرتبة الثانية بمخطوطاتها بعد العهد الجديد، فلا يوجد منها إلّا ٦٤٣ نسخة.

يوجد منذ العام ٢٠٠٩ أكثر من عشرين ألف نسخة لمخطوطات العهد الجديد. أمّا الإلياذة، وهي في المرتبة الثانية بمخطوطاتها بعد العهد الجديد، فلا يوجد منها إلّا ٦٤٣ نسخة.

يقول العالم جايكوب كلوسنر: «لو كان بحوزتنا مصادر قديمة لتاريخ الإسكندر أو القيصر كمصادر الأناجيل، فلن نشكّ بهما على الإطلاق.»[١٨]

وكتب السير فريدريك كينيون الذي كان يشغل منصب مدير المتحف البريطاني، وهو أكثر الخبراء جدارة بالثقة دون منازع فيما يختصّ بالحكم على المخطوطات:

> إنّ الفترة بين تاريخ كتابة العهد الجديد وأقدم المخطوطات الموجودة لدينا الآن قصيرة جدًّا بحيث لا تُذكر. ولقد زال الآن آخر أساس لأيّ شك في أنّ أسفار العهد الجديد قد وصلت إلينا كما كُتبت أصلًا. وبالتالي، يُمكن الاعتبار بأنّ أصالة أسفار العهد الجديد ومصداقيّتها بشكل عام قد تحقّقت أخيرًا.[١٩]

يوافق آخرون أيضًا على هذا الاستنتاج، إذْ يقول الأسقف الأنغليكانيّ ومؤرّخ العهد الجديد ستيفن نايل: «إنّ نصوص العهد الجديد هي مصادر موثوق بها أكثر من أيّ نصوص أخرى لأعمال قديمة.»[٢٠]

كريغ بلومبرغ الذي كان يشغل منصب رئيس قسم الأبحاث في جامعة كامبردج في إنكلترا، وهو الآن أستاذ مادّة العهد الجديد في كلّيّة دنفر اللاهوتيّة، يشرح بأنّه «تمّ المحافظة على نصوص العهد الجديد بعناية أكبر من أيّ وثيقة قديمة أخرى.» ويستنتج بلومبرغ بأنّه «يُمكن إعادة كتابة العهد الجديد بنسبة ٩٧٪ إلى ٩٩٪ من دون أدنى شكّ.»[٢١]

يُضيف جي. هارولد جرينلي عالم اللغة اليونانيّة في العهد الجديد قائلًا:

> بما أنّ الباحثين يقبلون الكتابات الكلاسيكيّة القديمة على أنّها جديرة بالثقة بشكل عام، على الرغم من أنّ أقدم المخطوطات المنسوخة عنها قد نُسخت بعدها بزمن طويل وأنّ عدد هذه المخطوطات المنسوخة قليل جدًّا، فإنّ من الواضح أنّ مصداقيّة نصّ العهد الجديد أكيدة أيضًا.[٢٢]

يؤكّد لنا تطبيق الاختبار المخطوطيّ على العهد الجديد، بأنّ للعهد الجديد مصداقيّة أكثر لأنّه يعتمد على مخطوطات أكثر من أيّ عمل أدبيّ قديم. وإذا أضفنا إلى ذلك الأبحاث والدراسات النقديّة المكثّفة لنصوص العهد الجديد على امتداد ما يزيد عن مائة وثلاثين عامًا، فإنّ المرء يستطيع أنْ يخلص إلى أنّنا أثبتنا أنّ نصّ العهد الجديد كما هو متوفّر بين أيدينا اليوم حقيقيّ وصحيح وجدير بالثقة.

ماذا عن الاختلافات الموجودة في الكتاب المقدّس؟

أطلق الناقد النصّيّ بارت ايهرمان عاصفة جدل ناريّة في عام ٢٠٠٥ مع إطلاقه كتابًا حقّق أفضل المبيعات بعنوان «اقتباسات خاطئة عن يسوع». زعم بكلّ بساطة أنّه يوجد أخطاء كثيرة في مخطوطات الكتاب المقدّس لدرجة لا نقدر بعدها أنْ نعيد كتابة النصّ الأصليّ. ويزعم ايهرمان أنّ بعض هذه الأخطاء كانت عرضيّة، بينما البعض الآخر كان مقصودًا، وبالتالي لا يمكننا الوثوق بالعهد الجديد كما نعرفه اليوم.

النقطة الأساسيّة التي يُشير إليها إيهرمان هي وجود ٣٠٠,٠٠٠ إلى ٤٠٠,٠٠٠ اختلاف بين نصوص مخطوطات العهد الجديد. والمقصود بكلمة «اختلاف» في النصوص هو استخدام العهد الجديد لكلمة في النصّ نفسه تختلف عن كلمة أخرى. يحتوي كتاب العهد الجديد اليوناني اليوم حوالي ١٣٨,٠٠٠ كلمة، وفكرة وجود كلمتين أو ثلاث كلمات مختلفة عن بعضها هو أمر مزعج حقًّا. ولكنْ ينبغي علينا أنْ نُدرك بأنّ العدد الأكبر من هذه الاختلافات هو نتيجة مباشرة للكمّ الهائل من نسخ العهد الجديد التي نمتلكها، إذْ لا يوجد أيّ نصّ

قديم آخر له مخطوطات بهذه الكمّيّة الهائلة. فكلّما زاد عدد المخطوطات، زادت أخطاؤها. وكلّما نقص عدد المخطوطات، نقصت أخطاؤها. ولكنْ هذه ليست الصورة الكاملة لما يحدث، لأنّه حين نتأمّل عن كثب بهذه الاختلافات، نجد أنّ الأمر يختلف تمامًا عمّا يبدو عليه.

إنّ الجزء الأكبر من هذه الاختلافات هو الاختلافات الإملائيّة للكلمات. فالاسم يوحنّا على صعيد المثال، يُمكن أنْ يكون حنّا. ويمكننا بكلّ تأكيد القول بأنّ هذا النوع من الاختلافات لا يشكّل أيّ اختلاف في المعنى. إنّ نسبة الاختلافات الإملائيّة تصل إلى ٧٥٪ تقريبًا من مجموع كلّ الاختلافات،[٢٣] أيّ ٢٢٥,٠٠٠ إلى ٣٠٠,٠٠٠ اختلاف! والجزء الثاني الأكبر من هذه الاختلافات هو استخدام المخطوطات لمرادفات مختلفة. مثلًا، تُشير بعض المخطوطات إلى يسوع باسمه، بينما مخطوطات أخرى تشير إليه بكلمة ربّ أو بالضمير هو. هذا النوع من الاختلافات لا يشكّل أيضًا أيّ خطر على فهم معنى النصّ.

وحين نتأمّل بكلّ الاختلافات الأخرى، نجد أنّ ١٪ منها فقط قد يؤثّر في معنى النصّ. ولكنْ حتّى هذا القول مُبالغ فيه. مثلًا، يوجد اختلاف في ترجمة ١ يوحنا ١: ٤. فبعض المخطوطات تقول: «ونكتب لكم هذا لكي يكون فرحنا كاملًا.» ومخطوطات أخرى تقول: «ونكتب لكم هذا لكي يكون فرحكم كاملًا.» فمع أنّ هذا الاختلاف يؤثّر في معنى النصّ، إلّا أنّه لا يشكّل خطرًا على أيّ عقيدة أساسيّة في الإيمان المسيحيّ. لهذا السبب، يستنتج مؤلّفو كتاب «إعادة اختراع يسوع» التالي: «إنّ الإجابة المُختصرة عن السؤال الذي يُطرح: ما هي الحقائق اللاهوتيّة المُعرّضة للخطر بسبب هذه الاختلافات؟ إنّها: لا شيء.»[٢٤] وهذا ينطبق مع ما قيل في هذا الفصل من الكتاب بأنّه يمكننا الوثوق بنصوص العهد الجديد ثقة عالية.

اختبار البرهان الداخليّ

يُثبت الاختبار المخطوطيّ أنّ النصّ الموجود بين يدينا اليوم مطابق للنصّ الأصليّ فقط. غير أنّه لا ينبغي علينا فقط أنْ نقرّر ما إذا كان يُمكن الوثوق بهذا السجلّ المكتوب، بل أيضًا إنْ كان قابلًا للتصديق وإلى أيّ مدى. وهذه هي وظيفة النقد الداخليّ الذي هو الاختبار الثاني الذي يذكره تشونسي ساندرز والذي يخصّ التاريخ.

يذكّرنا جون و. مونتغمري أنّ:

> علماء التاريخ والأدب ما زالوا يتبعون ما قاله أرسطو بوجوب تبرئة أيّ وثيقة من التّهم عند غياب الأدلّة القاطعة على عدم صحّتها، ولا يجب اعتبارها في مصلحة الناقد.

ويتابع مونتغمري قائلًا:

> يجب على المرء أنْ يستمع لمزاعم الوثيقة الخاضعة للتحليل من دون افتراض التزييف أو الخطأ، إلّا إذا حكم مؤلّف الوثيقة على نفسه بعدم الأهليّة لوجود التناقضات والمغالطات والمخالفات في وثيقته.[٢٥]

يوضح الدكتور لويس جوتشوك، الأستاذ السابق لمادّة التاريخ في جامعة شيكاغو منهجه التاريخيّ بدليل يستخدمه الكثيرون في تحقيقاتهم التاريخيّة. يقول جوتشوك بأنّ قدرة الكاتب أو الشاهد على قول الحقيقة، تساعد المؤرّخ على تقرير مصداقيّة شهادته، «حتّى لو كانت موجودة في وثيقة حصل عليها بالقوّة أو الاحتيال، أو كانت خالية من العيوب والأخطاء، أو مبنيّة على دليل من الإشاعات، أو كانت صادرة عن شاهد مهتمّ.[٢٦]

وترتبط هذه القدرة على قول الحقيقة ارتباطًا وثيقًا بقرب الشاهد الجغرافيّ والزمنيّ من الأحداث التي يسجّلها. لقد سُجّلت أحداث العهد الجديد وتعاليم يسوع من قِبَل أشخاص كانوا إمّا شهود عيان لها، أو ممّن كانت لهم علاقة بشهود العيان على هذه الأحداث وتعاليم يسوع. تأمّل بهذه الآيات من العهد الجديد:

> «إذْ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصّة في الأمور المتيقّنة عندنا، كما سلّمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخدّامًا للكلمة، رأيت أنا أيضًا إذ قد تتبّعت كلّ شيء من الأوّل بتدقيق أنْ أكتبَ على التوالي إليك أيّها العزيز ثاوفيلس.» (لوقا ١: ١–٣)

يعترف العلماء بدقّة لوقا في سرده للأحداث التاريخيّة. ويشرح جون ماكراي، أستاذ مادّة العهد الجديد والآثار في معهد ويتن قائلًا: «إنّ العلماء المتحرّرين والمحافظين يُجمعون معًا بأنّ لوقا مؤرّخ دقيق للغاية.»

> هو واسع المعرفة وبليغ في اللغة اليونانيّة، ويكتب كرجل مثقّف، والاكتشافات الأثريّة تُثبت يومًا بعد يوم أنّ لوقا كان دقيقًا للغاية في كلّ ما كتبه.[٢٧]

ولوقا ليس الكاتب الوحيد الذي كتب بدقّة متناهية في الكتاب المقدّس. تأمّل بما تقوله هذه الآيات:

> «لأنّنا لم نتبع خرافات مصنّعة إذ عرّفناكم بقوّة ربّنا يسوع المسيح ومجيئه بل قد كنّا معاينين عظمته.» (٢ بطرس ١: ١٦)

> «الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به لكي يكون لكم أيضًا شركة معنا. وأمّا شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح». (١ يوحنا ١: ٣)

> «والذي عاين شهد وشهادته حقّ وهو يعلم أنّه يقول الحقّ لتؤمنوا أنتم.» (يوحنا ١٩: ٣٥)

> «الذين أراهم أيضًا نفسه حيًّا ببراهين كثيرة بعدما تألّم وهو يظهر لهم أربعين يومًا ويتكلّم عن الأمور المختصّة بملكوت الله.» (أعمال الرسل ١: ٣)

> «لأنّنا نحن لا يُمكننا أنْ لا نتكلّم بما رأينا وسمعنا.» (أعمال الرسل ٤: ٢٠)

بعد التدقيق بخمس شهود عيان فقط (وهم متّى ويوحنا وبولس وبطرس ويعقوب)، يستنتج أستاذ مادّة الدفاعيّات لين غاردنر، أنّه بالمقارنة مع البراهين

الموجودة للكتب الأدبيّة القديمة: «لدينا مصادر أفضل بكثير عن يسوع الناصري.»[٢٨]

إنّ قرب الكُتّاب الشديد من الأحداث المسجّلة هو وسيلة فعّالة جدًّا للتصديق على دقّة شهادة شهود العيان، لأنّ ذاكرتهم ما زالت حيّة. غير أنّ على المؤرّخ أنْ يتعامل أيضًا مع شاهد العيان المُلزم بقول الحقيقة ولكنّه بوعي أو بدون وعي يقدّم شهادة كاذبة.

يلخّص مؤسّس معهد اللاهوت الإنجيليّ الجنوبيّ، الدكتور نورمن غايزلر شهادة شهود العيان على الشكل التالي:

> إنّ العدد الهائل لشهود العيان المستقلّين عن يسوع، بالإضافة إلى طبيعتهم ومصداقيّتهم، لا يتركان مجالًا للشكّ في مصداقيّة شهادة الرسل عن المسيح.[٢٩]

لقد تمّ تداول روايات العهد الجديد عن المسيح في زمن أشخاص كانوا على قيد الحياة في عهده. وقد كان بإمكان هؤلاء الناس أنْ يؤكّدوا صحّة هذه الروايات أو ينفوها. وحين كان الرسل يدافعون عن قضيّة الإنجيل أمام ألدّ خصومهم، أشاروا إلى المعلومات العامّة الشائعة فيما يتعلّق بالمسيح. فهم لم يكتفوا بالقول: «لقد رأينا ذلك» أو «سمعنا ذلك»، ولكنّهم تحدّوا نقّادهم وخصومهم بقولهم: «أنتم أيضًا تعرفون عن هذه الأمور.. وقد رأيتموها.» لاحظوا التحدّي الذي كانوا يطلقونه في مقاطع مثل هذه:

> «أيّها الرجال الإسرائيليّون، اسمعوا هذه الأقوال: يسوع الناصريّ رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوّات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم أيضًا تعلمون.» (أعمال الرسل ٢: ٢٢)

ما رأيك؟

بعد قراءة الشواهد الكتابيّة أعلاه من شهود العيان، ما هي الكلمات أو العبارات التي يستخدمونها والتي تجعلك تتحقّق عن كثب بما يزعمون؟ ما هي المشاعر التي تنضح من هذه الأحداث؟

«وبينما هو يحتجّ بهذا، قال فستوس بصوت عظيم: أنت تهذي يا بولس. الكتب الكثيرة تحوّلك إلى الهذيان. فقال: لست أهذي أيّها العزيز فستوس، بل أنطق بكلمات الصدق والصحو. لأنّه من جهة هذه الأمور، عالِمٌ المَلِك الذي أكلّمه جهارًا، إذ أنا لست أصدّق أنْ يَخفى عليه شيء من ذلك، لأنّه لم يُفعل في زاوية.» (أعمال الرسل ٢٦: ٢٤-٢٦)

من الأفضل أنْ يحذر الشخص حين يقول لخصمه: «أنت أيضًا تعلم هذا.» فلو لم يكن هنالك معرفة عامّة واتّفاق على الأحداث التي جرت، لانقلبت حجّته هذه ضدّه في الحوار:

يقول ف.ف. بروس بخصوص قيمة المصدر الرئيسيّ لمخطوطات العهد الجديد:

لم يكن وعّاظ الكنيسة الأولى يهتمّون بشهود العيان الودّيين فقط، فقد كان هنالك غيرهم من المطّلعين على حقائق خدمة يسوع وموته. ولكن لم يكن بإمكان التلاميذ أنْ يخاطروا بذكر أيّة تفاصيل غير دقيقة (ناهيك عن التلاعب المقصود بالحقائق) يمكن أنْ يكتشفها أعداؤهم ويشهّروا بها بكلّ فرح. لكنْ على النقيض من ذلك، نجد أنّ إحدى النقاط القويّة التي اعتمدوا عليها في وعظهم الرسوليّ الأصليّ هي ثقتهم بمعرفة مستمعيهم للأحداث التي تحدّثوا عنها. لم يكتفوا بالقول: «نحن شهود لهذه الأمور» ولكنّهم قالوا أيضًا «كما أنتم أيضًا تعلمون» (أعمال ٢: ٢٢). فلو ظهر أيّ مَيل لدى التلاميذ إلى الابتعاد عن الحقائق بأيّ طريقة ما، فإنّ الوجود المحتمل لأيّ شهود من خصومهم بين الجمهور سيكون عاملًا مقاومًا آخر لقضيّتهم.»[٣٠]

يعلّق لورنس جي. ماكنلي من جامعة القدّيس بطرس عن قيمة الشهود المعادين (شهود الخصوم) وعلاقتهم بالأحداث المسجّلة قائلًا:

أوّلًا وقبل كلّ شيء، كان شهود الأحداث التي نتكلّم عنها على قيد الحياة عندما اكتمل تشكيل التقليد، وقد كان من بينهم أعداء لدودين لهذه الحركة الدينيّة الجديدة. غير أنّ التقليد زعم أنّه يروي سلسلة معروفة من الأعمال والأحداث وتعاليم عُلّمت جهارًا في وقت يمكن فيه تحدّي مثل هذه المزاعم لو كانت غير صحيحة. [٣١]

كانت أخبار العهد الجديد عن المسيح متداولة خلال حياته وحياة معاصريه. بالتالي، فهم بالتالي يقدرون أنْ يؤكّدوا أو أنْ يَنفوا الوقائع الدقيقة المذكورة في روايات الرسل.

لهذا السبب، يصف المؤرّخ المشهور دايفيد هاكت فيشر، أستاذ مادّة التاريخ في جامعة براندیز، شهادة الرسل كشهود عيان بأنّها «أفضل برهان.»[٣٢]

ويستنتج أستاذ مادّة العهد الجديد في جامعة شيكاغو، العالم روبرت غرانت التالي:

في الوقت الذي كُتبت فيه (الأناجيل الإزائيّة) أو في الوقت الذي يُفترض بأنّها قد كُتبت، كان شهود العيان أحياء يُرزقون، ولم يتمّ تجاهل شهادتهم بالكامل... وهذا يعني أنّه يجب علينا اعتبار الأناجيل كشهادة موثوق بها إلى حدّ بعيد فيما يختصّ بحياة وموت وقيامة يسوع.[٣٣]

وكتب المؤرّخ ويل ديورانت الذي تدرّب جيّدًا على عمليّة التحقيق التاريخيّ وأمضى حياته في تحليل الوثائق الأثريّة:

على الرغم من وجهة النظر غير المحايدة وسوء الفهم اللاهوتيّ التي يبديها كاتبو الأناجيل، إلّا أنّهم يسجّلون حوادث كثيرة كان

يمكن لغيرهم أنْ يخفوها، كتنافس التلاميذ على من سيحتلّ أعظم مكان في الملكوت، وهربهم بعد القبض على يسوع، وإنكار بطرس له، وعدم قدرة المسيح على القيام بمعجزات في الجليل، وإشارات بعض الناس إلى احتمال كونه مجنونًا، وما بدا لهم من عدم تأكّده المبكر من مهمّته، واعترافه بعدم معرفة المستقبل، ولحظات حزنه، وصرخته اليائسة على الصليب؛ فإنّ أحدًا لا يستطيع أنْ يقرأ هذه المشاهد ويشكّ في حقيقة الشخصيّة التي تقف وراءها. إنّ فكرة اختراع رجال بسطاء اجتمعوا في جيل واحد لمثل هذه الشخصيّة القويّة الجذابة السامية الأخلاقيّة وهذه الرؤيا المُلهِمة عن الأخوّة الإنسانيّة، هي في حدّ ذاتها معجزة أقلّ قابليّة للتصديق من أيّ شيء آخر سُجّل في الأناجيل. لقد بقيت الخطوط العريضة لحياة يسوع وشخصيّته وأعماله بعد قرنين من «النقد العالي» واضحة وضوحًا كبيرًا، وتشكّل أكثر شخصيّة مبهرة في تاريخ الإنسان الغربي.»[٣٤]

اختبار البرهان الخارجيّ

الاختبار الثالث للصحّة التاريخيّة هو البرهان الخارجيّ. والقضيّة المطروحة هنا هي مسألة وجود مواد تاريخيّة أخرى تؤكّد أو تنفي شهادة الوثائق نفسها. بكلمات أخرى، هل توجد لدينا أيّ مصادر أخرى، غير الوثائق والسجلّات الأدبيّة التي هي موضوع تحليلنا ودراستنا، ثبّتت صحّة هذه الوثائق ودقّتها ومصداقيّتها؟

قال جوتشوك إنّ «التوافق أو الانسجام مع الحقائق التاريخيّة أو العلميّة الأخرى المعروفة، غالبًا ما يكون هو الاختبار الحاسم للبرهان، سواءً تعلّق الأمر بشاهد واحد أو أكثر.» [٣٥]

يُثبِت صديقان كانا تلميذَي الرسول يوحنا، البرهان الداخليّ كما رواه يوحنا. حفظ المؤرخ يوسيبيوس كتابات بابياس مطران هيرابوليس (١٣٠ ب. م.) الذي قال:

«كان الشيخ (الرسول يوحنا) معتادًا أنْ يقول أيضًا: كان مرقس مترجم بطرس وكاتبه، وهو الذي دوّن بدقة كلّ ما ذكره (بطرس)

سواء كان أقوال المسيح أو أعماله، لكن دون ترتيب زمنيّ، لأنّه لم يكن من الذين سمعوا الربّ أو رافقوه. لكنّي رافقت بطرس بعد ذلك وهو الذي صاغ هذه الأمور كما تقتضي الضرورة. فمرقس إذًا، لم يرتكب أيّ خطأ عندما كتب بطريقته بعض الأمور كما سمعها، فقد كان همّه الوحيد ألّا يحذف شيئًا ممّا سمع، وألّا يُدخل أيّ شيء غير صحيح فيه.»[٣٦]

الصديق الثاني ليوحنا هو أحد تلامذته واسمه بوليكاربوس الذي أصبح مطران سميرنا وكان مسيحيًّا منذ ست وثمانين سنة. كان إيرينايوس تلميذ بوليكاربوس، وكان يشغل منصب مطران ليونز (١٨٠ ب. م.) وقد كتب التالي:

الاختبار الثالث للصحّة التاريخيّة هو البرهان الخارجيّ وجود مواد تاريخيّة أخرى تؤكّد – هذه الموادّ إما تُثبت أو تنفي شهادة الوثائق نفسها الداخليّة.

«نشر متّى إنجيله بين العبرانيّين (أي اليهود) وكتبه بلسانهم، في الوقت الذي كان فيه بطرس وبولس في روما يبشّران ويؤسّسان الكنيسة هناك. وبعد رحيلهما (أي موتهما الذي يؤكّد التقليد أنّه حصل في زمن اضطهاد الإمبراطور نيرون عام ٦٤ ب. م.) قام مرقس تلميذ بطرس وكاتبه، بتسليمنا بنفسه مواعظ بطرس كتابة. بينما كتب لوقا، تلميذ بولس، الإنجيل الذي بشّر به معلّمه. وهنالك أيضًا يوحنا، تلميذ الربّ والذي اتّكأ أيضًا على صدره (هذه إشارة إلى يوحنا ٢٥:١٣، ٢٠:٢١) الذي كتب الإنجيل المسمّى باسمه أثناء إقامته في أفسس في آسيا.»[٣٧]

في كتاب «يسوع التاريخيّ: براهين قديمة عن حياة المسيح»، يوثّق غاري هابرماس بكلّ دقّة وعناية البراهين التي تُثبت وجود يسوع تاريخيًّا من خارج الكتاب المقدّس. إنّ الوثائق اليونانيّة والرومانيّة واليهوديّة تدعم وجود عناصر

أساسيّة من حياة وخدمة وموت يسوع. تتضمّن هذه البراهين أمثلة شهيرة مثل (١) صلب الرومان ليسوع؛ (٢) عبادة يسوع كإله؛ (٣) الإيمان بقيامة يسوع؛ (٤) يسوع كونه أخا يعقوب؛ (٥) القبر الفارغ. ويخلُص هابرماس قائلًا: «إنّ الوثائق الأثريّة من خارج الكتاب المقدّس تقدّم لنا تفاصيل كثيرة خاصّة بحياة يسوع وطبيعة المسيحيّة الأولى.»[٣٨]

يقدّم لنا علم الآثار برهانًا خارجيًّا قويًّا، وهو يساهم في النقد الكتابيّ، ليس في مجال الوحي والإعلان، وإنّما في تقديم الأدلّة على دقّة الحوادث المسجّلة. كتب عالم الآثار جوزيف فري: «لقد أثبت علم الآثار صحّة فقرات كتابيّة لا حصر لها كان قد رفضها النقّاد باعتبار أنّها غير صحيحة تاريخيًّا أو مخالِفة للحقائق المعروفة.»[٣٩]

ما رأيك؟
على الرغم من الاكتشافات الأثريّة، ما زال النقّاد يقولون إنّ الكتاب المقدّس ليس دقيقًا من الناحية التاريخيّة. لماذا برأيك يقولون هذا؟ هل يوجد أيّ برهان لا يقبل الجدل بالنسبة إليك؟

لقد رأينا كيف جعل علم الآثار السير وليام رامزي يغيّر قناعاته السلبيّة الأوّليّة حول صحّة كتابات لوقا تاريخيًّا، ويستنتج أنّ سفر أعمال الرسل دقيق في وصف جغرافيّة آسيا الصغرى وآثارها ومجتمعها.

يقول ف. ف. بروس: «ما دامت كتابات لوقا قد اتُّهمت بعدم الدقّة، وثبتت دقّتها بالبرهان الخارجيّ، فقد يحقّ لنا أنْ نقول بأنّ علم الآثار قد أثبت صحّة العهد الجديد.»[٤٠]

كتب أ. ن. شيروين – وايت، وهو أحد المؤرّخين الكلاسيكيّين: «إنّ الأدلّة التي تثبت الصحّة التاريخيّة لسفر أعمال الرسل قاطعة» ويُتابع قائلًا: «لا بدّ أنْ تبدو أيّة محاولة لرفض صحّته التاريخيّة حتّى في الأمور التفصيليّة عبثًا. ولقد اعتبرها المؤرّخون الرومان أمرًا مسلَّمًا به لمدة طويلة.»[٤١]

بعد أنْ حاولت شخصيًّا أنْ أحطّم صحّة الكتاب المقدّس التاريخيّة وشرعيّته، توصّلت إلى نتيجة مفادها بأنّه جدير بالثقة من الناحية التاريخيّة. إنْ قال أحدهم إنّ الكتاب المقدّس لا يمكن الوثوق به من الناحية التاريخيّة، فعليه بالتالي أنْ يتخلّى عن كلّ الأعمال الأدبيّة القديمة، إذْ لا يوجد وثيقة أخرى لديها هذا الكمّ الهائل من البراهين لإثبات صحّتها. المشكلة التي تواجهني دائمًا هي رغبة الكثيرين في تطبيق مقياس أو اختبار معيّن على وثيقة أدبيّة دنيويّة، ومقياس آخر على الكتاب المقدّس. يجب علينا أنْ نطبّق الاختبار نفسه سواء كانت الوثيقة موضوع البحث دينيّة أم دنيويّة. وبعد أنْ فعلت هذا بنفسي، أنا مقتنع بأنّ الكتاب المقدّس جدير بالثقة ويُعوَّل عليه تاريخيًّا في شهادته عن يسوع.

يقول الدكتور كلارك هـ. بينوك، الأستاذ الفخريّ لمادّة اللاهوت النظاميّ في معهد ماكماستر للّاهوت:

> «لا توجد أيّة وثيقة من العالم القديم كالكتاب المقدّس يشهد لصحّتها هذا العدد الممتاز من الشهادات النصّيّة والتاريخيّة، وتقدّم مثل هذه المجموعة الرائعة من المعلومات التاريخيّة الأوّليّة والتي يمكن أنْ نبني على أساسها قرارًا حكيمًا. لا يستطيع أيّ شخص أمين أنْ يرفض مصدرًا من هذا النوع. وإنّ الشكّ الذي يدور حول الوثائق التاريخيّة للمسيحيّة مبنيّ على تحامل غير منطقيّ (التحيّز الخارق للطبيعة).»[٤٢]

إنْ قال أحدهم إنّ الكتاب المقدّس لا يمكن الوثوق به من الناحية التاريخيّة، فعليه بالتالي أنْ يتخلّى عن كلّ الأعمال الأدبيّة القديمة.

ويقول دوغلاس غروثويس، أستاذ الفلسفة ورئيس قسم الفلسفة والأديان في جامعة دنفر: «الوثائق القديمة تشهد عن الكتاب المقدّس بشكل أفضل ممّا تشهد عن أيّ وثيقة أدبيّة قديمة.»[٤٣]

* حمّل التطبيق Agapear واستخدم الكاميرا الخاصّة به.
* وجّه الكاميرا نحو الصورة لتشاهد الفيديو.
* يتطلّب التطبيق أنْ يكون هاتفك متّصلًا بشبكة الإنترنت.

الفصل السابع

من مُستعدّ أنْ يموت من أجل كذبة؟

غالبًا ما يغفل النقّاد ناحية من نواحي البرهان، ألا وهي التغيير الذي حدث في حياة تلاميذ يسوع. تقدّم لنا حياتهم المتغيّرة تغييرًا جذريًّا، شهادة متينة على صحّة مزاعم المسيح وشرعيّتها.

وبما أنّ الإيمان المسيحيّ تاريخيّ، علينا ونحن نتحقّق من صحّته أنْ نعتمد كثيرًا على الشهادة المكتوبة والشفهيّة. فمن دون هذه الشهادة، لن يكون لدينا نافذة نتطلّع من خلالها إلى أيّ حدث تاريخيّ، سواء كان مسيحيًّا أم لا. في الواقع، كلّ التاريخ هو معرفة الماضي المبنيّة على الشهادة. وإنْ كان الاعتماد على شهادة ما لا يزعزع أيّ حدث تاريخيّ، علينا أنْ نسأل أنفسنا ما هي الطريقة الأخرى لنعرف فيها ماذا جرى في الماضي؟ فكيف نعرف مثلًا كيف عاش نابليون؟ لم يكن أحدٌ منّا موجودًا في تلك الفترة الزمنيّة، ونحن لم نرَه ولم نلتقِ به، بالتالي علينا أنْ نعتمد على التاريخ.

تطرح معرفتنا للتاريخ مشكلة أساسيّة: هل نستطيع أنْ نثق بالشهادة؟ بما أنّ معرفتنا عن المسيحيّة ترتكز على شهادة من الماضي السحيق، علينا أنْ نسأل إنْ كان بالإمكان الاتّكال على دقّتها. هل كانت الشهادات الشفهيّة الأصليّة عن يسوع جديرة بالثقة؟ هل يمكن أنْ نثق ونطمئنّ بأنّها عبَرت إلينا بشكل صحيح فيما يختصّ بكلّ ما قاله وفعله يسوع؟» أعتقد أنّنا نقدر على ذلك.

أستطيع أنْ أثق بشهادات الرسل، لأنّ أحد عشر شخصًا منهم مات شهيدًا وهم يصرّون على حقيقتَين: ألوهيّة المسيح وقيامته. تعرّضوا للتعذيب والجَلْدِ، وواجهوا الموت بأقسى الأساليب المعروفة آنذاك:[١]

١. بطرس، المدعو سمعان، صُلِب.
٢. أندراوس صُلِب.
٣. يعقوب بن زبدي، قُتل بالسيف.
٤. يوحنا بن زبدي، مات لأسباب طبيعيّة.
٥. فيلبس، صُلِب.
٦. برثولماوس، صُلِب.
٧. توما، طُعن بحربة.
٨. متّى، قُتل بالسيف.
٩. يعقوب بن حلفى، صُلِب.
١٠. تدّاوس، قُتل رميًا بالسهام.
١١. سمعان الغيور، صُلِب.

والجواب الذي غالبًا ما أسمعه هو: «مات كثيرون من أجل كذبة كما حدث مع هؤلاء، فماذا يثبت ذلك؟»

نعم، لقد مات كثيرون من أجل كذبة، لكنّهم كانوا يؤمنون بأنّها الحقيقة. ماذا حدث تمامًا مع التلاميذ يا تُرى؟ لنفترض أنّ قيامة يسوع لم تحدث، فلا بدّ أنّ التلاميذ عرفوا ذلك، لأنّني لا يمكن أنْ أجد طريقة تُثبت وقوعهم ضحيّة لخدعة. لهذا السبب، لم يموتوا من أجل كذبة فحسب، بل كانوا يعلمون أنّها كذبة! ومن الصعب أنْ تجدَ أحد عشر رجلًا في أيّ مكان آخر في التاريخ مستعدّين أنْ يموتوا من أجل كذبة وهم يعرفون أنّها كذبة.

لنتأمّل بعدّة عوامل ستساعدنا في فهم حقيقة ما آمنوا به.

١. كانوا شهود عيان

في كتابه «يسوع وشهود العيان»، الذي كتبه سنة ٢٠٠٦، يشرح أستاذ مادّة العهد الجديد البروفيسور ريتشارد بوكهام أنّ الأناجيل الأربعة تقدّم شهادة يُمكن الوثوق بها ويُمكن تقفّي أثرها إلى أنْ نصل إلى شهود العيان أنفسهم.[٢]

لقد كتب الرسل عن القيامة، وتكلّم التلاميذ الآخرون عن الأحداث كشهود عيان يصفون ما حدث. قال بطرس: «لأنّنا لم نتبع خرافات مصنّعة، إذ عرّفناكم بقوّة ربّنا يسوع المسيح ومجيئه، بلْ قد كنّا معاينين عظمته» (٢ بطرس ١: ١٦). من المؤكّد أنّ الرسل كانوا يعرفون الفرق بين الخرافة أو الأسطورة، وبين الحقيقة والواقع.

كثيرون ماتوا عبر التاريخ لِمَا اعتقدوا بأنّه الحقيقة. ولكنْ، بالنسبة إلى تلاميذ يسوع، فقد استشهد أغلبهم من أجل المسيح. لو لم تحدث القيامة فعلًا لعرفوا بذلك حتمًا.

لقد أكّد يوحنا في رسالته الأولى على أنّ معرفتهم مرتكزة على كونهم شهود عيان، شارحًا كيف أخذ هو والرسل الآخرين المعلومات المتعلّقة بيسوع: «الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة. فإنّ الحياة أُظهرت، وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبديّة التي كانت عند الآب وأُظهرت لنا، الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به لكي يكون لكم أيضًا شركة معنا. وأمّا شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح.» (١ يوحنا ١: ١–٣) وبدأ يوحنا القسم الأخير من إنجيله بقوله: «وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدّام التلاميذ لم تُكتب في هذا الكتاب.» (يوحنا ٢٠: ٣٠)

ما رأيك؟
هل أنت مستعدّ أنْ تموت من أجل أمر ما أو شخص ما؟ لماذا؟

قال لوقا: «إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصّة في الأمور المتيقّنة عندنا، كما سلّمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخدّامًا للكلمة، رأيتُ أنا أيضًا إذْ قد تتبّعت كلّ شيء من الأوّل بتدقيق، أنْ أكتبَ على التوالي إليك أيّها العزيز ثاوفيلس.» (لوقا ١: ١–٣)

ثمّ يصف لوقا في سفر أعمال الرسل فترة الأربعين يومًا التي أعقبت القيامة، وراقبه فيها أتباعه عن قرب: «الكلام الأوّل

أنشأته يا ثاوفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلّم به، إلى اليوم الذي ارتفع فيه، بعدما أوصى بالروح القدس الرسل الذين اختارهم، الذين أراهم أيضًا نفسه حيًّا ببراهين كثيرة، بعدما تألّم وهو يظهر لهم أربعين يومًا ويتكلّم عن الأمور المختصّة بملكوت الله.» (أعمال ١: ١–٣)

ما رأيك؟
هل كنت شاهد عيان على أمر ما وطُلب منك أنْ تُخبر ماذا شاهدت؟ هل صدّقك الناس؟ ما الذي يجعل من شاهد العيان شخصًا موثوقًا به؟

كان المضمون الرئيسيّ لشهادة شهود العيان هو قيامة يسوع. وقد كان الرسل شهودًا لحياته المُقامة.

٢. كان لا بدّ لهم أنْ يكونوا مُقتنعين

اعتقدَ الرسل أنّ الأمر قد انتهى عند موت يسوع. فحين أُلقي القبض عليه هربوا واختبأوا (انظر مرقس ١٤: ٥٠). وحين قيل لهم إنّ القبر فارغ، لم يؤمنوا أوّلًا (انظر لوقا ٢٤: ١١). آمنوا فقط بعد أنْ قُدّمت لهم براهين كثيرة ومُقنعة. فهنالك توما الذي قال بأنّه لن يؤمن بأنّ المسيح قام من بين الأموات ما لم يضع إصبعه في أثر المسامير. ولقد مات توما فيما بعد شهيدًا من أجل المسيح. فهل كان مخدوعًا؟ لقد راهن بحياته على أنّه لم يكن كذلك.

وهنالك أيضًا بطرس الذي أنكر المسيح ثلاث مرّات أثناء محاكمته، إلى أنْ تركه أخيرًا. لكنّ أمرًا ما حوّل هذا الجبان رأسًا على عقب. فبعد فترة وجيزة من صلب المسيح ودفنه، ظهر بطرس في أورشليم وهو يعظ بشجاعة، معرّضًا نفسه لخطر الموت، بأنّ المسيح قام. وانتهى الأمر به أخيرًا مصلوبًا (بحسب تقليد الكنيسة، لقد صُلب مقلوبًا). ما الذي غيّر هذا الهارب الخائف إلى أسدٍ شجاع يشهد ليسوع؟ لماذا أصبح بطرس فجأة مستعدًّا أنْ يموت من أجله؟ هل كان مخدوعًا؟ طبعًا لا. لا يوجد تفسير مُرضٍ لي سوى ما أجده في ١ كورنثوس ١٥: ٥ «وأنّه ظهر لصفا (أي بطرس)». كان بطرس شاهد عيان لقيامة الربّ، وآمن به لدرجة الاستعداد للموت من أجل إيمانه هذا.

يعقوب أخو الربّ، هو مثال ممتاز لإنسان اقتنع بالمسيح على الرغم من عدم إيمانه به من البداية. (مع أنّه لم يكن من الاثني عشر) (انظر متّى ١٠: ٢–٤)، فقد اعتُرف به لاحقًا كرسول (انظر غلاطية ١: ١٩)، وكذلك بولس وبرنابا (أعمال الرسل ١٤: ١٤). عندما كان يسوع منشغلًا بالخدمة، لم يؤمن يعقوب به أنّه ابن الله (يوحنا ٧: ٥). ولا شكّ أنّه شارك أقرباءَه حين كانوا يسخرون من يسوع، وربّما قال شيئًا كهذا: «هل تريد من الناس أنْ يؤمنوا بك؟ اذهب إلى أورشليم واصنع معجزاتك العظيمة هناك.» لا بدّ أنّ يعقوب كان يشعر بالخزي والعار والحرج بينما كان يسوع يتجوّل بين الناس والمدن ويعرّض العائلة للحرج بادّعاءاته الغريبة: «أنا هو الطريق والحقّ والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلاّ بي.» (يوحنا ١٤: ٦)؛ «أنا الكرمة وأنتم الأغصان» (يوحنا ١٥: ٥)؛ «أمّا أنا فإنّي الراعي الصالح واعرف خاصّتي وخاصّتي تعرفني.» (يوحنا ١٠: ١٤) ماذا سيكون موقفك لو أنّ أخاك تفوّه بمثل هذه الأقوال؟

ما رأيك؟
كان إخوة يسوع معارضين لما كان يفعله ويعلّمه. بالعادة، أفراد العائلة هم الذين يعارضون التغيير في العائلة. ما رأيك بهذه المقولة؟

لكن أمرًا ما حدث ليعقوب. فبعد صلب يسوع ودفنه نجده يعظ في أورشليم. وكانت رسالته أنّ يسوع مات من أجل خطايا الناس وأنّه قام وهو حيّ. أصبح يعقوب في نهاية الأمر أحدَ قادة كنيسة أورشليم، وكتب أحد أسفار العهد الجديد، وهي رسالة يعقوب. وقد بدأ رسالته بقوله: «يعقوب عبد الله والربّ يسوع المسيح.» (يعقوب ١: ١) انتهى به الأمر شهيدًا عندما رُجم بأمرٍ من حنانيّا رئيس الكهنة.[٣] فهل كان يعقوب مخدوعًا؟ لا، والتفسير الوحيد المعقول موجود في ١ كورنثوس ١٥: ٧ «وبعد ذلك (أي بعد قيامة المسيح) ظهر ليعقوب.» رأى يعقوب المسيح المُقام وآمن به.

ما الذي حوّل يعقوب من رجل يخجل ويسخر من يسوع، إلى رجل مستعدّ أنْ يموت من أجل ألوهيّة المسيح؟ لقد رأى المسيح المُقام وآمن به.

يشرح ج. ب. مورلاند، معلّم مادّة الفلسفة في معهد تالبوت للّاهوت أهمّيّة إيمان يعقوب بأنّ يسوع هو المسيح المُنتظَر:

> نقرأ في الأناجيل أنّ أفراد عائلة يسوع كانوا يخجلون من ادّعاء يسوع ومن ضمنهم يعقوب، فلم يؤمنوا به وقاوموه. كان مُخجِلًا عند اليهود أنْ يُرفض المعلِّم من أهل بيته، لهذا السبب، لم يكن عند كتّاب الأناجيل أيّ دافع لتأليف شكّهم به لو لم يكن هذا الأمر صحيحًا. وبعد فترة من الزمن، يُخبرنا المؤرّخ يوسيفيوس أنّ يعقوب، أخا الربّ، والذي كان قائد الكنيسة في أورشليم، رُجم حتّى الموت بسبب إيمانه بأخيه. فلماذا تغيّرت حياة يعقوب؟ يُخبرنا بولس الرسول أنّ يسوع المُقام ظهر له وهذا هو السبب الوحيد لتغيّره.[٤]

لو كانت القيامة كذبة، لعرف الرسل ذلك، فهل كانوا يحاولون تخليد خدعة كبيرة؟ لا يتّفق هذا الاحتمال مع ما نعرفه عن حياتهم التي تتّصف بالأخلاق الرفيعة. فقد أدانوا الكذب وأكّدوا على الأمانة. وشجّعوا الناس على معرفة الحقّ.[٥] كتب المؤرّخ إدوارد جيبون في كتابه المشهور «تاريخ انحطاط الإمبراطوريّة الرومانيّة وسقوطها» بأنّ «نقاء أخلاق المسيحيّين الأوائل مع بساطتها وصرامتها كانت أحد الأسباب الخمسة وراء انتشار المسيحيّة السريع ونجاحها.» ويلاحظ مايكل جرين، الباحث في جامعة أوكسفورد، بأنّ القيامة:

> «كانت هي العقيدة التي حوّلت هؤلاء الأشخاص من أتباعٍ محبَطين لمعلِّم مصلوب، إلى شهود شجعان وشهداء في الكنيسة الأولى. كانت هذه هي العقيدة التي فصلت أتباع يسوع عن اليهود وحوّلتهم إلى مجتمع القيامة. كان بإمكانك أنْ تسجنهم وتجلدهم وتقتلهم، ولكنك لم تكن لتقدر أنْ تجبرهم على إنكار قناعتهم بأنّه قام في اليوم الثالث.»[٦]

٣. أصبحوا شجعانًا

سلوك الرسل الشجاع فور اقتناعهم بقيامة يسوع هو الأمر الذي يجعلنا نستبعد احتمال الاحتيال والخداع. فقد أصبحوا شجعانًا بين ليلة وضحاها تقريبًا. فبطرس الذي سبق أنْ أنكر المسيح، وقف يعلن أنّ يسوع حيّ بعد قيامته، على الرغم من الخطر الذي كان يحيط به. قامت السلطات باعتقال أتباع يسوع المسيح وضربهم، لكنّهم سرعان ما كانوا يرجعون إلى الشارع للتحدّث عن يسوع (انظر أعمال الرسل ٥: ٤٠-٤٢). لاحظ أصدقاؤهم مرحهم وفرحهم، ولاحظ أعداؤهم شجاعتهم. نذكر أيضًا أنّ شجاعتهم لم تكن محصورة في البلدات غير المعروفة، إنّما كانوا يبشّرون في أورشليم أيضًا.

لم يكن بإمكان أتباع يسوع مواجهة التعذيب والموت ما لم يكونوا مقتنعين تمامًا بقيامته. لقد كان إجماعهم على الرسالة ومسار سلوكهم أمرَين مُدهشَين. وعلى الرغم من أنّ فرص عدم اتّفاق مجموعة واسعة من الناس على أمرٍ مثير للخلاف والجدل مثل هذا كبيرة جدًّا، إلّا أنّ كلّ هؤلاء الرجال اتّفقوا على حقيقة القيامة. فلو أنّهم كانوا مخادعين، فسيكون من الصعب علينا أنْ نشرح كيف أنّ أحدًا منهم لم ينهر تحت الضغط الذي كانوا يتحمّلونه.

لم يكن بإمكان أتباع يسوع مواجهة التعذيب والموت ما لم يكونوا مقتنعين تمامًا بقيامته. لقد كان إجماعهم على الرسالة ومسار سلوكهم أمرَين مُدهشَين.

يقول الفيلسوف الفرنسيّ باسكال:

> «إنّ الزعم بأنّ الرسل كانوا أشخاصًا محتالين منافٍ للعقل. لكن دعونا نرى النتيجة المنطقيّة لهذه التهمة. دعونا نتخيّل اثني عشر شخصًا يجتمعون بعد موت يسوع المسيح ويتآمرون على القول بأنّه قد قام. إنّ من شأن هذا الزعم أنْ يشكّل تهديدًا للسلطتَين المدنيّة والدينيّة. إنّ قلب الإنسان ميّال بشكل عجيب للضعف والتغيّر فتتلاعب به الوعود وتغريه الأمور المادّيّة. ولو أنّ أحد هؤلاء الرجال استسلم لمثل هذه الإغراءات الجذّابة، أو رضخ للتهديدات القويّة بالسجن والتعذيب، لضاعوا جميعًا.»[٧]

ويشرح ج. ب. مورلاند قائلًا:

> كان أتباعه يشعرون باليأس والفشل. فقدوا ثقتهم بأنّ الله أرسل المسيح لأنّهم كانوا يعتقدون أنّ الشخص الذي يُصلب هو ملعون من الله، وبأنّ الله لن يسمح للمسيح أنْ يختبر الموت، فتشتّتوا.

حركة يسوع هذه توقّفت قليلًا في مسارها. وبعد فترة من الزمن، نراهم يتركون وظائفهم وأعمالهم ويجتمعون لتكريس أنفسهم لنشر رسالة خاصّة جدًّا وهي أنّ يسوع المسيح هو المسيّا المُنتظَر من الله وقد مات على الصليب وعاد إلى الحياة وهم شهود على ذلك. وكانوا أيضًا مستعدّين أنْ يقضوا ما تبقّى من حياتهم مُعلنين هذه الحقيقة من دون أيّ مقابل من وجهة نظر بشريّة. فهم لم يتوقّعوا الحصول على قصر ضخم عند شواطئ البحر المتوسّط، بل واجهوا حياة مليئة بالمشقّات، إذ جاعوا وناموا في العراء واستهزأ بهم الناس، وضُربوا وسُجنوا. وأخيرًا، قُتلوا جميعًا بطرق تعذيب مختلفة. من أجل ماذا؟ لصدق نواياهم؟ لا، بل لأنّهم كانوا مقتنعين من دون أدنى شكّ بأنّهم رأوا يسوع المسيح حيًّا مُقامًا من الأموات. الأمر الذي لا يمكنك تفسيره هو كيف أنّ هذه المجموعة الخاصّة من الرجال استنبطت مُعتقدًا مثل هذا من دون أنْ يختبروا المسيح المُقام من الأموات. لا يوجد تفسير منطقيّ آخر.[٨]

ما رأيك؟
هل يمكن أنْ تُعجَب بأشخاصٍ مستعدّين أنْ يموتوا أو سبق وأنْ ماتوا من أجل قضيّة ما؟ ما الذي يجذبك إليهم؟ وما الذي يُخيفك منهم؟ هل بإمكاننا تعلُّم أيّ شيء منهم؟

ويتعجّب مايكل جرين ويقول: «كيف تحوّلوا بين ليلة وضحاها تقريبًا إلى مجموعة لا تُقهر من المتحمّسين الذين تحمّلوا المعارضة والتشكيك والاستهزاء والصعوبات والسجن والموت بشجاعة في ثلاث قارّات مختلفة وهم يبشّرون بيسوع وبالقيامة في كلّ مكان؟»[٩]

يصف كاتب مجهول التغييرات التي حصلت في حياة الرسل ويقول:

> «كانوا في يوم الصلب مملوئين حزنًا، وفي أوّل أيّام الأسبوع فرحًا وسعادة. كانوا في يوم الصلب يائسين، بينما توهّجت قلوبهم باليقين والرجاء في أوّل أيّام الأسبوع. عندما برزت فكرة القيامة لأوّل مرّة، كانوا غير مصدّقين وكان من الصعب إقناعهم. غير أنّهم عندما تأكّدوا من حقيقتها، لم يساورهم الشكّ بها أبدًا. كيف يمكن تفسير مثل هذا التغيير المدهش الذي طرأ على هؤلاء الأشخاص في مثل هذا الوقت القصير؟ لا يمكن لمجرّد نقل الجثّة من القبر أنْ يُغيّر أرواحهم وشخصيّاتهم. وفترة الأيّام الثلاثة لا تكفي لظهور أسطورة يمكن أنْ تُحدث فيهم كلّ هذا التأثير. إنّ عمليّة نموّ الأسطورة تحتاج إلى زمن طويل. إنّها حقيقة سيكولوجيّة (نفسيّة) تحتاج إلى شرح وافٍ. فكّر بطبيعة شخصيّات الرجال والنساء الذين قدّموا للعالم أسمى التعاليم الأخلاقيّة التي عرفها، والتزموا بالمبادئ التي نادوا بها حتّى بشهادة أعدائهم. فكّر في عبثيّة تصوّر مجموعة صغيرة من الجبناء المهزومين، قابعة في علّيّة وتتحوّل في أحد الأيّام إلى جماعة لا يمكن أنْ يُسكتها أيّ اضطهاد . ثمّ محاولة نسبة هذا التغيير المثير إلى شيء غير مقنع كعمليّة تلفيق تعيسة يحاولون نشرها بين الناس. هذا أمر لا معنى له وغير منطقيّ.»[١٠]

كتب مؤرّخ الكنيسة كينيث سكوت لا توريت التالي:

> «كان لتأثير القيامة وحلول الروح القدس على التلاميذ... أهمّيّة كبيرة. فقد تحوّلوا من رجال ونساء محبَطين يائسين يتحسّرون على الأيّام التي كانوا يأملون فيها 'أنّه هو المزمع أنْ يفدي إسرائيل،' إلى مجموعة من الشهود المتحمّسين.»[١١]

قُتل أغلب أتباع يسوع بطرق تعذيب مختلفة. من أجل ماذا؟ لصدق نواياهم؟ لا، بل لأنّهم كانوا مقتنعين بأنّهم رأوا يسوع المسيح حيًّا مُقامًا من الأموات.

ويشرح ن. ت. رايت، الأستاذ السابق لمادّة دراسات العهد الجديد في جامعة أوكسفورد في إنكلترا التالي:

> على المؤرّخ أنْ يقول: «كيف نشرح حقيقة أنّ هذه الحركة انتشرت كلهيب نار مع يسوع المسيح، علمًا أنّ يسوع قد صُلب؟» لا بدّ أنْ تكون الإجابة، ولا يمكن إلّا أنْ تكون بأنّه قد قام من الأموات.[١٢]

ويسأل بول ليتل، أستاذ مادّة التبشير في معهد ترينيتي الإنجيليّ اللاهوتيّ:

> «هل هؤلاء الرجال الذين ساعدوا على تحويل التركيب الخلقيّ للمجتمع كاذبون من الطراز الأوّل أو مجانين موهومون؟ إنّ هذين البديلين أكثر صعوبة للتصديق من حقيقة القيامة، ولا يوجد أيّ دليل مهما صغر لتأييدهما.»[١٣]

لا يمكن قبول أيّ تفسير لصمود الرسل وثباتهم حتّى الموت. تقول الموسوعة البريطانيّة إنّ الفيلسوف أوريجانس قال بأنّ بطرس مات مصلوبًا بشكل مقلوب. ويصف مؤرّخ الكنيسة هربرت وركمان موت بطرس:

> «وهكذا (مَنْطَقَ) شخص آخر بطرس كما تنبّأ ربّنا، واقتاده عبر طريق أوريل على مقربة من حدائق نيرون إلى تلّة الفاتيكان حيث سبق أنْ واجه كثيرون من إخوته موتًا قاسيًا. وصُلب هناك في وضع مقلوب بناءً على طلبه، لأنّه حسب نفسه غير مستحقّ أنْ يموت مثل سيّده.»[١٤]

كتب هارولد ماتنجلي، الأستاذ الفخريّ في جامعة ليدز: «لقد ختم الرسولان بطرس وبولس شهادتيهما بدمهما.»[١٥] وكتب ترتليانوس بأنّه «لا يمكن لإنسان أنْ يكونَ مستعدًّا للموت ما لم يكن متيقّنًا من أنّه يعرف الحقّ.»[١٦] يستنتج سايمون جرينليف، أستاذ القانون في جامعة هارفارد الذي حاضر لسنوات طويلة عن كيفيّة انهيار شهادة الشاهد وتقرير ما إذا كان يكذب أم لا:

> «لا نجد في سجلّات الحروب العسكريّة مثل هذا الثبات البطولي والصبر والشجاعة التي لا تُقهر. لقد كان لديهم كلّ حافز ممكن لمراجعة أسس إيمانهم والدلائل على الحقائق العظيمة التي أكّدوها.»[١٧]

يسأل البروفيسور لين غاردن بحقّ:

> «لماذا يموتون عن أمر يعرفون أنّه كذبة؟ يُمكن للإنسان أنْ ينخدع ويموت من أجل خدعة، ولكن الرسل عرفوا الحقائق المتعلّقة بقيامة يسوع ومع هذا، ماتوا من أجلها.»[١٨]

ويقول توم أندرسون، الرئيس السابق لنقابة المحامين في كاليفورنيا:

> «لنفترض أنّ الروايات المكتوبة عن ظهوره لمئات من الناس هي روايات كاذبة. سأطرح عليكم هذا السؤال: بوجود حادثة تمّ نشرها بهذه الكثافة، ألا تعتقدون أنّه من المنطقيّ أنْ نجد مؤرّخًا واحدًا أو شاهدًا واحدًا أو واحدًا فقط من أعداء المسيح يشهد بأنّه رأى جسد المسيح؟ إنّ صمت التاريخ صارخ ومدوٍّ فيما يتعلّق بأيّ شهادة ضدّ القيامة.»[١٩]

إنّ صمت التاريخ صارخ ومدوٍّ فيما يتعلّق بأيّ شهادة ضدّ القيامة.

ويشير ج. ب. مورلاند قائلًا: «لا أعرف مؤرّخًا يشكّ بأنّ المسيحيّة بدأت في أورشليم بعد أسابيع معدودة من موت يسوع أمام شهود عيان سواء أكانوا من أصدقائه أو أعدائه.»[٢٠] وكما يستنتج ويليام لاين كرايغ، البروفيسور الباحث في الفلسفة في معهد تالبوت اللاهوتي:

«كان موقع دفن يسوع معروفًا عند المسيحيّين واليهود. فلو لم يكن فارغًا، لكان من المستحيل أنْ تظهر حركة تأسّست على الإيمان بالقيامة في المدينة نفسها حيث صُلب ودُفن هذا الرجل بشكل علنيّ.»[٢١]

ما رأيك؟
ما المصداقيّة التي يستحقّها تلاميذ الربّ الذين ضحّوا بحياتهم تأكيدًا على معتقداتهم؟ هل كان بإمكانهم القيام بأمر أكثر من هذا لتأكيد صدقهم؟

لقد نجح الرسل في اختبار الموت الذي تعرّضوا له لتأكيد صحّة ما كانوا يدّعونه. أعتقد أنّي أستطيع أنْ أثق بشهادتهم أكثر ممّا أستطيع أنْ أثق بشهادة معظم الأشخاص الذي أقابلهم اليوم، وهم أشخاص غير مستعدّين أنْ يتكلّفوا مشقّة عبور الشارع من أجل ما يؤمنون به، ناهيك عن الموت من أجله.

الفصل الثامن

ما الفائدة من مسيح ميْت

مات كثيرون من أجل قضيّة نبيلة آمنوا بها، فقد قام بوذيّون كثيرون في الستينيّات بحرق أنفسهم حتّى الموت كي يلفتوا انتباه العالم إلى الظلم الذي يعانون منه في منطقة جنوب شرق آسيا. وفي أوائل السبعينيّات، أحرق طالب نفسه حتّى الموت في سان دييغو احتجاجًا على الحرب الفيتناميّة. وفي الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١، خطف جهاديّون مسلمون طائرات مدنيّة وفجّروها في بُرجَي التجارة العالميَّين في نيويورك وفي البنتاغون مسبّبين الأذى لأمّة يعتبرونها عدوّة لدينِهم.

كان الرسل يعتقدون أنّ قضيّتهم نبيلة تستحقّ الموت من أجلها، غير أنّهم صُعقوا حين قضت تلك القضيّة النبيلة على الصليب. لقد آمنوا بأنّ يسوع هو المسيح المُنتظَر ولم يعتقدوا أنّه يمكن أنْ يموت. كانوا مقتنعين بأنّه هو الذي سيبني ملكوت الله ويحكم شعب إسرائيل، ولكنّ موته حطّم كلّ آمالهم.

علينا أنْ نفهم النظرة الوطنيّة اليهوديّة للمسيح المُنتظَر في زمن المسيح، لكي نتمكّن من فهم علاقة الرسل بالمسيح، وسبب عدم إدراكهم وقبولهم للصليب. لقد كانت حياة يسوع وتعاليمه تتناقض تناقضًا هائلًا مع توقّعات اليهود حول المسيح المُنتظَر. فقد كان اليهوديّ

ما رأيك؟
هل سمعت يومًا عن شخص لديه عقدة اسمها عقدة المسيح؟ هل تقدر أنْ تشرح ذلك؟ كيف يختلف تصّرف وسلوك يسوع عمّا كان الناس يتوقّعه آنذاك من المسيَّا؟

يُلقَّن منذ صغره بأنّ المسيح سيكون عند مجيئه قائدًا وحاكمًا سياسيًّا منتصرًا، وأنّه سيحرّر اليهود من نير العبوديّة والاستعمار، ويردّ إسرائيل إلى مكانتها الطبيعيّة اللائقة بها. أمّا فكرة المسيح المتألّم، «فقد كانت غريبة تمامًا عن تصوّرات اليهود المُسبَقة عن المسيح المُنتظَر.»[١]

يتحدّث إي. ف. سكوت من معهد يونيون اللاهوتي عن الجوّ السائد في عهد المسيح:

> «كانت فترة انفعال وهياج كبيرَين. وقد وجد القادة الدينيّون أنّ من المستحيل كبح جماح الشعب. فقد كان اليهود في كلّ مكان ينتظرون ظهور المخلِّص الموعود. وممّا لا شكّ فيه أنّ الأحداث التاريخيّة التي وقعت مؤخّرًا، ضاعفت من حدّة هذه الحالة النفسيّة من التوقّع.
>
> فقد تعدّى الرومان على الحرّيّة اليهوديّة مدّة تزيد عن جيل كامل، وقد أدّت الإجراءات القمعيّة التي مارسوها إلى إثارة الروح الوطنيّة ودفعها إلى حياة أشدّ شراسة. لقد اتّخذ حلم التحرير المعجزيّ الذي سيحقّقه المسيح الملك، معنى جديدًا في ذلك الوقت الحرج، ولكنّه لم يكن في حدّ ذاته شيئًا جديدًا. فنحن نستطيع أنْ نميّز وجود فترة من التوقّع المتنامي وراء هذا الاهتياج الذي نجد له دليلًا في الأناجيل.
>
> لقد بقي المسيح الموعود بالنسبة للناس في المكانة نفسها التي كانت لدى النبي إشعياء ومعاصريه – فهو ابن داود الذي سيحقّق النصر والازدهار للأمّة اليهوديّة. ولا نستطيع أنْ نشكّ، على ضوء إشارات العهد الجديد، في أنّ التصوّر المشوّق للمسيح المُنتظَر كان بشكلٍ أساسيّ تصوّرًا وطنيًّا وسياسيًّا.»[٢]

كتب العالم اليهوديّ جوزيف كلوسنر: «لم يتحوّل المسيح المُنتظَر تدريجيًّا إلى حاكم سياسيّ عظيم فحسب، وإنّما إلى رجل ذي صفات أخلاقيّة متميّزة أيضًا.»[٣]

ويعكس جيكوب غارتينهاوس، مؤسّس المجلس العالميّ للإرساليّات اليهوديّة، المعتقدات اليهوديّة السائدة في زمن المسيح بقوله: «لقد انتظر اليهود من المسيح أنْ يكونَ ذلك الشخص الذي سيحرّرهم من الاستبداد الرومانيّ... لقد كان الحلم المسيانيّ (المتعلّق بالمسيح الموعود) في أساسه حلمًا للتحرّر الوطنيّ.»[٤]

تقول الموسوعة اليهوديّة بأنّ اليهود:

> «تاقوا إلى المحرّر المُنتظَر من بيت داود، الذي سيحرّرهم من نير حكم المغتصب البغيض، وينهي الحكم الرومانيّ الكافر، ويؤسّس مكانه مملكة السلام والعدل.»[٥]

لجأ اليهود في ذلك الوقت إلى حلم المسيح الموعود. وقد شارك الرسل بقيّة اليهود نفس معتقداتهم. وكما قال ميلر باروز من معهد يال اللّاهوتي: «لقد كان يسوع مختلفًا عن كلّ ما توقّعه اليهود من ابن داود، حتّى إنّ تلاميذه وجدوا أنّه من المستحيل تقريبًا عليهم أنْ يربطوا فكرة المسيح المُنتظَر به.»[٦] ولهذا السبب، لم يرحّب تلاميذه بتصريحاته الجادّة بأنّه سيُصلب (انظر لوقا ٩: ٢٢)، وكما قال أ. ب. بروس، أستاذ مادّة العهد الجديد بأنّه:

لقد كان يسوع مختلفًا عن كلّ ما توقّعه اليهود من ابن داود، حتّى إنّ تلاميذه وجدوا أنّ من المستحيل تقريبًا عليهم أنْ يربطوا فكرة المسيح المُنتظَر به.

> «كان لديهم أمل بأنْ ينظر إلى الموقف نظرة أكثر تشاؤميّة، وأنّه سيكتشف بأنّ مخاوفه هذه هي بلا أساس... فقد كانت فكرة المسيح المصلوب فضيحة وتناقضًا بالنسبة للرسل، وهو الموقف نفسه الذي تمسّك به أغلبيّة الشعب اليهوديّ بعد أنْ صعد الربّ إلى المجد.»[٧]

وقد كان ألفرد إدرزهايم الذي حاضر في موضوع الترجمة السبعينيّة في جامعة أوكسفورد محقًّا في قوله بأنّ «عصر يسوع كان مختلفًا عنه.»[٨] كان واقع شخص المسيح مختلفًا اختلافًا جذريًّا عن التوقّعات العالية في تلك الأيّام.

يستطيع المرء أنْ يلمسَ في العهد الجديد موقف التلاميذ من المسيح، فكلّ ما يتعلّق به كان بحسب توقّعهم من مسيح يأتي ليحكم. بعد أنْ أخبر يسوع تلاميذه بأنّ عليه أنْ يذهب إلى أورشليم ليتألّم، تجاهل يعقوب ويوحنا هذا التنبّؤ القاتم، وطلبا منه أنْ يقطع لهما وعدًا بأنْ يجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله في ملكوته (مرقس ١٠: ٣٢–٣٨). أيّ مسيح كان في مخيّلتهم؟ مسيح متألّم مصلوب؟ لا، بل حاكم سياسيّ. وأشار يسوع إلى أنّهما أساءا فهم ما كان عليه أنْ يقوم به، فهما لم يفهما ما كانا يطلبانه. لم يفهم التلاميذ الاثنا عشر ما عناه يسوع عندما تنبّأ بآلامه وصلبه (لوقا ١٨: ٣١–٣٤). لقد اعتقدوا بسبب خلفيتهم وتربيتهم بأنّهم يسيرون في طريق كلّه مفروش بالورود. ثمّ جاء صليب الجلجثة، فتبخّرت كلّ أحلامهم في أنْ يكون يسوع المسيح هو الموعود. فعادوا إلى بيوتهم خائبين بعد أنْ ضاعت السنوات التي قضوها معه هباء.

ما رأيك؟
هل تبدّدت أفكارك عمّن هو يسوع فعلًا؟ أم تثبّتت؟ لماذا برأيك وجد التلاميذ صعوبة في معرفته حقّ المعرفة؟

كتب الدكتور جورج إلدون لاد أستاذ العهد الجديد في جامعة فولر اللاهوتيّة:

> «وهذا هو أيضًا السبب الذي دعا تلاميذه إلى تركه عندما أُلقي القبض عليه. لقد كانت عقولهم متشرّبة بشكل كامل بفكرة المسيح المنتصر الذي كان دوره أنْ يُخضع أعداءه، حتّى أنّ كلّ آمالهم التي عقدوها عليه كمسيحهم المُنتظَر تحطّمت عندما رأوه سجينًا عاجزًا من سجناء بيلاطس، ذليلًا نازفًا متألّمًا يُقتاد ويُصلب كمجرم عادي. إنّها لحقيقة نفسيّة صحيحة بأنّنا نسمع فقط لِمَا نحن مستعدّون لسماعه. لهذا، فإنّ نبوءات يسوع عن آلامه لم تَلقَ آذانًا صاغية عندهم. لم يكن التلاميذ، على الرغم من تنبيهاته وتحذيراته لهم، مستعدّين للقبول والفهم.»[٩]

بعد أسابيع قليلة من الصلب، وعلى الرغم من كلّ شكوكهم السابقة، رجع التلاميذ إلى أورشليم يعلنون يسوع مخلّصًا وربًّا ومسيحًا. والتفسير المقبول الوحيد لهذا التغيّر موجود في ١ كورنثوس ١٥: ٥ «وأنّه ظهر لصفا ثمّ للاثني عشر.» أيّ سبب آخر يمكن أنْ يدعو التلاميذ المكتئبين أنْ يخرجوا ويتألّموا من أجل مسيح مصلوب؟ لا بدّ أنّه «أظهر نفسه لهم حيًّا ببراهين كثيرة بعدما تألّم وهو يظهر لهم أربعين يومًا ويتكلّم عن الأمور المختصّة بملكوت الله» (أعمال الرسل ١: ٣).

قادت الحماسة الوطنيّة اليهودَ ليبحثوا عن مسيح يُنقذ أمّتهم، ولكنّ الشخص الذي أتى كان مسيحًا مُخلِّصًا للعالم أجمع من العواقب الأبديّة للخطيّة.

لقد أدرك هؤلاء الرجال حقيقة هويّة يسوع كونه المسيح المُنتظَر، ولكنّ اليهود لم يدركوا ذلك بل أساءوا فهمه. قادت الحماسة الوطنيّة اليهودَ ليبحثوا عن مسيح يُنقذ أمّتهم، ولكنّ الشخص الذي أتى كان مسيحًا مُخلِّصًا للعالم، مسيحًا لن يُنقذ الأمّة فقط من الاستبداد السياسيّ، بل منقذًا للبشريّة أجمع من العواقب الأبديّة للخطيّة. كانت رؤية التلاميذ صغيرة جدًّا، وفجأت بانت لهم الحقيقة الكبرى.

نعم، مات كثيرون من أجل هدف نبيل، لكنّ هدف الرسل النبيل، يسوع المسيح، مات على الصليب. هذا على الأقل ما ظنّوه أوّلًا. ظهور المسيح لتلاميذه بعد قيامته هو الذي أقنعهم بأنّه فعلًا المسيح المُنتظَر. ولم يشهدوا على ذلك بشفاههم وحياتهم فحسب، ولكن بموتهم أيضًا.

ما رأيك؟
هل سبق أنْ اختبرت انقلابًا جذريًّا لتوقّعاتك؟ كيف شعر التلاميذ برأيك حين أدركوا أنّ يسوع هو المسيح المُقام؟

كلّ أسبوع مع الكاتب AR

Josh McDOWELL

* حمّل التطبيق Agapear واستخدم الكاميرا الخاصّة به.
* وجّه الكاميرا نحو الصورة لتشاهد بالفيديو ما يقدّمه الكاتب عن هذا الكتاب.
* يتطلّب التطبيق أنْ يكون هاتفك متّصلًا بشبكة الإنترنت.

Available on the App Store
GET IT ON Google Play

الفصل التاسع

هل سمعت بما حدث لشاول؟

عند وصول صديقي المسيحيّ جاك إلى إحدى الجامعات لإلقاء محاضرة، فوجئ حين عرف أنّ الطلّاب قد رتّبوا له نقاشًا مفتوحًا مع «ملحد الجامعة.» وكان خصمه في هذه الندوة أستاذَ فلسفة فصيح بليغ اللسان ومعادٍ تمامًا للمسيحيّة. طُلب من جاك أنْ يتحدّث أوّلًا فناقش البراهين المختلفة على قيامة يسوع وتجديد الرسول بولس، ثمّ أعطى اختباره الشخصيّ متحدّثًا عن تغيير المسيح لحياته أثناء دراسته الجامعيّة.

وحين وقف الأستاذ الجامعيّ ليتحدّث، بدا للجميع أنّه كان مُحتدًّا جدًّا. لم يستطع أنْ يدحض براهين القيامة أو شهادة جاك الشخصيّة، فتهجّم على موضوع تحوُّل الرسول بولس الجذريّ إلى المسيحيّة. فاستخدم المقولة الشائعة التي تقول إنّ «الناس ينغمسون عاطفيًّا في الأمور التي يقاومونها حتّى إنّ الأمر قد ينتهي بهم إلى احتضانها وتبنّيها.»

وهنا ابتسم صديقي بلطفٍ وقال له: «إذًا، من الأفضل لك أنْ تحذر يا سيدي، وإلّا فمن المحتمل جدًّا أنْ تصبح مسيحيًّا.»

إنّ إحدى أعظم الشهادات المؤثّرة في التاريخ المسيحيّ هي قصّة تحوّل شاول الطرسوسيّ، الذي كان ألدّ أعداء المسيحيّة، إلى الرسول بولس المتكلّم الأكثر فصاحة في هذه الحركة الجديدة. كان شاول عبرانيًّا متعصّبًا وقائدًا دينيًّا. وقد أتاحت له نشأته في طرسوس فرصة الاطّلاع على أكثر المعارف تقدّمًا في عصره. وكانت طرسوس مدينة جامعيّة مشهورة بفلاسفتها الرواقيّين وحضارتها الرواقيّة. وقد امتدح سترابو العالِم الجغرافيّ اليونانيّ هذه المدينة لاهتمامها الشديد بالثقافة والفلسفة.[١]

تمتّع بولس كوالده بالجنسيّة الرومانيّة وكان ذلك امتيازًا كبيرًا. كان ضليعًا في الثقافة والفكر الإغريقيَّين. وكان متمكّنًا من اللغة اليونانيّة ويتمتّع بالمهارة الجدليّة. غالبًا ما كان يقتبس من قصائد شعراء وفلاسفة غير معروفين لدينا اليوم كثيرًا: اقتبس بولس مرّة في إحدى عظاته وأشار إلى أبيموندس وأريطس وكلنتش حين قال: «لأنّنا به نحيا ونتحرّك ونوجد، كما قال بعض شعرائكم أيضًا لأنّنا أيضًا ذريّته.» (أعمال الرسل ١٧: ٢٨) وفي رسالة من رسائله، يقتبس بولس مينادر: «لا تضلّوا. فإنّ المعاشرات الرديّة تُفسد الأخلاق الجيّدة» (١ كورنثوس ١٥: ٣٣). وفي رسالة تيطس، يقتبس بولس مرّة أخرى من أبيموندس: «قال واحد منهم وهو نبيّ لهم خاص: الكريتيّون دائمًا كذّابون، وحوش رديّة، بطون بطّالة.» (تيطس ١: ١٢).

ما رأيك؟

لقد قلب بولس معتقداته رأسًا على عقب بالنسبة إلى يسوع بعد أنْ اختبر لقاءً معه غيّر حياته. هل رأيت تغييرًا جذريًّا مثل هذا عند أحدهم؟ هل اختبرت أنت ذلك شخصيًّا؟

كانت تربية بولس يهوديّة تلقّاها على أيدي الفريسيّين ذوي العقائد الصارمة. أُرسل في سنّ الرابعة عشرة ليدرس على يدي غمالائيل، أحد أعظم معلّمي عصره، وهو أيضًا حفيد هيلّيل. وقد أكّد بولس أنّه لم يكن فرّيسيًّا فحسب، بل كان ابن فرّيسيّ أيضًا. (انظر أعمال الرسل ٢٣: ٦). كان في وسعه أنْ يفاخر ويقول: «كنت متقدّمًا على كثيرين من أترابي من أبناء جنسي في غيرتي على تقاليد آبائي وأجدادي.» (غلاطية ١: ١٤).

ولكي نفهم تحوّل بولس وتجديده، من الضروريّ أنْ نعرف سبب معاداته الشديدة للمسيحيّة، ألا وهو إخلاصه للناموس اليهوديّ الذي أشعل فيه مقاومة شديدة ضدّ المسيح والكنيسة الأولى.

كتب جاك دوبون:

> «لم يكن ما أثار غضب بولس على الرسالة المسيحيّة تأكيدها على أنّ يسوع هو المسيح (ولكن)... إعطاء يسوع دورًا خلاصيًّا سلب

> الناموس اليهوديّ كلّ قيمته في قصد الخلاص.. كان (بولس) معاديًا عنيدًا للإيمان المسيحيّ بسبب الأهمّيّة التي عزاها للناموس كسبيل للخلاص.»[٢]

تقول الموسوعة البريطانيّة إنّ أعضاء هذه الطائفة اليهوديّة الجديدة الذين يدعون أنفسهم مسيحيّين، حطّمت جوهر تربية بولس اليهوديّة ودراساته التي تلقّاها على أيدي المعلّمين اليهود.[٣] ولهذا، فقد أصبح القضاء على هذه الطائفة رغبة محمومة لديه (غلاطية ١: ١٣). وهكذا بدأ ملاحقته «لجماعة الناصريّين» حتّى الموت (أعمال الرسل ٢٦: ٩-١١). «وكان يسطو على الكنيسة» (أعمال الرسل ٨: ٣). وانطلق إلى دمشق حاملًا معه وثائق تخوّله القبض على أتباع يسوع وتقديمهم للمحاكمة.

ثمّ حدث شيء له.

إنّ أعضاء هذه الطائفة اليهوديّة الجديدة الذين يدعون أنفسهم مسيحيّين حطّمت جوهر تربية بولس اليهوديّة ودراساته التي تلقّاها على أيدي المعلّمين اليهود. ولهذا، فقد أصبح القضاء على هذه الطائفة رغبة محمومة لديه.

> «أمّا شاول فكان لم يزل ينفث تهدّدًا وقتلًا على تلاميذ الربّ. فتقدّم إلى رئيس الكهنة، وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات، حتّى إذا وجد أناسًا من الطريق، رجالًا أو نساءً، يسوقهم موثوقين إلى أورشليم. وفي ذهابه حدث أنّه اقترب إلى دمشق، فبغتةً أبرق حوله نور من السماء. فسقط على الأرض وسمع صوتًا قائلًا له: شاول، شاول. لماذا تضطهدني؟ فقال من أنت يا سيّد؟ فقال الربّ: أنا يسوع الذي أنت تضطهده. صعب عليك أنْ ترفس مناخس. فقال وهو مرتعد ومتحيّر: يا ربّ، ماذا تريد أنْ أفعل؟ فقال له الربّ: قم وادخل المدينة فيُقال لك ماذا ينبغي أنْ تفعل. وأمّا الرجال المسافرون معه

فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحدًا. فنهض شاول عن الأرض، وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر أحدًا. فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق وكان ثلاثة أيّام لا يبصر فلمْ يأكل ولمْ يشرب. وكان في دمشق تلميذ اسمه حنانيّا. فقال له الربّ في رؤيا: يا حنانيّا. فقال: هأنذا يا ربّ. فقال له الربّ: قم واذهب إلى الزقاق الذي يُقال له المستقيم واطلب في بيت يهوذا رجلًا طرسوسيًّا اسمه شاول، لأنّه هوذا يصلّي. وقد رأى في رؤيا رجلًا اسمه حنانيّا داخلًا وواضعًا يده عليه لكي يبصر.» (أعمال الرسل ٩: ١–١٢)

ونستطيع أنْ نرى هنا سبب خشية المسيحيّين لبولس.

«فأجاب حنانيّا: يا ربّ، قد سمعت من كثيرين عن هذا الرجل كم من الشرور فعل بقدّيسيك في أورشليم. وههنا له سلطان من قِبَل رؤساء الكهنة أنْ يوثق جميع الذين يدعون باسمك. فقال له الربّ: اذهب، لأنّ هذا لي إناء مختار ليحمل اسمي أمام أمم وملوك وبني إسرائيل. لأنّي سأريهِ كم ينبغي أنْ يتألّم من أجل اسمي. فمضى حنانيّا ودخل البيت ووضع عليه يديه وقال: أيّها الأخ شاول، قد أرسلني الربّ يسوع الذي ظهر لك في الطريق الذي جئت فيه لكي تبصر وتمتلئ من الروح القدس. فللوقت وقع من عينيه شيء كأنّه قشور، فأبصر في الحال وقام واعتمد. وتناول طعامًا فتقوّى. وكان شاول مع التلاميذ الذين في دمشق أيّامًا» (أعمال الرسل ٩: ١٣–١٩).

نتيجة لاختباره هذا، اعتبر بولس نفسه شاهدًا للمسيح المُقام، وقال لاحقًا: «أما رأيت يسوع المسيح ربّنا؟» (١ كورنثوس ٩: ١). لقد قارن ظهور المسيح له بظهوره للرسل بعد القيامة. «وآخر الكلّ كأنّه للسّقط ظهر لي أنا» (١ كورنثوس ١٥: ٨).

لم يرَ بولس يسوع فقط، بل رآه بطريقة لا يُمكنه مقاومتها. ولم يكرز بالبشارة طوعًا واختيارًا وإنّما اضطرارًا. «لأنّه إنْ كنت أبشّر فليس لي فخر، إذ الضرورة موضوعة عليّ» (١ كورنثوس ٩: ١٦).

لاحِظ أنّ مقابلة بولس مع يسوع وتحوّله الذي تلا كان مفاجئًا وبدون توقّع. «فحدث لي وأنا ذاهب ومتقرّب إلى دمشق، أنّه نحو نصف النهار بغتة أبرق حولي من السماء نور عظيم» (أعمال الرسل ٢٢: ٦). لم تكن لدى بولس أدنى فكرة عن هويّة هذا الشخص السماويّ. وعندما أعلن أنّه يسوع الناصري، اندهش وبدأ يرتجف.

ما رأيك؟
هل سبق أنْ اختبرت انقلابًا جذريًّا لتوقّعاتك؟ كيف شعر التلاميذ برأيك حين أدركوا أنّ يسوع هو المسيح المُقام؟

قد لا نعرف كلّ التفاصيل والأحداث المتلاحقة أو العوامل النفسيّة المتعلّقة بما حدث لبولس على طريق دمشق، ولكنّنا نعلم شيئًا واحدًا: لقد قلب هذا الاختبار كلّ ناحية من نواحي حياته رأسًا على عقب.

أوّلًا، لقد تغيّرت شخصيّته تغييرًا جذريًّا. تصفه الموسوعة البريطانيّة قبل تحوّله وتجديده على أنّه غير متسامح وحاقد ومضطهد ومتعصّب دينيًّا، معتدّ بنفسه ومزاجيّ. وتصفه بعد تجديده كرجل صبور مُضَحٍّ له قدرة على التحمّل.[٤] يقول كينيث سكوت لاتوريت: «غير أنّ الذي أعاد تشكيل حياة بولس ونزع منه مزاجه العُصابيّ، وخرج به من دائرة الغضب وظلمته إلى دائرة الشهرة والتأثير الدائم، هو ذلك الاختبار الدينيّ العميق والثوريّ.»[٥]

ثانيًا، تغيّرت علاقة بولس مع أتباع يسوع ولم يخافوا منه فيما بعد. «وكان شاول مع التلاميذ الذين في دمشق أيّامًا،» (أعمال الرسل ٩: ١٩) وعندما ذهب إلى الرسل قبلوه. (أعمال الرسل ١٩: ٢٧–٢٨)

ثالثًا، تغيّرت رسالة بولس. وعلى الرغم من احتفاظه بحبّه لميراثه اليهوديّ فقد تحوّل من معادٍ لَدودٍ للإيمان المسيحيّ، إلى زعيم المدافعين عنه وعن أنصاره. «وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أنّ هذا هو ابن الله» (أعمال الرسل ٩: ٢٠). لقد تغيّرت قناعاته الفكريّة. فقد أجبره اختباره على الاعتراف بأنّ يسوع هو المسيح، مناقضًا بذلك أفكار الفريسيّين عن المسيح تناقضًا مباشرًا.[٦] لقد عنى تصوّره الجديد عن المسيح ثورة شاملة في فكره.

لاحظ جاك دوبون بدقّة أنّه بعد أنْ «أنكر بكلّ حماس وانفعال بأنّه يمكن لرجل مصلوب أنْ يكون المسيح المُنتظَر، أخذ يعترف بأنّه المسيح حقًّا، ونتيجة لذلك أعاد التفكير والنظر في كلّ أفكاره السابقة عن المسيح.»[٧]

قد لا نعرف كلّ التفاصيل والأحداث المتلاحقة أو العوامل النفسيّة المتعلّقة بما حدث لبولس على طريق دمشق، ولكنّنا نعلم شيئًا واحدًا: لقد قلب هذا الاختبار كلّ ناحية من نواحي حياته رأسًا على عقب.

وأصبح بإمكان بولس الآن أنْ يفهم أنّ موت المسيح على الصليب، الذي بدا له لعنة من الله ونهاية مستهجنة مؤسفة لحياة أيّ إنسان، هو الطريقة التي اختارها الله ليصالح بها الناس لنفسه من خلال المسيح. أخذ يدرك بأنّ المسيح أصبح لعنة من أجلنا من خلال الصلب (غلاطية ٣: ١٣). «لأنّه جعل الذي لم يعرف خطيّة، خطيّة لأجلنا، لنصير نحن برّ الله فيه» (٢ كورنثوس ٥: ٢١). وبدلًا من أنْ يكون موت المسيح على الصليب هزيمة، اعتبره انتصارًا عظيمًا توّجته القيامة. لم يعد الصليب حجر عثرة، ولكنّه أصبح جوهر الفداء الإلهيّ. ويمكن تلخيص كرازة بولس على أنّها إيضاح ضرورة تألّم المسيح وقيامته من الأموات وتقديم البراهين على ذلك. «موضحًا ومبيّنًا أنّه كان ينبغي أنّ المسيح يتألّم ويقوم من الأموات. وأنّ هذا هو المسيح يسوع الذي أنا أنادي لكم به.» (أعمال الرسل ١٧: ٣)

وبدلًا من أنْ يكون موت المسيح على الصليب هزيمة، نظر إليه بولس كانتصار عظيم توّجته القيامة. أصبح الصليب جوهر الفداء الإلهيّ.

رابعًا، تغيّرت مَهمّة بولس. تحوّل من مبغض للأمم إلى مُرسَل لهم. تغيّر من يهوديّ متعصّب إلى مبشّر للأمم. كان بولس، كيهوديّ وفريسيّ، يحتقر الأمم وينظر إليهم كما لو أنّهم أقلّ شأنًا من شعب الله المختار. لقد حوّله اختبار دمشق إلى رسول مكرَّسٍ مخْلِصٍ، وأصبح هدف حياته مساعدة الأمميّين. فقد رأى بولس في المسيح

الذي ظهر له، مخلِّصًا لكلّ الناس. فتحوّل من فريسيّ تقليديّ مَهمّته الحفاظ على القوانين اليهوديّة الصارمة، إلى داعية لهذه الطائفة الثوريّة المسمّاة بالمسيحيّة والتي عارضها بعنف شديد. كان التغيير الذي طرأ على حياته كبيرًا حتّى «بُهتَ جميع الذين كانوا يسمعون وقالوا: أليس هذا هو الذي أهلك في أورشليم الذين يدّعون بهذا الاسم، وقد جاء إلى هنا ليسوقهم موثقين إلى رؤساء الكهنة. وأمّا شاول فكان يزداد قوّة ويحيّر اليهود محقّقًا أنّ هذا هو المسيح» (أعمال٩: ٢١-٢٢).

يقول المؤرّخ فيليب شاف:

> «لم يكن تجديد بولس نقطة تحوّل في تاريخه الشخصيّ فحسب، ولكنّه كان أيضًا عهدًا جديدًا مهمًّا في تاريخ الكنيسة الرسوليّة، وبالتالي في تاريخ البشريّة. لقد كان أكثر حدث مثمر منذ معجزة يوم الخمسين، وضمن انتصار المسيحيّة على صعيد عالميّ.»[٨]

ذات يوم، جلست إلى جانب أحد التلاميذ أثناء فترة الغداء في جامعة هيوستن. خلال نقاشنا حول موضوع المسيحيّة، قال إنّه لا يوجد أيّ دليل تاريخيّ على المسيحيّة أو المسيح. كان الطالب يتخصّص في التاريخ. ولاحظت أنّ أحد كتبه يتناول موضوع التاريخ الرومانيّ. أشار الطالب بأنّ كتابه يحتوي على فصل حول الرسول بولس والمسيحيّة. وقال إنّه، وبعد قراءة ذلك الفصل، لاحظ أنّ الفصل بدأ بوصف لشاول الطرسوسيّ وانتهى بوصف حياة الرسول بولس.

ولاحظ أيضًا بأنّ ما حدث بين المرحلتين غير واضح أو مفهوم. ففتحْت الكتاب المقدّس على سفر أعمال الرسل، الذي يتحدّث عمّا

ما رأيك؟

كان بولس رجلًا مشهورًا في زمانه، وكان الجميع يعلم من هو. واليوم، حين يُصبح أحد المشاهير مسيحيًّا، كيف تكون ردّة فعل أغلب الناس؟ هل يجب النظر إليهم نظرة مختلفة؟

حدث بعد قيامة السيد المسيح وظهوره لبولس، وعندها أدرك ذلك الطالب بأنّ هذا هو أكثر تفسير منطقيّ للتغيّر الذي حصل في حياة بولس. وفي فترة لاحقة أصبح هذا الطالب تابعًا للمسيح.

كتب الياس أندروز، المدير السابق لمعهد كوينز اللاهوتي:

> «لقد وجد كثيرون في التحوّل الجذريّ الذي حدث "لفريسيّ الفريسيّين"، أعظم دليل مقنع على صحّة وقوّة الديانة التي اعتنقها، وعلى القيمة المُطلَقة لشخص المسيح ومكانته.»[٩]

كتب آرتشيبولد ماكبرايد، وهو أستاذ في جامعة أبردين عن بولس: «تبدو إنجازات الإسكندر الكبير ونابليون إلى جانب إنجازات بولس باهتة في أهمّيتها.»[١٠] يقول كليمندس الإسكندريّ بأنّ بولس قُيّد بالأغلال سبع مرّات، وبشّر بالإنجيل في الشرق والغرب، وغطّى كلّ الغرب، ومات شهيدًا على أيدي الحكّام.»[١١]

أكّد بولس مرارًا وتكرارًا بأنّ يسوع الحيّ المُقام غيّر حياته. لقد اقتنع بقوّة بقيامة المسيح من بين الأموات حتّى أنّه مات أيضًا شهيدًا من أجل معتقداته.

قرّر صديقان جامعيّان في جامعة أوكسفورد، وهما المؤلّف جلبرت وست ورجل الدولة اللورد جورج ليتلتون، أنْ يحطّما أساس الإيمان المسيحيّ. أراد وست أنْ يبرهن أنّ قيامة يسوع فكرة خاطئة، وأراد ليتلتون أنْ يثبت أنّ شاول الطرسوسي لم يتحوّل إلى المسيحيّة قطّ. لكن أبحاث كلا الرجلين انتهت إلى نتائج معاكسة، وأصبح الاثنان من أتباع يسوع المتحمّسين. كتب اللورد ليتلتون: «إنّ دراسة وافية لتحوّل القديس بولس ورسوليّته كافية وحدها للبرهنة على صحّة الوحي الإلهيّ للمسيحيّة.» وقد خَلُص إلى الاستنتاج بأنّه إذا كانت خمس وعشرون سنة التي قضاها بولس من المعاناة وخدمة المسيح حقيقة، فإنّ تحوّل بولس حقيقيّ، لأنّ كلّ شيء فعله بدأ بتغيّر مفاجئ. وإذا كان تحوّله أو تجديده حقيقيًّا، فهذا يعني أنّ يسوع قام من بين الأموات، لأنّه نسَبَ كلّ ما كان وما فعله إلى رؤيته للمسيح المُقام.

الفصل العاشر

هل يُمكن أنْ يرى تقيّك فسادًا؟

سألني أحد الطلبة في جامعة أوروغواي: «لماذا لم تقدر يا أستاذ ماكدويل أنْ تجد طريقة لدحض المسيحيّة؟»

فأجبته: «لسبب بسيط، وهو أنّي عاجز عن إيجاد تفسير مقنع لحدث تاريخيّ، وهو قيامة يسوع المسيح.»

بعد أنْ أمضيت أكثر من سبعمائة ساعة في دراسة هذا الموضوع والتحقيق الكامل في أسسه، توصّلت إلى نتيجة أنّه إمّا أنْ تكون قيامة يسوع إحدى أكثر الخدع الشرّيرة الخبيثة التي انطلت على الناس، أو أنّها أهمّ حقيقة تاريخيّة.

تأخذ قيامة يسوع هذا السؤال: «هل المسيحيّة صحيحة؟» من دائرة الفلسفة لتجعل منه سؤالًا تاريخيًّا. هل تملك المسيحيّة أساسًا تاريخيًّا مقبولًا؟ هل يوجد لدينا دليل كافٍ يُثبت الإيمان بالقيامة؟

إمّا أنْ تكون قيامة يسوع إحدى أكثر الخدع الشرّيرة الخبيثة التي انطلت على الناس أو أنّها أهمّ حقيقة تاريخيّة.

هذه هي بعض الحقائق المُرتبطة بالقيامة: يسوع الناصريّ، نبيّ يهوديّ زعم أنّه المسيح الذي تنبّأت عنه الأسفار اليهوديّة، قُبض عليه وأُدين كمجرم سياسيّ وصُلب. وبعد ثلاثة أيّام من دفنه، ذهبت بعض النسوة إلى قبره فوجدنَ أنّ جثّته مفقودة. زعم تلاميذه أنّ الله أقامه من بين الأموات وأنّه ظهر لهم عدّة مرّات قبل صعوده إلى السماء.

هذه هي القاعدة التي انتشرت منها المسيحيّة عبر الإمبراطوريّة الرومانيّة، واستمرّت في إحداث تأثير كبير على مرّ القرون.

والسؤال الكبير هو: هل حدثت القيامة حقًّا؟

موت يسوع ورفنه

بعد أنْ حُكم على يسوع بالموت، وبحسب العادة الرومانيّة، عرّوه من ثيابه وجلدوه قبل أنْ يصلبوه.

قام ألكساندر ماثيريل، الحائز على شهادة طبّيّة من جامعة ميامي وشهادة دكتوراه في الهندسة من جامعة بريستول في إنكلترا، بفحص دقيق ومُفصّل لجَلْد المسيح على أيدي الجنود الرومان، وكتب الشرح التالي لتلك العمليّة:

> كان الجلّاد يستخدم سوطًا من سيور الجِلْد المجدول التي يتخلّلها كُرات معدنيّة. وحين يضرب بها جسد المحكوم عليه، تتسبّب هذه الكرات المعدنيّة بكدمات عميقة ثمّ بجروح عميقة. وكان يُنسج في السوط عظام حادّة أيضًا تجرح اللحم جروحًا عميقة.
>
> كان الجِلْدُ واللحم يتقطّع على ظهر الإنسان، وأحيانًا يظهر العمود الفقري بسبب الجروح العميقة. وكان يُجلد الإنسان من أعلى كتفيه حتّى أسفل مؤخّرته وأيضًا على ظهر الساقين. كان الأمر فظيعًا جدًّا.
>
> قال أحد الأطباء الذين درسوا ضرب الجنود الرومان: «بينما يستمرّ الجَلْدُ، كان التمزّق يصل إلى العضلات المتّصلة بالهيكل العظمي فيبدأ اللحم الدامي المتقطّع بالانتفاض والارتعاش.» ووصف عمليّة الجَلْدِ مؤرّخ من القرن الثالث اسمه يوسيفوس قائلًا: «كانت الأوردة الدمويّة تظهر للعيان، وكانت العضلات والأوتار وأحشاء الضحيّة تظهر للعيان.»
>
> نعلم أنّ كثيرين ماتوا تحت هذا النوع من الضرب المميت حتّى قبل أنْ يصلوا إلى الصلب. كانت الضحيّة تختبر على الأقل ألمًا مُبرحًا ثمّ يدخل الإنسان في صدمة بسبب نقص كمّيّة الدم في جسده.[١]

استنادًا إلى وحشيّة الجَلْدِ وعمليّة الصلب التي تلي، من المؤكّد تاريخيًّا أنّ يسوع قد مات. حتّى الأعضاء المتطرّفون في حركة "ندوة يسوع" التي كانت

شائعة في التسعينيّات، قبلوا بأنّ المسيح قد مات. لهذا السبب يقول جون دومينيك كروسان إنّ موت يسوع صلبًا «هو أمر تاريخيّ أكيد بالمُطلق.»[٢]

لُفّ جسد يسوع، بقماش من الكتّان، بحسب عادات الدفن اليهوديّة. وقد وُضع حوالي ٤٥ كيلوغرامًا من الحنوط المعطّر الممزوج من مواد صمغيّة مُختلفة، بين طيّات الكفن حول جثّته (انظر يوحنا ١٩: ٣٩-٤٠). وبعد أنْ وُضعت الجثّة في قبر صخريّ قويّ، دُحرج باب حجريّ ضخم جدًّا يزن حوالي طنّين بواسطة روافع ليسدّ باب القبر (انظر متّى ٢٧: ٦٠).

ما رأيك؟
هل شاهدت يومًا فيلم حياة يسوع الذي يحتوي على موته وقيامته، كفيلم «آلام المسيح» الذي أنتجه ميل غيبسون؟ ما الذي دار في ذهنك وأنت تشاهد تعذيب المسيح وصلبه؟ هل تعتقد أنّه كان يستحقّ ما جرى معه؟

وُضع حرّاس رومانيّون منضبطون لحراسة القبر. وكان خوفهم من العقاب «يدفعهم إلى الاهتمام الكامل بواجباتهم من دون أيّ تقصير، خاصّة في ساعات المناوبة الليليّة.»[٣] شمّع هؤلاء الحرّاس القبر بالختم الرومانيّ إشارة إلى القوّة والسلطة الرومانيّة.[٤] وكان القصد من وراء ختم الشمع منع عمليّات التخريب والسطو. وهذا يعني أنّ كلّ شخص يحاول دحرجة الحجر عن مدخل القبر، يُعتبر متعدّيًا على القانون الرومانيّ عند قيامه بكسر ختم الشمع ويستحقّ بالتالي الموت.

على الرغم من كلّ تلك الحراسة والختم، كان القبر فارغًا.

القبر الفارغ

ادّعى أتباع يسوع أنّه قام من بين الأموات. وذكروا أنّه ظهر لهم خلال فترة أربعين يومًا. «أراهم أيضًا نفسه حيًّا ببراهين كثيرة» وفي بعض الترجمات تُذكر عبارة «ببراهين مقنعة» أو «ببراهين أكيدة.» (أعمال الرسل ١: ٣) وقال

الرسول بولس إنّ يسوع ظهر لأكثر من خمسمائة شخصٍ من أتباعه في مرّة واحدة، وإنّ معظم هؤلاء ما زالوا أحياء وبإمكانهم تأكيد ما كتبه بولس. (١ كورنثوس ١٥: ٣–٨).

يقول آرثر مايكل رامزي، رئيس الأساقفة في مدينة كانتربراري: «أؤمن بالقيامة، وأحد الأسباب التي تدعوني إلى ذلك هو سلسلة من الحقائق التي لا يمكن تفسيرها بدون القيامة.»[٥] أصبح موضوع القبر الفارغ «أشهر من أنْ يُنكر.»[٦] يقول پول ألثوس، اللاهوتي الألماني، بأنّه «كان من المستحيل المحافظة على الإيمان بالقيامة في القدس ليوم واحد أو لساعة واحدة، لو لم يتحقّق جميع المهتمّين من حقيقة القبر الفارغ.»[٧]

ويستنتج پول ل. ماير:

> «إذا قمنا بتقييم الأدلّة بعناية وموضوعيّة، فإنّه من المبرّر، حسب قواعد البحث التاريخيّ، أنْ نستنتج بأنّ القبر الذي دُفن فيه يسوع كان فارغًا فعلًا في صباح أوّل فصح. ولم يُكتشف حتّى الآن أيّ دليل يدحض هذه الحقيقة من أيّة مصادر أدبيّة أو من النقوش أو من علم الآثار.»[٨]

كيف يمكننا أنْ نفسّر حقيقة القبر الفارغ؟

يؤمن المسيحيّون، بناءً على أدلّة تاريخيّة قاطعة، بأنّ يسوع قام في الجسد في زمان ومكان معيَّنَين بقوّة الله فوق الطبيعيّة. قد تكون هنالك صعوبات كبيرة أمام الإيمان بها، لكنّ المشاكل المتضمّنة في عدم الإيمان بها، تضع أمامنا صعوبات أكبر بكثير.

كان لحالة القبر بعد القيامة دلالة هامّة. فقد كُسر الختم الرومانيّ، وكان العقاب التلقائي لذلك أنْ يُصلب الذين قاموا بذلك بشكل مقلوب. وقد دُحرج الحجر وتمّ إبعاده ليس عن المدخل فحسب، بل عن منطقة القبر كلّها، كما لو أنّه رُفِعَ وحُملَ بعيدًا. لاذت وحدة الحرس بالهرب.[٩] يذكر الإمبراطور الرومانيّ البيزنطيّ

جوستين في كتابه «دايجست» ثمانية عشرة جريمة يمكن أنْ تُعاقَب عليها وحدة الحرس بالموت، وتشمل النوم أثناء الحراسة أو ترك موقع الحراسة. جاءت النساء ووجدنَ القبر فارغًا، فأُصبنَ بالذعر ورجعنَ وأخبرنَ الرجال. هرع بطرس ويوحنا إلى القبر، فسبقه يوحنا، لكنّه لم يدخل القبر. نظر إلى الداخل، ولم يرَ غير الأكفان الفارغة قد اخترقها جسد المسيح وخرج إلى وجود جديد. وعلينا أنْ نعترف بأنّ أمرًا كهذا سيجعل أيّ شخص مؤمنًا.

ما رأيك؟
هل كنت مرّة ضمن مجموعة من الناس وحدث أمر جعل الجميع مسؤولًا عنه؟ هل تشابهت رواياتكم؟ هل يوجد صعوبة بأنْ يُخبر الجميع الرواية نفسها؟

نظريّات بديلة عن القيامة

قدّم كثيرون نظريّات بديلة لشرح القيامة، لكنّها غير منطقيّة بالمقارنة مع ادّعاء المسيحيّة بالقيامة. لهذا السبب، هي تساعدنا في الواقع على بناء ثقتنا في حقيقة القيامة.

نظريّة القبر الخطأ

طرح كيرسوب، عالِم بريطاني في الكتاب المقدّس، نظريّة تفترض بأنّ النساء اللواتي أبلغنَ عن الجثّة المفقودة ذهبنَ بالخطأ إلى قبر آخر. وإنْ كان الأمر صحيحًا، فلا بدّ أنّ التلاميذ الذين انطلقوا للتحقّق من أقوال النساء ذهبوا إلى هذا القبر الآخر أيضًا. غير أنّنا نستطيع التأكّد من أنّ السلطات اليهوديّة التي طالبت بوضع حراسة رومانيّة على القبر لمنع سرقة الجثّة، لا يمكن أنْ تخطئ فيما يتعلّق بموقعه. وينطبق الأمر نفسه على الحرّاس الرومانيّين، لأنّهم كانوا موجودين في الموقع. لو كانت المسألة مسألة قبر آخر، لسارعت السلطات اليهوديّة إلى إبراز جسده من القبر الصحيح، لإسكات أيّة شائعة عن القيامة بشكل فعّال وإلى الأبد.

نظريّة الهلوسة

تزعم محاولة أخرى بأنّ ظهورات يسوع بعد القيامة كانت إمّا أوهامًا أو هلوسات. ولا تتّفق هذه النظريّة مع المبادئ النفسيّة التي تشرح أسباب ظهور الهلوسات. ولا يُعقل أنْ نفكّر بأنّ خمسمائة شخص أصيبوا بالهلوسة معًا مدّة أربعين يومًا. ونظريّة الهلوسة هذه لا تتّفق مع الوضع التاريخيّ أو حالة الرسل العقليّة.

يؤمن المسيحيّون، بناءً على أدلّة تاريخيّة قاطعة، بأنّ يسوع قام في الجسد في زمان ومكان معيّنين بقوّة الله فوق الطبيعيّة. قد تكون هنالك صعوبات كبيرة أمام الإيمان بها، لكنّ المشاكل المتضمّنة في عدم الإيمان بها، تضع أمامنا صعوبات أكبر بكثير.

أين كانت الجثّة الحقيقيّة إذًا، ولماذا لم يبرزها المعارضون للتلاميذ؟

نظريّة الإغماء

تقول نظريّة الإغماء التي أشاعها الفيلسوف العقلانيّ الألمانيّ كارل فينتوريني من القرن التاسع عشر، وما زال بعضهم يشير إليها اليوم، بأنّ يسوع لم يمت فعلًا، وإنّما أغمي عليه من شدّة الإعياء وفقدان الدم. واعتقد الجميع أنّه مات. لكنّ تمّ إنعاشه فيما بعد، فظنّ التلاميذ أنّه قام من بين الأموات.

وقد قضى اللاهوتي الألماني الذي لا يؤمن بالقيامة، ديفيد فريدريك شتراوس، على كلّ رأي يزعم بأنّ يسوع عاد من حالة إغماء حين قال:

> من المستحيل على إنسان سُرِقَ وهو نصف ميت من القبر، وتمّ جرّه في الليل ضعيفًا مريضًا محتاجًا لعناية طبّيّة ولتضميدٍ لجراحه وللتقوية والاهتمام، أنْ يعطي التلاميذ انطباعًا بأنّه غلب الموت والقبر، وأنّه رئيس الحياة، وهو انطباع يشكّل أساسَ خدمتهم في المستقبل. لقد كان من شأن هذا الانتعاش من الإغماء أنْ يُضعف التأثير الذي تركه فيهم في حياته وموته، لكنّه لن يكون قادرًا بأيّ شكل من الأشكال على تحويل حزنهم إلى حماس، وتحويل احترامهم له إلى عبادة.(١٠)

نظريّة الجثّة المسروقة

تقول نظريّة أخرى بأنّ التلاميذ سرقوا الجثّة أثناء نوم الحرس. إنّ حزن التلاميذ وجبنهم يدحضان بشدة احتمال تحوّلهم المفاجئ إلى هذه الدرجة من الشجاعة والجرأة، بحيث يواجهون مفرزة من الجنود عند القبر ويسرقون الجثّة. فحالتهم النفسيّة لا تسمح لهم بمحاولة شيء مثل هذا.

علّق جي. ن. د. أندرسون على فكرة سرقة التلاميذ لجثّة يسوع بقوله:

> سيكون هذا العمل مناقضًا تمامًا لكلّ ما نعرفه عنهم: عن تعليمهم الأخلاقيّ، ونوعيّة حياتهم وثباتهم أمام الاضطهاد والمعاناة. كما أنّ ذلك لا يفسّر شيئًا من تحوّلهم المثير من مجموعة من الهاربين المحبطين واهنيّ العزيمة إلى شهود لا يمكن لأيّة معارضة أنْ تكمّ أفواههم.(١١)

نظريّة إخفاء الجثّة

تقول نظريّة أخرى بأنّ السلطات اليهوديّة أو الرومانيّة، قامت بإخفاء جثّة يسوع من القبر. هذا التفسير ليس تفسيرًا أكثر منطقيّة من نظريّة الجثّة المسروقة. لو كانت الجثّة موجودة تحت تصرّف السلطات، أو لو كانوا يعرفون مكانها، فلماذا لم يبيّنوا أنّهم أخذوها عندما كرز التلاميذ بقيامة يسوع في أورشليم؟ وإنْ كانوا قد فعلوا ذلك، فلماذا لم يحدّدوا المكان الذي توجد فيه الجثّة؟ لماذا لم يُخرجوا الجثّة ويضعوها على عربة لتعبُر في وسط أورشليم فيراها كلّ الناس؟ لقد كان من شأن هذا الإجراء أنْ يقضي على المسيحيّة في مهدها.

إنْ كانت السلطات قد أخفت جثّة المسيح، لماذا لم يُخرجوها ويضعوها على عربة لتعبُر في وسط أورشليم فيراها كلّ الناس؟ لقد كان من شأن هذا الإجراء أنْ يقضي على المسيحيّة في مهدها.

يعلّق الدكتور جون وارويك مونتغمري قائلًا:

إنّ القول بأنّ المسيحيّين الأوائل تمكّنوا من تأليف مثل هذه الرواية ونشرها بين أشخاص كانوا قادرين على تكذيبها بمجرّد إبرازهم جثّة يسوع هو قولٌ يتجاوز حدود العقل والتصديق.[١٢]

نظريّة نقل الجثّة

يصف جفري جاي لاودر فرضيّة مثيرة للاهتمام، مفادها أنّه تمّ وضع جسد المسيح أوّلًا في قبر يوسف الذي من الرامة ليلة الجمعة، ثمّ تمّ نقلها إلى قبور المجرمين.[١٣] بالتالي، لم يكن قبر يسوع فارغًا لأنّه قام من بين الأموات، بل لأنّه وبكلّ بساطة تمّ نقل الجسد إلى قبر آخر. وهكذا، آمن التلاميذ بالخطأ أنّه قام. وقد اكتسبت هذه النظريّة عددًا لا بأس به من الأتباع على شبكة الإنترنت.

لاقت نظريّة نقل الجثّة رواجًا لأنّ نقل الجثث كان أمرًا شائعًا في فلسطين قديمًا. ولكن، تجدر الإشارة إلى أنّ عمليّة إعادة الدفن التي كان يقوم بها اليهود تختلف تمامًا عن النظريّة المُقترحة ههنا. فبحسب التقاليد اليهوديّة، كان يُدفن الإنسان مدّة سنة كاملة، وبعد أنْ يتلف الجسد وتبقى العظام، يأخذونها وينقلونها إلى مقبرة أخرى.

إنّ المُعضلة التي تواجهها نظريّة نقل جسد يسوع هي عدم وجود أيّ دعم تاريخيّ لها، سواء كان ذلك في الكتاب المقدّس أو في المصادر غير الكتابيّة. لا نجد أيّ تلميح في روايات العهد الجديد بأنّ جسد المسيح قد أُعيد دفنه. والآية الموجودة في مرقس ١٦: ٦ تنقض هذه النظريّة، حين قال الشاب الجالس عند القبر: «قد قام. ليس هو ههنا.»

في الواقع، تواجه نظريّة نقل الجثّة مُعضلة أكبر من هذه، إذ يلاحظ الدكتور مايكل ليكونا التالي:

> في أفضل الحالات، حتّى لو كانت نظريّة نقل الجثّة صحيحة، فكلّ ما تُثبته هو وجود قبر فارغ. ولكنّنا نعلم أنّ حقيقة القبر الفارغ لم تُقنع التلاميذ أنّ يسوع قام من بين الأموات، إلّا يوحنا. إنّ ظهورات المسيح هي التي أقنعتهم أخيرًا، ولا نجد في نظريّة نقل الجثّة أو دفنها مرّة ثانية أيّ رأي مخالف لما جرى.[١٤]

لو كان قد تمّ نقل جسد يسوع إلى قبر آخر، فلماذا لم يكشف أحد أقرباء يسوع عن جسده حين بدأ التلاميذ يكرزون بالقيامة؟ لماذا لم تُظهر السلطات جسد يسوع وتقضي على المسيحيّة في مهدها؟ لقد اقترح بعضهم أنّه لم يعد بالإمكان التعرّف على جسده في ذلك الوقت، ولكن بالنظر إلى مناخ فلسطين البارد، كان بالإمكان التعرّف إلى جسد المسيح بعد تلك الفترة الزمنيّة.[١٥]

نظريّة التقليد

أصبحت عبارة «لا شيء أصليّ في المسيحيّة» إحدى أكثر العبارات تداولًا بين كثيرين من نقّاد اليوم. ففي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، اعتقد كثيرون من العلماء أنّ مزاعم المسيحيّة الأساسيّة منحولة أو مسروقة من الأديان الأسطوريّة عند اليونان والرومان. كانوا يعتبرون يسوع «إلهًا آخر مات وقام» كأيّ إله آخر أمثال أوزوريس وميثراس وأدونيس وديونيسوس. ومع أنّ هذه النظريّة لاقت رواجًا كبيرًا ومفاجئًا على شبكة الإنترنت وفي الكتب الشعبيّة، إلّا أنّها واجهت رفضًا عالميًّا من قِبَل العلماء المعاصرين، وإليكم السبب.

ما رأيك؟
هل يمكنك التفكير بأيّ شرح آخر طبيعيّ أو علميّ لقيامة يسوع؟ هل تشرح أيّة نظريّة أخرى كلّ الحقائق المتعلّقة بأحداث القيامة كما تشرحها القيامة نفسها؟

قد يبدو من الخارج أنّ الشبه كبير بين يسوع والأديان الأسطوريّة، إلّا أنّها تتداعى أخيرًا تحت مجهر الفحص الدقيق. فعلى صعيد المثال، قُتل أوزوريس على يد سيث وأقامته زوجته الإلهة إيزيس. ولكن بدل أنْ يعود إلى العالم بجسد مُقام، أصبح أوزوريس ملكًا في العالم السفليّ، وهذا لا يُشبه أبدًا قيامة يسوع المُثبتة تاريخيًّا. لهذا السبب يستنتج بول روديس إدي وغراغ بويد، اللذان ألّفا كتابًا بعنوان أسطورة يسوع أنّ: «الاختلافات الموجودة بين المسيحيّة والأديان الأسطوريّة أكثر وأعمق من الأمور المتشابهة. يوجد بالطبع عبارات متشابهة مُستخدمة في بداية المسيحيّة مع الأديان الأسطوريّة، إلّا أنّ البراهين شبه معدومة بوجود مفاهيم متشابهة.»[١٦]

بعكس يسوع التاريخيّ، لا يوجد أيّ برهان على مصداقيّة القصص في الأديان الأسطوريّة التي يزعمون أنّها تشبه ما حدث مع يسوع. كان يسوع حيًّا يُرزق، وقد صنع المعجزات ومات وقام من بين الأموات. وهذه الأمور والأحداث مدعومة بسجلّات تاريخيّة جديرة بالثقة. من الجهة المقابلة، آلهة الأديان الأسطوريّة التي ماتت وقامت، هي مجرّد أساطير يُعاد سردها عامًا بعد عام بحسب المواسم المتغيّرة.

الأطروحة العلميّة الأخيرة التي تعالج الآلهة الذين ماتوا وقاموا، هي للبروفيسور ت. ن. د. ماتينغر من جامعة لوند. في كلامه عن القيامة، يوافق ماتينغر على وجود أساطير عن آلهة تموت وتقوم في العالم القديم، ويُقرّ بأنّ أقلّيّة من العلماء يعترفون بهذه النظريّة. لكنّ استنتاجه الأخير هو بمثابة المسمار الأخير في نعش نظريّة التقليد:

> بحسب علمي، لا يوجد برهان أوّلي بأنّ موت يسوع وقيامته هما أسطورتان منسوجتان بحسب أساطير الآلهة التي تموت وتقوم في العالم المحيط به. لقد قمت بدراسة الموضوع ومقارنته مع خلفيّة الإيمان اليهوديّ بالقيامة، ووجدت أنّ الإيمان بموت وقيامة يسوع له خاصيّة مميّزة في تاريخ الأديان، وبالتالي ما زالت هذه الأحجية بلا حلّ.[١٧]

برهان القيامة

يقول البروفيسور ثوماس آرنولد، مؤلّف «تاريخ روما»، الذي يقع في ثلاث مجلّدات، ورئيس مجلس إدارة فرع التاريخ الحديث في جامعة أوكسفورد، وهو مطّلع تمامًا على قيمة الدليل في تقرير الحقائق التاريخيّة:

> «اعتدتُ لسنوات طويلة دراسة تواريخ العصور الأخرى، ودراسة الأدلّة التي قدّمها الأشخاص الذين كتبوا عنها وتقييم هذه الأدلّة. أنا متيقّن بأنّه لا توجد حقيقة في تاريخ الجنس البشريّ برهنت بأدلّة مختلفة، أفضل وأوفى من تلك المعجزة التي أعطانا إيّاها الله بموت المسيح وقيامته من بين الأموات.»[١٨]

يقول العالم الإنجليزي بروك فوس ويسكوت الذي كان معلِّم مادّة علم اللاهوت في جامعة كامبردج:

> «إذا أخذنا الأدلّة مجتمعة، فليس من المبالغة القول بأنّه لا توجد حادثة تاريخيّة مدعومة ببراهين أفضل وأكثر تنوّعًا من قيامة المسيح. ولا يوجد دليل لضحدها سوى الافتراض المُسبق بعدم صحّتها.»[١٩]

ويقول ويليام لاين كريغ مُستنتجًا: «حين تستخدم قوانين التقييم التاريخيّ العاديّة، تجد أنّ أفضل شرح للحقائق هو أنّ الله أقام يسوع من بين الأموات.»[٢٠]

كان الدكتور سايمون جرينليف أحد أعظم العقول القانونيّة في هذا القرن، وكان أستاذ القانون الملكيّ في جامعة هارفارد. وخَلَفَ جاستيس جوزف ستوري كأستاذ لمادّة القانون في الجامعة نفسها. ألّف جرينليف أثناء تقلّده منصب أستاذ القانون في جامعة هارفارد مجلّدًا شرح فيه القيمة القانونيّة لشهادة الرسل بقيامة المسيح. وقد لاحظ بأنّه كان يستحيل على الرسل «أنْ يثابروا على تأكيد الحقائق التي رووها لو لم يكن يسوع قد قام فعلًا من بين الأموات، وأنْ يعرفوا ذلك كحقيقة مؤكّدة كأيّة حقيقة أخرى.»[٢١] وخَلُص جرينليف إلى القول بأنّ قيامة يسوع كانت أحد أفضل الحوادث التاريخيّة توثيقًا حسب قوانين الأدلّة الشرعيّة المعمول بها في محاكم العدل.

يُعتبر السير ليونيل لوكهو من أنجح المحامين حول العالم بعد أنْ برّأ ٢٤٥ شخصًا من تهمة القتل. قام هذا المحامي اللامع بتحليل كثيف للحقائق التاريخيّة المتعلّقة بقيامة المسيح وصرّح قائلًا: «أقول إنّ برهان قيامة يسوع المسيح هو برهان ثابت لا لُبس فيه، يُلزم الآخرين القبول فيه ولا يترك أيّ مجال للشكّ.»[٢٢]

كان يستحيل على الرسل أنْ «يثابروا على تأكيد الحقائق التي رووها لو لم يكن يسوع قد قام فعلًا من بين الأموات.»

شرع محام بريطاني آخر، واسمه فرانك موريسون، في دحض الأدلّة على القيامة. اعتقَدَ بأنّ حياة يسوع كانت إحدى أفضل السِيَر التي عرفها التاريخ. لكن بالنسبة للقيامة، فقد افترض أنّ أحدهم دسّ هذه الأسطورة في قصّة يسوع. فعزم على أنْ يكتب سجلًّا للحوادث التي حصلت في أواخر الأيّام التي عاشها يسوع على الأرض. وقرّر سلفًا أنْ ينبذ فكرة القيامة، واعتقد بأنّ نهجًا عقليًّا ذكيًّا سيسفر عن إسقاط القيامة من الحساب. غير أنّه اضطر، وهو يتعامل مع الحقائق بخلفيّته وتدريبه القانونيَّين، إلى تغيير قناعاته. وكتب أخيرًا كتابًا من أكثر الكتب مبيعًا بعنوان «من دحرج الحجر؟» وكان عنوان أوّل فصل «الكتاب الذي رُفض أنْ يُكتب.» وتتعامل بقيّة الفصول بشكل حاسم مع أدلّة قيامة يسوع.[٢٣]

يقول جورج إلدون لاد، «إنّ التفسير المعقول الوحيد لهذه الحقائق التاريخيّة هو أنّ الله أقام يسوع جسديًّا.»[٢٤] يستطيع المؤمنون بيسوع المسيح أنْ يثقوا ثقة كاملة، كما كان الأمر مع المسيحيّين الأوائل، بأنّ إيمانهم مبنيّ لا على خرافة أو أسطورة، وإنّما على الحقيقة التاريخيّة المتينة للمسيح المُقام والقبر الفارغ.

ناظر غاري هابرماس، وهو بروفيسور لامع ورئيس مجلس إدارة فرع الفلسفة واللاهوت في جامعة ليبرتي، المُلحد السابق والعالِم اللامع أنطوني فْلو في موضوع «هل قام يسوع من بين الأموات؟» بعد انتهاء المناظرة، طُلب من قاضي المناقشات المحترِف تقييم المناظرة فقال:

> «البرهان التاريخيّ، مع العيوب الموجودة فيه، هو برهان قويّ وكاف يقود الإنسان بشكل منطقيّ ليستنتج بأنّ المسيح قام فعلًا من بين الأموات... لقد أنهى هابرماس مناظرته بتقديم «دليل راجح جدًّا» على تاريخيّة القيامة «مع عدم وجود أيّ برهان طبيعيّ معقول ضدّها.»[٢٥]

غير أنّ أهمّ نقطة هي أنّه يمكن لكلّ مؤمن أنْ يختبر قوّة المسيح المُقام في حياته اليوم. يستطيع أوّلًا أنْ يتيقّن من أنّ خطاياه مغفورة (انظر لوقا ٢٤: ٤٦–٤٧؛ ١ كورنثوس ١٥: ٣). ويستطيع ثانيًا أنْ يتأكّد من حصوله على الحياة الأبديّة

وقيامته شخصيًّا من القبر (انظر ١ كورنثوس ١٥: ١٩–٢٦). ويستطيع ثالثًا أنْ يتحرّر من حياة فارغة بلا معنى ويتحوّل إلى خليقة جديدة في يسوع المسيح (انظر يوحنا ١٠: ١٠؛ ٢ كورنثوس ٥: ١٧).

ما رأيك؟
هل تهمّك اليوم حقيقة قيامة يسوع من بين الأموات منذ حوالي ٢٠٠٠ سنة؟ برّر إجابتك.

ما هو تقييمك وما هو قرارك؟ ما رأيك في القبر الفارغ؟ بعد أنْ قام اللورد دارلينغ، رئيس قضاة إنجلترا سابقًا، بفحص الأدلّة من وجهة نظر قضائيّة، قال: «هناك أدلّة قاطعة، إيجابيّة وسلبيّة، حقيقيّة وظرفيّة، بحيث لا يمكن لأيّة محكمة عاقلة في العالم إلّا بأنْ تصدر حكمًا بأنّ قصّة القيامة حقيقة.»[٢٦]

الفصل الحادي عشر

هلّا يتفضّل المسيح الحقيقيّ ويُعلن عن نفسه؟

من بين كلّ الشهادات المختلفة التي تثبت أنّ يسوع هو المسيح المُنتظَر، وأنّه ابن الله، يوجد شهادة من أعمق وأهمّ الشهادات التي غالبًا ما يتمّ إغفالها وهي: تحقّق النبوءات القديمة الكثيرة في حياته. وسأعالج في هذا الفصل من الكتاب هذه الحقيقة المُدهشة.

استشهد يسوع مرارًا وتكرارًا بنبوءات العهد القديم لإقامة الحجّة على مزاعمه بأنّه المسيح المُنتظَر. تقول كلمة الله في غلاطية ٤: ٤ «ولكن لمّا جاء ملء الزمان، أرسل الله ابنه، مولودًا من امرأة، مولودًا تحت الناموس.» نجد هنا دليلًا على النبوءات التي تمّت وتحقّقت في يسوع المسيح.» ثمّ ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسّر لهما الأمور المختصّة به في جميع الكتب» (لوقا ٢٤: ٢٧). قال لهم يسوع: «هذا هو الكلام الذي كلّمتكم به وأنا بعد معكم، أنّه لا بدّ أنْ يتمّ جميع ما هو مكتوب عنّي في ناموس موسى والأنبياء والمزامير» (لوقا ٢٤: ٤٤). قال «لأنّكم لو كنتم تصدّقون موسى، لكنتم تصدّقونني لأنّه هو كتب عنّي» (يوحنا ٥: ٤٦). وقال «إبراهيم تهلّل بأنْ يرى يومي» (يوحنا ٨: ٥٦).

وقد ركّز الرسل وكتّاب العهد الجديد باستمرار على تحقيق النبوءات، لإثبات مزاعم يسوع بأنّه ابن الله والمخلّص والمسيح. «وأمّا الله، فما سبق وأنبأ به بأفواه جميع أنبيائه أنْ يتألّم المسيح قد تمّمه هكذا» (أعمال الرسل ٣: ١٨). «فدخل بولس إليهم حسب عادته وكان يحاجّهم ثلاثة سبوت من الكتب موضحًا ومبيّنًا أنّه كان ينبغي أنّ المسيح يتألّم ويقوم من بين الأموات. وأنّ هذا هو المسيح يسوع الذي أنا أنادي لكم به» (أعمال الرسل١٧: ٢-٣). «فإنّني سلّمت إليكم في الأوّل ما

ما رأيك؟
هل تعتقد أنّه يوجد أيّ اختلاف بين النبوءة والتوقّع؟ هل توقّع لك أحدهم شيئًا حين كنت صغيرًا وتحقّق هذا الأمر؟ كيف يختلف هذا عن النبوءات التي تمّمها يسوع؟

قبلته أنا أيضًا أنّ المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب، وأنّه دفن وأنّه قام في اليوم الثالث حسب الكتب.» (١ كورنثوس ١٥: ٣–٤)

نجد في العهد القديم ستّين نبوءة رئيسيّة مسيانيّة، وحوالي مائتين وسبعين نبوءة فرعيّة تحقّقت كلّها في شخص واحد هو يسوع المسيح. ومن المُفيد أنْ ننظر إلى كلّ هذه النبوءات المتحقّقة في المسيح «كعنوان» له. دعني أشرح لك ما أقصده. ربّما لم تلحظ أهمّيّة التفاصيل المتعلّقة باسمك وعنوانك، غير أنّ هذه التفاصيل هي التي تميّزك عن بلايين البشر الذين يسكنون هذا الكوكب.

عنوان في التاريخ

بتفصيلٍ شديد الدقّة، وضع الله «عنوانًا» في التاريخ ليميّز ابنه، المسيح المُنتظَر، مخلِّص الجنس البشريّ، عن أيّ شخص آخر عاش في التاريخ سواء كان في الماضي أو الحاضر أو المستقبل. ويمكننا أنْ نجد تفاصيل هذا العنوان في العهد القديم الذي كُتب على مدى فترة تزيد عن ألف سنة، والذي يحتوي على أكثر من ثلاثمائة إشارة حول مجيئه. وإذا استخدمنا عِلْم الاحتمالات، فإنّ فرصة إتمام ثمانٍ وأربعين منها في شخص واحد هي ١ من ١٠[١٥٧].

وممّا يزيد من صعوبة مَهمّة مطابقة العنوان الذي وضعه الله لشخص واحد، هو أنّ كلّ النبوءات المتعلّقة بالمسيح المُنتظَر قد قيلت عنه قبل ما لا يقلّ عن أربعمائة عام من الموعد المعيّن لمجيئه. ربّما لا يوافق البعض على هذا، فيقولون إنّ هذه النبوءات كُتبت بعد زمن المسيح ولُفّقت لتتّفقَ مع حياته. وقد تبدو هذه الفكرة معقولة، إلى أنْ ندرك أنّ الترجمة السبعينيّة، أي الترجمة اليونانيّة للعهد القديم العبريّ، قد تمّت ما بين ١٥٠ و٢٠٠ ق. م... وهذا يعني أنّه كانت هنالك فجوة مائتي عام على الأقل بين النبوءات المسجّلة وتحقّقها في المسيح.

من المؤكّد أنّ الله كان يضع «عنوانًا» في التاريخ لا يمكن أنْ يتحقّق إلّا بالمسيح. لقد ادّعى حوالي أربعون شخصًا أنّهم المسيح المُنتظَر. ولكن واحدًا فقط استشهد بالنبوءات التي تحقّقت فيه لإثبات مزاعمه. وكان لديه أوراقًا ثبوتيّة وبراهين تدعم هذه المزاعم.

ما هي بعض هذه الأوراق الثبوتيّة؟ وما هي بعض الحوادث التي كان لا بدّ أنْ تسبق ظهور ابن الله وتتزامن معه؟

بدايةً، علينا أنْ نرجع إلى سفر التكوين ٣: ١٥، حيث نجد أوّل نبوّة عن المسيح المُنتظَر في الكتاب المقدّس: «وأضع عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها، هو يسحق رأسك، وأنت تسحقين عقبه.» لا يمكن لهذه النبوّة إلّا أنْ تشير إلى شخص وحيد في كلّ الكتاب المقدّس. يسوع فقط هو المولود «من نسل المرأة»، بينما الآخرون مولودون من نسل آدم. نجد هنا أنّ نسل المرأة سيأتي إلى العالم ويُبطل أعمال الشيطان (يسحق رأس الحيّة).

نجد في الأصحاحين التاسع والعاشر من سفر التكوين، أنّ الله قد ضيّق هذا العنوان وزاده تحديدًا. كان لنوح ثلاثة أبناء: سام وحام ويافث. ويمكننا اليوم أنْ نُرجع أصل كلّ أمم الأرض إلى هؤلاء الرجال الثلاثة. لكنّ الله استثنى ثلثيهما من نسب المسيح حين حدّد بأنّ المسيح سيأتي من ذرّيّة سام.

في عام ٢٠٠٠ ق. م.، يدعو الله رجلًا من أور الكلدانيّين اسمه إبراهيم. ومع إبراهيم، أصبح الله أكثر تحديدًا في وعده بأنّ المسيح سيكون من نسله. وقال الله بأنّ كلّ قبائل الأرض وأممها ستتبارك من خلال إبراهيم (انظر تكوين ١٢: ١–٣؛ ١٧: ١–٨؛ ٢٢: ١٥–١٨). كان لإبراهيم ابنان: إسحق وإسماعيل. غير أنّ كثيرين من نسل إبراهيم لم يُشمَلوا بالوعد عندما اختار الله ابنه الثاني إسحق لكي يأتي المسيح من نسله (انظر تكوين ١٧: ١٩–٢١؛ ٢١: ١٢).

كان لإسحق ولدان: يعقوب وعيسو، فاختار الله نسل يعقوب (انظر تكوين ٢٨: ١–٤؛ ٣٥: ١٠–١٢؛ سفر العدد ٢٤: ١٧). وكان ليعقوب اثنا عشر ولدًا هم أسباط إسرائيل الاثني عشر، ثمّ اختار الله سبط يهوذا ليأتي المسيح من نسله مستثنيًا بذلك بقيّة الأسباط. ومن بين سبط يهوذا، وقع الاختيار الإلهيّ على نسل يسّى (انظر إشعياء ١١: ١–٥). ونستطيع هنا أنْ نرى بأنّ العنوان أصبح أكثر تحديدًا.

كان ليسّى ثمانية أولاد. لكنّنا نجد في ٢ صموئيل ٧: ١٢–١٦ وفي إرميا ٢٣: ٥ بأنّ الله استثنى سبعة أثمان نسل يسّى من نسب المسيح. إذًا، على المسيح أنْ يولد من نسل المرأة، وذرّيّة سام، ومن الأمّة اليهوديّة، ومن ذرّيّة إسحق ويعقوب وسبط يهوذا، ومن عائلة يسّى ومن بيت داود.

يستبعد الله في ميخا ٥: ٢ كلّ مدن العالم ويختار مدينة بيت لحم المكان الذي سيولد فيه المسيح، وهي مدينة يُقدّر عدد سكّانها بأقلّ من ألف نسمة.

ما رأيك؟
هل راجعْت مرّة سلسلة نسبك؟ هل اكتشفت معلومات مثيرة عن عائلتك؟ هل تعرف شيئًا عن أجداد يسوع؟ ما هي الأمور الأكثر إثارة في هذا الموضوع؟

ثمّ نجد في سلسلة من النبوّات أنّ الله حدّد الزمن الذي سيأتي فيه المسيح. مثلًا، في ميخا ٣: ١ وفي أربعة أماكن أخرى في العهد القديم، نقرأ أنّ المسيح سيأتي وهيكل سليمان موجود (انظر مزمور ١١٨: ٢٦؛ دانيال ٩: ٢٦؛ زكريا ١١: ١٣؛ حجّي ٢: ٧–٩).[1] هذا أمر بالغ الأهمّيّة خاصّة حين نُدرك أنّ الهيكل دُمِّر عام ٧٠ ب. م. ولم يُعَدْ بناؤه منذ ذلك التاريخ.

ويضيف إشعياء ٧: ١٤ أنّ المسيح سيولد من عذراء: أيْ أنّه ستكون هنالك ولادة طبيعيّة بحمْل غير طبيعيّ، وهذا أمر أو مقياس يتجاوز حدود التخطيط والسيطرة البشريّة. وتصف نبوءات كثيرة مسجّلة في إشعياء والمزامير المناخ الاجتماعيّ الذي سيعيش فيه رجل الله هذا، وردود الفعل التي سيواجهها: فسترفضه خاصّته، أي اليهود، وسيؤمن به الأمميّون، وسيكون هناك من سيسبقه ليعدّ له الطريق (إشعياء ٤٠: ٣–٥، ملاخي ٣: ١)، صوت صارخ في البريّة يعدّ طريق الربّ، وهو يوحنا المعمدان.

ثمّ لاحِظْ كيف أنّ مقطعًا في العهد الجديد (متّى ٢٧: ٣–١٠) يُشير إلى نبوءات محدّدة في العهد القديم تُحدّد عنوان المسيح أكثر. إذْ يصف متّى ما فعله يهوذا بعد خيانته للمسيح، مُشيرًا إلى أنّ العهد القديم قد تنبّأ عن هذه الأحداث (انظر مزمور ٤١: ٩؛ زكريا ١١: ١٢–١٣).[2] يُشير الله في هذه المقاطع إلى أنّ المسيح (١) سيخونه أحدهم، (٢) سيخونه صديق، (٣) مقابل ثلاثين من الفضة،

وبأنّ هذا المال (٤) سيُرمى على أرض الهيكل. وهكذا أصبح عنوان المسيح أكثر تحديدًا.

وتقول نبوّة يرجع تاريخها إلى عام ١٠١٢ ق. م. بأنّ يدَيْ هذا الرجل ورجلَيْه ستُثقبان، وبأنّه سيُصلب (انظر مزمور ٢٢: ٦–١٨؛ زكريّا ١٢: ١٠؛ غلاطية ٣: ١٣). ولقد كُتب هذا الوصف قبل ٨٠٠ عام من بدء استخدام الرومان عقوبة الصلب كطريقة للإعدام.

إذًا، يتألّف عنوان المسيح من تحديد دقيق للنسل والمكان والزمان وطريقة الولادة والموت. إنّها جزء من مئات التفاصيل التي تشكّل «العنوان» الذي من خلاله سيُعرَف ابن الله، مُخلّص العالم.

يتألّف عنوان المسيح من تحديد دقيق للنسل والمكان والزمان وطريقة الولادة والموت. إنّها جزء من مئات التفاصيل التي تشكّل «العنوان» الذي من خلاله سيُعرَف ابن الله، مُخلّص العالم.

فهل تحقّقت هذه النبوءات بالصدفة؟

قد يعترض أحدهم ويقول: «قد تجد بعض هذه النبوءات تحقّقت في أبراهام لينكولن أو أنور السادات، أو جون ف. كندي، أو الأم تيريزا، أو بيلي غراهام.»

هذا صحيح، فإنّك قد تجد نبوءة أو نبوءتين تنطبقان على أشخاص آخرين، ولكنّك لن تجد النبوءات الستين الرئيسيّة والمائتين والسبعين نبوءة الفرعيّة منطبقة عليهم. ولقد عرضت دار النصر المسيحيّة للنشر في دنفر جائزة قدرها ألف دولار لكلّ من يستطيع أنْ يجد شخصًا، حيًّا أو ميتًا، غير المسيح، تحقّقت فيه نصف النبوءات التي ذكرها فْرِد جون ميلداو في كتابه «المسيح في العهدين القديم والجديد»، ولم يتقدّم أحد لأخذ تلك الجائزة.

ما رأيك؟
ما احتمال وجود شخص واحد يتمّم حرفيًّا نبوءات قديمة كثيرة قيلت قبل مئات السنين من ولادته؟ كيف يُعقل أنّ يسوع فعل هذا؟

هل يستطيع شخص واحد أنْ يحقّق كلّ نبوّات العهد القديم؟ كتب هـ. هارولد هارتزلر رئيس المنظّمة العلميّة الأميركيّة في تمهيد لكتاب ألّفه بيتر ستونر وروبرت نيومان بعنوان «العِلْم يتحدّث»:

> لقد قامت لجنة من الجمعيّة العلميّة الأميركيّة بمراجعة دقيقة لهذا الكتاب، كما قامت اللجنة التنفيذيّة للجمعيّة نفسها بمراجعة مماثلة له، ووجدت أنّه دقيق بشكل عامٍّ وموثوق فيما يتعلّق بالمادّة العلميّة المقدّمة. فالتحليل الحسابيّ الذي يعتمده المؤلّفان مبنيّ على مبادئ الاحتمالات المنطقيّة تمامًا. ولقد طبّق الأستاذ ستونر هذه المبادئ بطريقة صحيحة ومقنعة.»[٣]

تُثبت الاحتمالات التالية المأخوذة من ذلك الكتاب أنّ عِلْم الاحتمالات ينفي مبدأ الصدفة. يقول ستونر، إنّه بتطبيق عِلْم الاحتمالات الحديث على ثماني نبوءات، «نجد أنّ فرصة تحقّق كلّ هذه النبوءات الثمانية في شخص واحد هي ١ من أصل $١٠^{١٧}$»[٤] أي ١ من أصل ١٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠. ولكي يساعدنا ستونر على استيعاب هذا الاحتمال المذهل، أعطانا الافتراض التالي:

> إذا أخذنا $١٠^{١٧}$ دولارًا فضيًّا وغطّينا بها ولاية تكساس، فستغطّيها حتّى عمق قدمين. ثمّ وضعنا علامة على أحد هذه الدولارات ووضعناه داخل هذه الكتلة الهائلة وقمنا بتحريكها بشكل كامل. ثمّ عصبنا عينيّ رجل وطلبنا منه أنْ يتوجّه حيثما شاء شرط أنْ يعثر على الدولار ذي العلامة. فما هي فرصته في العثور على هذا الدولار؟ هذه هي تمامًا الفرصة نفسها التي كانت لدى الأنبياء لكتابة ثماني نبوءات وتتحقّق لاحقًا في شخص واحد.

> لقد كُتبت هذه النبوءات إمّا بوحيٍ من الله، أو أنّ الأنبياء كتبوها كما اعتقدوا أنّها يجب أنْ تُكتب. ولقد كانت لهم في مثل هذه الحالة فرصة واحدة من أصل $١٠^{١٧}$ حتى تتحقّق في أيّ شخص، لكنّها تحقّقت جميعها في المسيح.
> وهذا يعني أنّ تحقّق هذه النبوءات الثمانية وحدها، يثبت أنّ الله أوحى بكتابة هذه النبوءات بشكل محدّد لا يفتقر إلّا لفرصة واحدة من أصل $١٠^{١٧}$ حتّى يكون مُطلقًا.[٥]

اعتراض آخر

لماذا يتكبّد الله كلّ هذه المشقّة؟ أعتقد أنّه أراد أنْ يوفّر ليسوع المسيح كلّ الأوراق الثبوتيّة اللازمة عند مجيئه إلى العالم. غير أنّ أكثر الأشياء إثارة هو أنّ يسوع جاء ليغيّر حياة الناس.

يقول اعتراض آخر بأنّ يسوع تعمّد إتمام النبوءات اليهوديّة فيه. وقد يبدو هذا الاعتراض مقبولًا إلى أنْ نعرف أنّ كثيرًا من تفاصيل مجيئه كانت خارج نطاق السيطرة البشريّة بشكل كامل. فهنالك مثلًا مكان ولادته الذي لم يكن بإمكان يسوع أنْ يفرضه على أمّه وهو ما زال في أحشائها. فعندما سأل هيرودس رئيس الكهنة والكتبة، «أين يولد المسيح؟» أجابوا «في بيت لحم اليهوديّة، لأنّه هكذا مكتوب بالنبي.» (متّى ٢: ٥). من الغباوة بمكان أنْ يظنّ أحدهم أنّ مريم ويوسف ارتحلا إلى المدينة التي سيولد فيها يسوع، وأنّ يسوع قال وهو في بطن أمّه: «يا أمّي، من الأفضل أنْ تسرعي وإلّا لن نصل إلى المدينة.»

كانت نصف النبوءات أكبر من قدرته على تحقيقها: كطريقة ولادته؛ وخيانة يهوذا له وسعر الخيانة؛ وطريقة موته؛ وردّة فعل الناس وسخريتهم وبصقهم عليه؛ وإلقاء القرعة على ثيابه وتردّد الجنود في تمزيق ردائه. وفوق كلّ هذا، لم يكن بإمكان المسيح أنْ يجعل نفسه يولد من نسل المرأة ومن ذرّيّة سام وإبراهيم، وأنْ يسيطر على كلّ الأحداث التي أدّت إلى ولادته. لا عجب أنْ يلتجئ يسوع والرسل إلى تحقيق النبوءات فيه لإثبات زعمه بأنّه ابن الله.

ما رأيك؟
من بين البراهين الثلاثة المذكورة في هذا الكتاب - مصداقيّة الكتاب المقدّس، والبرهان التاريخيّ للقيامة، وتحقيق النبوءات - أيّ برهان منها تجده أكثر إقناعًا؟ لماذا؟

لماذا يتكبّد الله كلّ هذه المشقّة؟ أعتقد أنّه أراد أنْ يوفّر ليسوع المسيح كلّ الأوراق الثبوتيّة اللازمة عند مجيئه إلى العالم. غير أنّ أكثر الأشياء إثارة هو أنّ يسوع جاء ليغيّر حياة الناس. أثبت وحده صحّة مئات من نبوءات العهد القديم حول مجيئه. وهو الوحيد الذي يستطيع إتمام أعظم النبوءات بالنسبة لكلّ الذين يقبلونه – وهي وعد الحياة الجديدة: «وأعطيكم قلبًا جديدًا، وأجعل روحًا جديدةً في داخلكم» (حزقيال ٣٦: ٢٦). «إذًا، إنْ كان أحد في المسيح، فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكلّ قد صار جديدًا.» (٢ كورنثوس ٥: ١٧)

الفصل الثاني عشر

أليست هنالك طريقة أخرى؟

خلال محاضرة كنت ألقيها في جامعة تكساس، تقدّم منّي أحد الطلاب وسألني: «لماذا يسوع هو الطريق الوحيد ليكون لنا علاقة مع الله؟» لقد بيّنتُ أنّ يسوع قال عن نفسه إنّه الطريق الوحيد إلى الله، وأنّ شهادة الأسفار والرسل موثوقة، وأنّ هنالك ما يكفي من الأدلّة لتبرير الإيمان بيسوع مخلِّصًا وربًّا. وعلى الرغم من كلّ هذه الإيضاحات سألني الطالب: «ولماذا يسوع وحده؟ أليس هنالك طريق آخر إلى الله؟» وبكلّ أسف، كثيرون يبحثون باستمرار، مثل هذا الشاب، عن بدائل أخرى، ويتساءلون: «ماذا عن بوذا أو كونفوشيوس أو الأنبياء الآخرين؟ ألا يستطيع الإنسان أنْ يعيشَ حياة صالحة فحسب؟ وإنْ كان الله مُحبًّا لهذه الدرجة، أفلا يقبل كلّ الناس كما هم؟»

هذه هي الأسئلة النموذجيّة التي تُطرح عليّ باستمرار. يبدو في عصرنا المنفتح اليوم، أنّ الناس يشعرون بالإساءة حين يسمعون أنّ يسوع هو الطريق الوحيد إلى الله، وأنّه الوحيد الذي يغفر الخطايا ويعطي الخلاص. ردّة فعل الناس هذه، هي دليل بأنّهم لا يفهمون طبيعة الله. نستطيع أنْ نرى جوهر سوء فهمهم في هذا السؤال الذي يطرحونه: «كيف يُمكن لإله محبّ أنْ يسمح لأيّ كان أنْ يكون مصيره الجحيم؟» وغالبًا ما أقلب السؤال وأقول: «كيف يُمكن لإله قدّوس وعادل أنْ يسمح لشخص خاطئ أنْ يبقى في محضره؟» أغلب الناس يرَون بأنّ الله إله محبّ، ولكنّهم لا يذهبون أبعد من ذلك. فالله ليس إلهًا محبًّا فقط، بل هو إله بارّ وعادل وقدّوس. لا يقدر الله أنْ يقبل الخطيّة في سمائه كما أنت لا تقدر أنْ تقبل بأنْ يعيش كلب وسخ ومريض في بيتك. سوء الفهم هذا حول طبيعة الله وصفاته الأساسيّة، هو السبب وراء كثير من المشاكل اللاهوتيّة والأخلاقيّة.

ما رأيك؟
كيف تصف الله؟ ما هو مصدر أفكارك عن الله؟ هل يفاجئك أيّ أمر في يسوع، يبدو لك بأنّه لا يتناسب مع وصفك لله؟

نحن نعرف الله بشكل أساسيّ من خلال صفاته. ولكنّ صفاته هذه ليست جزءًا منه بالطريقة نفسها التي اكتسبْتَ بها أنت صفاتك وأصبحَت جزءًا منك. قد تُدرك أنّه من الجيّد أنْ تكون مهذّبًا فتتبنّى صفة التهذيب كجزء من شخصيّتك، ولكنّ هذا الأمر يختلف مع الله. صفات الله هي جوهر الله، وبعض هذه الصفات هي القداسة والمحبّة والعدل والبرّ. مثلًا، الصلاح ليس جزءًا من الله، إنّما هو من طبيعة الله الجوهريّة. صفات الله هي هويّة الله. إذًا، حين نقول إنّ الله محبّة، لا نقصد أنّ المحبّة هي جزء من الله، إنّما المحبّة هي صفة موجودة بالله بالفطرة. حين يحبّ الله، لا يأخذ قرارًا مفاجئًا بأنْ يحبّ، بل يعبّر من خلال المحبّة عن ذاته.

هذه هي المُعضلة التي تواجهنا: إنْ كانت المحبّة من طبيعة الله، فكيف يُمكنه إرسال الإنسان إلى الجحيم؟ الإجابة باختصار هي بأنّ الله لا يُرسل أحدًا إلى الجحيم؛ بل يذهبون هناك بسبب خياراتهم. ولكي أشرح هذه النقطة، عليّ العودة إلى الخليقة. يُشير الكتاب المقدّس إلى أنّ الله خلق الرجل والمرأة لكي يشاركهما محبّته ومجده. ولكن آدم وحوّاء اختارا أنْ يتمرّدا على الله، واختارا طريقًا خاصًّا لهما. لقد تركا محبّة الله وحمايته وتلوّثا بإرادتهما بتلك الطبيعة المتكبّرة الآثمة التي نسمّيها الخطيّة. ولأنّ الله أحبّ الرجل والمرأة محبّة كبيرة، وعلى الرغم من رفضهما له، أراد أنْ يخلّصهما من الطريق المميت الذي اختاراه لنفسَيْهما. ولكنّ الله كان يواجه معضلة كبيرة لأنّه ليس إلهًا مُحبًّا فحسب، بل هو أيضًا قدّوس وبارّ وعادل ولا يمكن للخطيّة أنْ تتواجد في محضره. طبيعة القداسة والعدالة والبرّ ستقضي على الخطيّة. لهذا السبب، يقول الكتاب المقدّس: «لأنّ أجرة الخطيّة هي موت» (رومية ٦: ٢٣). فكيف سيحلّ الله هذه المعضلة ويُخلِّص الإنسان؟

اتّخذ الله – أي الله الآب والله الابن والله الروح القدس – قرارًا مدوّيًا بأنْ يأخذ يسوع، أي الله الابن، جسدًا بشريًّا وأنْ يُصبح الله الإنسان. نقرأ هذا في الأصحاح الأوّل من إنجيل يوحنّا حيث يقول: «الكلمة صار جسدًا، وحلّ بيننا» (يوحنّا ١: ١٤). يُخبرنا بولس الرسول في رسالة فيلبي ٢ أنّ المسيح يسوع أخلى نفسه من المجد وأخذ هيئة إنسان (انظر فيلبي ٢: ٦–٧).

نعرف الله من خلال صفاته، فهو قدّوس ومحبّ وعادل وبارّ. لم يكتسب هذه الصفات، بل هي تنبع من طبيعته.

كان يسوع الله – الإنسان. كان إنسانًا كما لو أنّه لم يكن الله، وكان الله كما لو أنّه لم يكن الإنسان. إنسانيّته لم تأخذ شيئًا من ألوهيّته، وألوهيّته لم تسيطر على إنسانيّته. عاش بملء إرادته بلا خطيّة مُطيعًا الآب طاعة كاملة. لا ينطبق عليه التصريح الكتابيّ القائل بأنّ «أجرة الخطيّة هي الموت.» ولأنّه لم يكن إنسانًا محدودًا فحسب، بل كان الله غير المحدود في الوقت نفسه، فقد كان لديه قدرة غير محدودة بأنْ يحمل خطايا العالم في نفسه. وحين صُلب يسوع على الصليب منذ أكثر من ألفي عام، قَبِل الله موته البديل عنّا، وهكذا تمّ إرضاء طبيعة الله البارّة والعادلة، فالعدل تمّ والعقوبة دُفعت. في تلك اللحظة تحرّرت طبيعة الله المُحبّة من قيود العدالة، وأصبح قادرًا أنْ يقبلنا من جديد، وأنْ يقدّم لنا ما فقدناه في جنّة عدن – تلك العلاقة الأولى حيث كنّا قادرين أنْ نختبر محبّته ومجده.

ما رأيك؟
هل أخذ أحدهم مرّة العقاب بدلًا عنك؟ وهل تغيّرت علاقتك مع هذا الشخص بعد ما حدث؟ هل أنت مستعدّ أنْ تفعل الأمر نفسه مع هذا الشخص، حتّى لو كان يستحقّ العقاب؟

غالبًا ما أسأل الناس: «مِن أجل مَنْ مات يسوع؟» فيجيبونني عادّة بالتالي: «مات مِنْ أجلي» أو «مِنْ أجل العالم.» فأقول لهم:

«نعم، هذا صحيح، ولكن مِنْ أجل مَن مات يسوع أيضًا؟» وتكون الإجابة عادة بعد ذلك: «لا أدري.» لم يمت المسيح مِنْ أجلنا فقط، بل مات أيضًا مِنْ أجل الآب، وهذا ما يتكلّم عنه بولس في رسالة رومية ٣، حيث تقول بعض الترجمات عن موت يسوع بأنّه «كفّارة» (انظر رومية ٣: ٢٥). والكفّارة تعني بشكل أساسيّ إرضاء مطلب ما. لقد أرضى يسوع بموته على الصليب متطلّبات القداسة والعدل لطبيعة الله الأساسيّة، فأخذ بالتالي الخطيّة التي تلوّثنا لكي نقدر أنْ نقف طاهرين في محضره.

كان يسوع إنسانًا كما لو أنّه لم يكن الله، وكان الله كما لو أنّه لم يكن الإنسان!

سمعت منذ عدّة سنوات قصّة حقيقيّة تشرح ما فعله يسوع على الصليب ليحلّ مُعضلة الله في معالجة خطيّتنا. أوقفت الشرطة سيّدة بسبب قيادتها السريعة، وحرّرت لها مخالفة سير، واستُدعيت للمثول أمام القاضي. تلا القاضي أمامها لائحة الاتّهام وسألها: «هل أنت مُذنبة أو غير مذنبة؟» فأجابت السيّدة: «أنا مُذنبة.» عندها، خيّرها القاضي بأنْ تدفع غرامة قدرها مئة دولار، أو بأنْ تُسجن مدّة عشرة أيّام. ثمّ فعل أمرًا مُدهشًا، إذ قام وخلع ثوب القضاء وترك مقعده وأخذ الحُكْم ودفع غرامة السيّدة. لماذا فعل هذا؟ لأنّه كان والدها. أحبّ هذا القاضي ابنته، لكنّه كان قاضيًا عادلًا في الوقت نفسه. لقد كسرت ابنته القانون، وكان بإمكانه أنْ يقول لها بكلّ بساطة: «أنا أغفر لك لأنّي أحبّك جدًّا. اذهبي بسلام.» لكنّه لو فعل هذا حقًّا، لما كان قاضيًا عادلًا، ولما نفّذ ما أمر به القانون. ولكنْ، بسبب محبّته لابنته، كان مستعدًّا أنْ يخلع ثوب القضاء ويتقدّم إلى الأمام ليمثّلها كأب لها ويدفع الغرامة عنها.

ما رأيك؟
هل تجد صعوبة بأنْ تغفر لشخص ما أخطأ إليك؟ ما الثمن الذي يدفعه أغلب الناس حين يغفرون للآخرين؟

توضِح لنا هذه القصّة إلى حدّ ما، ما فعله الله من أجلنا من خلال يسوع المسيح. نحن أخطأنا، ويخبرنا الكتاب المقدّس بأنّ «أجرة الخطيّة هي موت.» حين ينظر إلينا الله، على الرغم من محبّته العظيمة لنا، عليه أنْ يضرب بمطرقة

القضاء ويقول لنا بأنّ العقاب هو الموت، لأنّه إله بارّ وعادل. ولكنْ، لكونه إلهًا محبًّا، كان مستعدًّا أنْ ينزل من عرشه في هيئة الإنسان يسوع المسيح ليدفع الثمن عنّا، وكان هذا الثمن موته على الصليب.

يسأل كثيرون عند هذه النقطة السؤال الطبيعيّ التالي: «لِمَ لا يستطيع الله أنْ يغفر لنا خطايانا من دون المطالبة بدفع أيّ ثمن؟» قال لي مدير تنفيذيّ لمؤسّسة كبيرة: «غالبًا ما يخرّب الموظّفون في مؤسّستي المعدّات فأسامحهم بكلّ بساطة. فهل ستقول لي بأنّني أفعل شيئًا لا يستطيع الله أنْ يفعله؟» لم يُدرك هذا المدير أنّ غفرانه كان له كلفة، فقد دفعت الشركة ثمن تصليح أو تبديل المعدّات التي تخرّبت. حيثما يوجد غفران يوجد ثمن يُدفع. مثلًا، لنفترض أنّ ابنتي كسرت مصباحًا في منزلي، فإنّي كأب محبّ ومسامح أحتضنها وأقول لها: «لا تبكي يا حبيبتي، فأبوك يحبّك ويغفر لك.» وحين يسمع الناس هذا المثل يقولون لي: «هذا ما يتوجّب على الله أنْ يفعله.» فأسألهم: «ولكن، من الذي سيدفع ثمن المصباح المكسور؟» في الواقع، أنا الذي سيدفع. هنالك دائمًا ثمن للغفران. ولنقل إنّ أحدهم أهانك أمام الآخرين وقلت له بكلّ محبّة: «أنا أغفر لك،» فمن سيدفع ثمن تلك الإهانة؟ أنت ستفعل هذا لأنّك ستحمل ألم الإهانة وفقدان صيتك أمام الذين سمعوا تلك الإهانة.

للغفران ثمنٌ دائمًا. دفع الله ثمن غفران خطايانا من خلال الصليب – ثمن لا يقدر بوذا أو كونفوشيوس أو أيّ قائد دينيّ آخر أنْ يعرضه علينا.

هذا ما فعله الله من أجلنا. قال الله «غفرت لك.» لكنّه دفع ثمن ذلك الغفران بنفسه على الصليب. لا يقدر بوذا أو كونفوشيوس أو أيّ قائد دينيّ أو أخلاقيّ آخر أنْ يدفعه. لا يقدر أحد أنْ يدفع الثمن بمجرّد «العيش حياة صالحة.» أنا أعلم أنّ ما سأقوله هو كلام حصريّ، لكن يجب أنْ أقول هذا الكلام لأنّه بكلّ بساطة كلام صحيح: لا يوجد طريق آخر إلّا يسوع.

الفصل الثالث عشر

لقد غيّر حياتي

ما شاركتكم به في هذا الكتاب هو ما تعلّمته خلال بحثي في البراهين المسيحيّة بعد أنْ تحدّاني أحد أصدقائي في الجامعة بأنْ أثبت صحّة وحقيقة مزاعم المسيحيّة. قد تظنّ أنّي أصبحت مؤمنًا بالمسيح فورًا بعد أنْ بحثت ودرست البراهين. ولكن، على الرغم من وفرة البراهين، شعرت بالتردّد بأنْ أصبح مسيحيًّا. اقتنعت عقليًّا بالحقيقة، إذ كان عليّ أنْ أقرّ بأنّ يسوع المسيح هو تمامًا ما ادّعى به. أدركت بكلّ وضوح أنّ المسيحيّة ليست خرافة ولا وهمًا ولا مجرّد أحلام أو خدعة يُخدع بها الإنسان البسيط، إنّما هي حقيقة ثابتة كالصخر. أدركت الحقيقة، ومع هذا، كانت إرادتي تشدّني في اتّجاه آخر.

تردّدي هذا كان نتيجة أمرين: المتعة والكبرياء. اعتقدت أنّ اعتناق المسيحيّة هو التخلّي عن الحياة الجميلة والتسليم الكامل لله. كنت أشعر بيسوع المسيح واقفًا على باب قلبي قائلًا: «اسمع، أنا واقف على باب قلبك وأقرع الباب باستمرار. إنْ سمعت ندائي وفتحت الباب، سأدخل قلبك.» (بتصرّف من رؤيا يوحنا ٣: ٢٠). تركت ذلك الباب مُغلقًا وموصدًا. لا يهمّني إنْ كان قد مشى على المياه، أو إنْ كان قد حوّل الماء خمرًا. لم أشأ أنْ يعكّر المسيح مرحي، إذ لا يوجد أيّ أمر آخر أسرع من المسيح ليعكّر صفو حياتي. كنت أقول في نفسي إنّ حياتي جميلة وسعيدة، ولكن في الواقع كنت تعيسًا. كنت ساحة معركة متنقّلة. كان عقلي يقول لي إنّ المسيحيّة هي الحقّ، ولكنّ إرادتي كانت تقاوم عقلي بكلّ ما فيها من قوّة وعزم.

ثمّ كان كبريائي العائق الآخر في هذه المسألة. في ذلك الوقت، كانت فكرة أنْ أصبح مسيحيًّا، فكرة تحطّم كبريائي، لأنّني لو فعلت هذا، فسأثبت أنّ كلّ تفكيري السابق كان خاطئًا، وأنّ أصدقائي كانوا محقّين. في كلّ مرّة أقترب من تلك المجموعة المتحمّسة من المسيحيّين، كنت أشعر بذلك الصراع الداخليّ يغلي في داخلي. وحين تكون موجودًا بين مجموعة من الناس السعداء وأنت حزين، ستُدرك كيف أنّ فرحهم سيغيظك. كنت أحيانًا أقف وأترك المجموعة وأركض خارجًا من قاعة تجمّع الطلّاب. وصلت إلى مرحلة كنت أذهب فيها إلى فراشي عند الساعة العاشرة ليلًا ولا أقدر على النوم حتّى الساعة الرابعة صباحًا. لم أقدر أنْ أنسى مشكلتي، وكان عليّ أنْ أفعل شيئًا قبل أنْ تُفقدني صوابي.

كان عقلي يقول لي إنّ المسيحيّة هي الحقّ، ولكنّ إرادتي كانت تقاوم عقلي بكلّ ما فيها من قوّة وعزم.

كنت دائمًا أحاول أنْ أكون منفتح العقل، ولكن ليس لدرجة أنْ أفقد عقلي. وكما يقول ج. ك. تشسترتُن: «إنّ الهدف من انفتاح العقل هو تمامًا كانفتاح الفم، ألا وهو إغلاقه على أمرٍ متين.» فتحت عقلي وأغلقته أخيرًا على أصلب واقع اختبرته في حياتي. ففي ١٩ كانون الأول من عام ١٩٥٩ وعند الساعة الثامنة والنصف مساء أصبحت مؤمنًا بالمسيح، وكان ذلك في العام الثاني من دراستي الجامعيّة.

ما رأيك؟
الآن، وبعد أنْ أصبحت في نهاية الكتاب، هل تغيّرت أفكارك نحو يسوع المسيح؟ هل ترغب أنْ تقرأ أكثر عنه؟ وأنْ تتكلّم مع آخرين ممّن سلّموا حياتهم له؟

سألني أحدهم: «كيف تعلم أنّك أصبحت مؤمنًا بالمسيح؟» وكان أحد أجوبتي بسيطًا: «لقد تغيّرت حياتي.» هذا التحوّل هو الذي يؤكّد لي صحّة توبتي. في تلك الليلة صلّيت طالبًا أنْ يكون لي علاقة مع المسيح الحيّ المُقام، وأنا أشكر الله لأنّه استجاب صلاتي هذه.

قلت أوّلًا: «يا ربّ يسوع، أشكرك من أجل موتك على الصليب من أجلي.» ثانيًا، قلت:

«أعترف بكلّ الأمور التي لا ترضيك، وأطلب منك أنْ تغفر لي وتطهّرني.» يقول لنا الله: «إنْ كانت خطاياكم كالقرمز، تبيضّ كالثلج. إنْ كانت حمراء كالدوديّ، تصير كالصوف» (إشعياء ١: ١٨). ثالثًا، قلت: «الآن، أفتح قلبي وحياتي وأثق بك مخلّصًا وربًّا. استلم دفّة حياتي. غيّرني من الداخل إلى الخارج. اجعلني ذلك الإنسان الذي خلقتني لأكون عليه.» وختمت صلاتي قائلًا: «أشكرك لأنّك دخلت حياتي بالإيمان.» كان تحوّلي يرتكز على الإيمان وعلى البرهان لا الجهل، وعلى البراهين التاريخيّة وعلى كلمة الله.

أنا متأكّد أنّك سمعت عن أشخاص يتكلّمون عن «صاعقة» أصابتهم عند اختبارهم الدينيّ الأوّل. لكن هذا لم يحدث معي. بعد أنْ صلّيت، لم يحدث إطلاقًا أيّ شيء معي. لم ينبت لي جانحان ولم تظهرْ هالة فوق رأسي. في الواقع، بعد أنْ اتّخذت ذلك القرار بأنْ أصبح مؤمنًا بالمسيح، شعرت بأنّ حالتي قد ساءت. في الواقع، شعرت أنّي على وشك أنْ أتقيّأ وبدأت أتساءل: «ما الذي أقحمت نفسي فيه؟» شعرت حقًّا أنّي تماديت جدًّا (وأنا متأكّد أنّ بعض الناس يعتقدون ذلك أيضًا!)

كيف أعلم أنّي أصبحت مؤمنًا بالمسيح؟ لقد تغيّرت حياتي. لم يكن إيماني مرتكزًا على الجهل بل على البراهين والوقائع التاريخيّة وعلى كلمة الله.

لم يحدث التغيير بشكل فوريّ، لكنّه كان حقيقيًّا. خلال ستّة إلى ثمانية أشهر، أدركت أنّي لم أفقد صوابي بل أنّ حياتي قد تغيّرت. في ذلك الوقت أيضًا، أجريت مناظرة مع رئيس قسم التاريخ في جامعة في الوسط الغربي من أميركا. كنت أخبره عن حياتي الجديدة فقاطعني وقال: «يا سيّد ماكدويل، هل تحاول أنْ تقول لي إنّ الله غيّر حياتك حقًّا؟ أعطني بعض التفاصيل الدقيقة.» وبعد أنْ سمعني أتكلّم مدّة خمس وأربعين دقيقة، قال لي أخيرًا: «حسنًا، حسنًا، هذا يكفي!»

أخبرته أنّ إحدى التغييرات التي حصلت لي هي راحتي من القلق المستمرّ، فقبْل أنْ أقبل المسيح كان فكري دائمًا منشغلًا بأمور كثيرة. فقد كان يتوجّب عليّ أنْ أزور بيت صديقتي، أو أنْ أذهب إلى حفلة ما، أو أنْ أكون في اجتماع لجنة الطلاب، أو في مكان آخر مع أصدقائي. كنت أسير في الحرم الجامعيّ

وذهني يعصف بأمور كثيرة. كنت أشبه الكرة التي تتخبّط من حائط إلى آخر. كنت أجلس محاولًا أنْ أدرس أو أنْ أتأمّل، لكنّي كنت أفشل. ولكن، بعد أنْ صمّمت أنْ أتبع يسوع، حلّ عليّ سلام ذهنيّ. لا تسئ فهمي، فأنا لا أقصد أنّ نزاعاتي قد انتهت، فقد اكتشفت في علاقتي هذه مع المسيح أنّ صراعاتي لم تختفِ، بل أعطتني القدرة على التعامل معها، ولن أستبدل هذا السلام بأيّ شيء آخر في العالم.

ما رأيك؟ *إنْ أردتَ أنْ يغيّر الله أمرًا واحدًا في حياتك، فماذا سيكون؟*

وهنالك ناحية أخرى بدأت تتغيّر في حياتي ألا وهي مزاجي الحاد. كنت أنفجر إذا حاول أحدهم أنْ ينظر إليّ من طرف عينه. وما زلت أحمل في جسدي آثار جراح حين كنت على وشك قتل شخص عندما كنت في سنتي الجامعيّة الأولى. كانت عصبيّتي جزءًا طبيعيًّا منّي، حتى أنّني لم أسعَ للتخلّص منها. وحين حاولت بعد الإيمان أنْ أعالج مشكلة مزاجي الحاد معالجة واعية، وجدت أنّها اختفت. لم يحدث هذا بسبب أمر قمت به، لكنّ يسوع هو الذي غيّرني. وهذا لا يعني أنّي إنسان كامل، فأنا لم أفقد أعصابي إلّا مرّة واحدة خلال أربعة عشرة سنة – وعندما فقدتها، عوّضت بها عن كلّ سنوات ضبط النفس!

وهنالك ناحية أخرى غيّرها يسوع فيّ ولست فخورًا بها، ولكنّي سأذكرها لأنّ أشخاصًا كثيرين يحتاجون إلى التغيير نفسه في حياتهم، وقد وجدت مصدر التغيير: هو علاقة حميمة مع المسيح المقام الحيّ. هذه الناحية هي الحقد، إذْ كان في قلبي الكثير من الحقد والمرارة. لم يكن الحقد ظاهرًا، ولكنّه كان يطحنني من الداخل. كنت أضيق ذرعًا بالناس والأشياء وما يجري من حولي. كنت فاقدًا للإحساس بالأمان. ففي كلّ مرّة ألتقي بها بشخص مختلف عنّي يصبح ذلك الشخص مصدر تهديد لي، وكنت أقابله بالكراهية والحقد.

اكتشفت في علاقتي هذه مع المسيح أنّ صراعاتي لم تختفِ، بل أعطتني القدرة على التعامل معها!

كنت أكره شخصًا واحدًا أكثر من أيّ شخص آخر في العالم – إنّه أبي. كرهته بقوّة إذ كان سكّير البلدة. وحين يكون أحد والديك سكّيرًا في بلدة صغيرة، فهو بالتالي حديث البلدة. كان أصدقائي في الصفّ الثانويّ يطلقون النكات حول والدي وإدمانه. لم يعتقدوا بأنّ نكاتهم كانت تزعجني. فقد كنت أضحك معهم من الخارج، لكنّي كنت أبكي من الداخل. كنت أدخل الحظيرة لأجد أمّي مضروبة ضربًا مُبرحًا لا تستطيع الوقوف، وهي متمدّدة متّسخة بين روث الأبقار. وحين كان يزورنا الأصدقاء، كنت أُخرج والدي إلى الحظيرة وأربطه وأُبعد سيّارته عن المنزل. كنت أقول لزوّارنا إنّه خارج البيت. لا أعتقد أنّه يوجد إنسان آخر يكره والده أكثر من كرهي لوالدي.

بعد خمسة أشهر من قبولي للمسيح مخلِّصًا، دخل الحبّ الإلهيّ قلبي. كان هذا الحبّ من القوّة بمكان بحيث نزع حقدي وحوّله رأسًا على عقب. أصبح في مقدوري أنْ أنظر إلى والدي وجهًا إلى وجه وأقول له: «أحبّك يا أبي.» وكنت أعني ذلك بالفعل. وهزّته هذه الكلمات بعد مواقفي السابقة منه.

عندما انتقلت إلى جامعة خاصّة، تعرّضت لحادث سيّارة خطير أدخلني المستشفى. حين عدت إلى البيت أتى والدي يزورني وكان صاحيًا من سكره بشكل واضح. كان يشعر بالقلق وهو يسير في أرجاء الغرفة. ثمّ انفجر قائلًا: «يا ابني، كيف يمكنك أنْ تحبّ والدًا مثلي؟» فقلت له: «يا أبي، قبل ستّة أشهر كنت أحتقرك.» ثمّ شاركته النتائج التي توصّلت إليها حول يسوع المسيح، وقلت له: «يا أبي، لقد وثقت بالمسيح وحصلت على غفران الله لخطاياي ودعوته أنْ يدخل حياتي وقد غيّرني. لا أستطيع أنْ أشرح لك يا أبي ما حصل معي بشكل كامل، ولكنّ الله حوّل كرهي لك إلى محبّة. أنا أحبّك وأَقْبَلُك كما أنت.»

كنت أكره شخصًا واحدًا أكثر من أيّ شخص آخر في العالم – إنّه أبي. ولكن، بعد أنْ دخلت محبّة الله حياتي بقوّة عظيمة، أفرغت ذلك الكره منّي.

تكلّمنا مدّة ساعة تقريبًا. بعدها، وقع أحد أعظم الحوادث إثارة في حياتي. هذا الرجل الذي كان أبي، هذا الرجل الذي يعرفني جيّدًا ولا يمكنني أنْ أخدعه، نظر في عينيّ وقال لي: «يا ابني، إذا كان الله قادرًا أنْ يفعل في حياتي ما رأيته يفعله في حياتك، فإنّي أريد أنْ أعطيه الفرصة ليغيّر حياتي. أريد أنْ أقبله مخلِّصًا وربًّا.» لا أقدر أنْ أتخيّل معجزة أعظم من هذه.

بعد أنْ يقبل أيّ شخص المسيح، تحدث التغييرات عادة على مدى عدة أيّام أو أسابيع أو أشهر أو سنوات. أمّا أنا، فقد تغيّرت حياتي ما بين ستة أشهر وسنة ونصف. ولكن حياة والدي تغيّرت أمام عينيّ، كما لو أنّ أحدهم ضغط على زر كهربائيّ. لم أرَ تغيّرًا بمثل هذه السرعة من قبل أو منذ ذلك الحين. لم يلمس والدي الخمر إلّا مرّة واحدة بعد ذلك حين وصلت الخمر إلى شفتيه ثمّ رماها. وقد توصّلت إلى نتيجة واحدة وهي أنّ العلاقة مع يسوع المسيح تغيّر الحياة.

ما رأيك؟
لماذا من الصعب أنْ تفصل الإيمان المسيحي عن يسوع المسيح الإنسان؟ هل تستطيع أنْ تفهم كيف يجد بعض الناس أنّهما في تعارض وتضاد؟

تستطيع أنْ تسخر من المسيحيّة أو أنْ تهزأ بها. لكنّها فعّالة لأنّها تغيّر الحياة، لا بل يسوع المسيح هو الذي يغيّر الحياة. المسيحيّة ليست دينًا ولا نظامًا ولا فكرة أخلاقيّة ولا ظاهرة نفسيّة. إنّها شخص المسيح. وإذا آمنت بالمسيح، ابدأ بمراقبة مواقفك القلبيّة وأعمالك، لأنّ يسوع المسيح منشغل في تغيير حياة الناس.

إذًا، وكما لاحظت، كان إيماني بيسوع المسيح عمليّة طويلة بدأت ببحثٍ دقيقٍ وصعب، إلى أنْ اختبرت تغييرًا في حياتي. يبدو لي أنّ كثيرين يتوقون للحصول على اختبار مثل هذا – يبحثون عن حياة متغيّرة كما حدث معي – لكنّهم لا يريدون أنْ يُخضعوا إيمانهم المسيحيّ إلى اختبار العقل والبرهان. قد يكون السبب وراء ذلك تردّدهم في القول عن أيّ شيء إنّه حقّ مطلق في وجه التسامح الدينيّ وتعدّد الحضارات والثقافات. أو هم يخافون أنْ يصل بحثهم إلى الشكّ بحقيقة ادّعاءات المسيح عن نفسه.

هل يمكن أنْ يُصبح البحث عائقًا أمام الإيمان المسيحيّ؟ هذا ليس صحيحًا بحسب إدوين ياموشي، أحد أهمّ خبراء العالم في التاريخ القديم. يؤكّد ياموشي الحاصل على شهادات كثيرة من جامعة براندیز الأميركيّة: «بالنسبة إليّ، ثبّت البرهان التاريخيّ تكريسي ليسوع المسيح كابن الله الذي أحبّنا ومات من أجلنا وقام من بين الأموات. إنّ الأمر بهذه البساطة.»[1]

سُئِل عالم المخطوطات القديمة بروس متزغر إنْ كانت دراسة مخطوطات العهد الجديد التاريخيّة قد أضعفت إيمانه، فأجابهم فورًا: «لا بل دعّمته. كنت أطرح الأسئلة كلّ حياتي وبحثت في النصوص ودرستها بتعمّق، واليوم، أعرف بكلّ يقين أنّ ثقتي بيسوع كانت في مكانها... في مكانها الصحيح.»

المسيحيّة ليست دينًا ولا نظامًا ولا فكرة أخلاقيّة ولا ظاهرة نفسيّة. إنّها شخص - يسوع المسيح - المنشغل في تغيير حياة الناس.

تؤكّد اقتباسات مثل هذه من عالِمَين مُحترَمَين، هدفي من تأليف هذا الكتاب. لقد حاولت أنْ أُظهر لك بأنّ ادّعاءات المسيح ثابتة كثبات الحقائق التاريخيّة، وقد أكّد البرهان التاريخيّ على ذلك والنبوّات والمنطق. يعطيك فهم هذه الحقائق أساسًا متينًا يُمكن الاعتماد عليه عندما تريد أنْ تتثبّت بنفسك من ادّعاءات المسيح على ضوء التغيير الذي اختبرته أنا وملايين من المسيحيّين غيري.

ولكن، على الرغم من ثبات هذه الحقائق وصحّة الاختبار، لا تستطيع أنْ تُجبر الآخرين على الإيمان بالمسيحيّة. لا يقدر أحد أنْ يُلزم الآخر بالإيمان بالمسيح. عليك أنْ تعيش حياتك، وعليّ أنْ أعيش حياتي، وكلّنا أحرارٌ لنتّخذ القرارات التي تناسبنا. كلّ ما أقدر أنْ أفعله هو أنْ أقول لك ماذا تعلّمت. بعد ذلك، عليك أنْ تقرّر بنفسك ماذا تريد أنْ تفعل.

قد تساعدك الصلاة التي صلّيتها أنا: «أيّها الربّ يسوع. أنا أحتاجك. أشكرك من أجل موتك على الصليب من أجلي. اغفر لي خطاياي وطهّرني. أقبلك الآن مخلِّصًا وربًّا. اجعلني ذلك الشخص الذي خلقتني لأكونه. باسم المسيح. آمين.»

كلّ أسبوع مع الكاتب AR

Josh McDOWELL

* حمّل التطبيق Agapear واستخدم الكاميرا الخاصّة به.
* وجّه الكاميرا نحو الصورة لتشاهد بالفيديو ما يقدّمه الكاتب عن هذا الكتاب.
* يتطلّب التطبيق أنْ يكون هاتفك متّصلًا بشبكة الإنترنت.

Available on the App Store
GET IT ON Google Play

المؤلّفان

حصل جوش ماكدويل على درجة الماجستير في اللاهوت من معهد تالبوت اللاهوتيّ في كاليفورنيا. انضمّ عام ١٩٦٤ إلى فريق الحملة الجامعيّة للمسيح، وأصبح أخيرًا ممثّلًا عالميًّا للجمعيّة، مركّزًا بشكل أساسيّ على المسائل التي تواجه شبيبة هذا العصر.

تكلّم جوش إلى أكثر من عشرة ملايين شابًّا وشابّةً في أربعة وثمانين بلدًا، وفي أكثر من سبعمائة جامعة ومعهد. ألّف وساعد في تأليف أكثر من ١١٠ كتابًا ودليلًا، وطُبع منها أكثر من خمس وثلاثين مليون نسخة حول العالم. من أشهر كُتب جوش: برهان جديد يتطلّب قرارًا، لماذا الحبّ الحقيقيّ ينتظر، سلسلة كتب بعنوان الصواب من الخطأ.

يعيش جوش مع زوجته دوتي في دانا بوينت في ولاية كاليفورنيا وقد رزقهما الله بأربعة أولاد.

يعمل شون ماكدويل كمعلّم في مدرسة ثانويّة وهو متكلّم وكاتب. تخرّج بامتيازٍ عالٍ من معهد تالبوت اللاهوتيّ بدرجتي ماجستير في الفلسفة واللاهوت. ألّف كتابًا بعنوان: الأخلاق: الجرأة في عالم لا مبال، وشارك في تأليف كتاب بعنوان: فهم التصميم الذكيّ، وبرهان القيامة.

يشغل شون أيضًا منصب المحرّر العام لمجلّة الدفاعيّات لجيل جديد، ومجلّة الدراسات الكتابيّة الدفاعيّة للطلّاب.

حصل شون على جائزة أفضل معلّم من بلدة سان خوان كابيسترانو للعام ٢٠٠٧–٢٠٠٨. نال برنامجه في التدريب على الدفاعيّات جائزة تقدير من جمعيّة المعاهد المسيحيّة العالميّة. حلّ ضيفًا في برامج إذاعيّة كثيرة، من بينها برنامج التركيز على العائلة، وبرنامج الكتاب المقدّس يُجيب الإنسان، وبرنامج وجهة نظر، وبرنامج فرانك باستور. يُمكنك قراءة مقالات شون والتواصل معه لاستضافته كمتكلّم من خلال الموقع التالي: www.seanmcdowell.org

اقترن شون في نيسان من عام ٢٠٠٠ بحبيبته منذ أيّام الدراسة الثانويّة، ستيفاني. رزقهما الله ولدَين هما سكوتي وشونا، ويعيشون في بلدة سان خوان كابيسترانو، في ولاية كاليفورنيا.

المراجع والملاحظات

الفصل ٢: ما الذي يميّز يسوع؟

1 Augustus H. Strong, Systematic Theology (Philadelphia: Judson Press, 1907), 1:52.
2 Archibald Thomas Robertson, Word Pictures in the New Testament (New York: Harper & Brothers, 1932), 5:186.
3 Leon Morris, “The Gospel According to John,” The New International Commentary on the New Testament (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1971), 524.
4 Charles F. Pfeiffer and Everett F. Harrison, eds., the Wycliffe Bible Commentary (Chicago: Moody, 1962), 943–44.
5 Lewis Sperry Chafer, Systematic Theology (Dallas: Dallas Theological Seminary Press, 1947), 5:21.
6 Robert M. Bowman and J. Ed Komoszewski, Putting Jesus in His Place: The Case for the Deity of Christ (Grand Rapids, MI: Kregel, 2007), 246–47.
7 Robert Anderson, The Lord from Heaven (London: James Nisbet, 1910), 5.
8 Henry Barclay Swete, The Gospel According to St. Mark (London: Macmillan, 1898), 339.
9 Irwin H. Linton, The Sanhedrin Verdict (New York: Loizeaux Bros.,1943), 7.
10 Charles Edmund Deland, The Mis-Trials of Jesus (Boston: Richard G. Badger, 1914), 118–19.

الفصل ٣: هو ربّ، أم منافق أم مختلٌّ؟

1 C. S. Lewis, Mere Christianity (New York: Macmillan, 1960), 40–41.
2 F. J. A. Hort, Way, Truth, and the Life (New York: Macmillan, 1894), 207.
3 Kenneth Scott Latourette, A History of Christianity (New York: Harper & Row, 1953), 44, 48.

4 William E. Lecky, History of European Morals from Augustus to Charlemagne (New York: D. Appleton, 1903): 2:8–9.
5 Philip Schaff, History of the Christian Church (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1962), 109.
6 Philip Schaff, The Person of Christ (New York: American Tract Society, 1913), 94–95.
7 Clark H. Pinnock, Set Forth Your Case (Nutley, NJ: Craig Press, 1967), 62.
8 Gary R. Collins, quoted in Lee Strobel, The Case for Christ (Grand Rapids, MI: Zondervan, 1998), 147.
9 James T. Fisher and Lowell S. Hawley, A Few Buttons Missing (Philadelphia: Lippincott, 1951), 273.
10 C. S. Lewis, Miracles: A Preliminary Study (New York: Macmillan, 1947), 13.
11 Schaff, The Person of Christ, 97.
12 Dan Brown, The Da Vinci Code, 233.
13 Ignatius of Antioch, Letter to the Ephesians, chap. 7.
14 Alexander Roberts, First Apology, The Ante-Nicene Fathers, vol. 1 (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1993), 184.
15 Irenaeus, Proof of the Apostolic Preaching, chap. 47.
16 Pliny, Letters and Panegyricus, trans. Betty Radice, Loeb Classical Library (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1969): 10.96 (2.289).
17 J. Ed Komoszewski, M. James Sawyer, Daniel B. Wallace, Reinventing Jesus (Grand Rapids, MI: Kregel, 2006), 215.

الفصل ٤: ماذا عن العِلْم؟

1 The New Encyclopaedia Britannica: Micropaedia, 15th ed., s.v. “scientific method.”
2 James B. Conant, Science and Common Sense (New Haven, CT: Yale University Press, 1951), 25.

الفصل ٥: تحدّي الإلحاد الجديد

1 John F. Haught, God and the New Atheism (Louisville, KY: Westminster John Knox Press, 2008), 22.
2 Sam Harris, Letter to a Christian Nation (New York: Vintage Books, 2006), ix.
3 Richard Dawkins, The God Delusion, 2nd edition with Preface (New York: Mariner Books, 2008), 58.
4 Christopher Hitchens, God Is Not Great: How Religions Poisons Everything (New York: Twelve, 2007), 122, 5.

5 From a letter to W. Graham (July 3, 1881), quoted in the Autobiography of Charles Darwin and Selected Letters (1892; reprint, New York: Dover, 1958).
6 Paul Davies, “What Happened Before the Big Bang?” in God for the 21st Century, ed. Russell Stannard (Philadelphia: Templeton Foundation Press, 2000), 12.
7 John C. Lennox, God’s Undertaker: Has Science Buried God? (Oxford, England: Lion Hudson, 2007), 22-25.
8 Alfred North Whitehead, Science and the Modern World (New York: The Macmillan Company, 1925), 17.
9 Cited in John C. Lennox, God’s Undertaker: Has Science Buried God? (Oxford, England: Lion Hudson, 2007), 20.
10 Hitchens, God Is Not Great, 63–67.
11 Harris, Letter to a Christian Nation, 72.
12 Hitchens, God Is Not Great, 151.
13 William A. Dembski and Sean McDowell, Understanding Intelligent Design (Eugene, OR: Harvest House, 2008).
14 Antony Flew and Roy Abraham Varghese, There Is a God: How the World’s Most Notorious Atheist Changed His Mind (New York: HarperCollins, 2007), 88.
15 George M. Whitesides, “Revolutions in Chemistry” (Priestly Medalist address), Chemical & Engineering News 85(13) (26 March 2007): 12–17, available online at http://pubs.acs.org/cen/coverstory/85/8513cover1.html (last accessed April 23, 2007).
16 Harris, Letter to a Christian Nation, 71.
17 Richard Dawkins, The Blind Watchmaker (New York: Norton, 1987), 17–18.
18 Bill Gates, The Road Ahead (Boulder, CO.: Blue Penguin, 1996), 228.
19 Dawkins, The God Delusion, 168.
20 Flew and Varghese, There Is a God, 132.
21 Freeman J. Dyson, Disturbing the Universe (New York: Harper & Row, 1979), 250.
22 Quoted in Paul Davies, The Accidental Universe (Cambridge: Cambridge University Press, 1982), 118.
23 Paul Davies, Superforce: The Search for a Grand Unified Theory of Nature (New York: Simon and Schuster, 1984), 242.
24 Stephen Hawking, A Brief History of Time (New York: Bantam Books, 1996), 126.

25 Walter L. Bradley, "The 'Just So' Universe," in Signs of Intelligence, ed. William A. Dembski and James M. Kushiner (Grand Rapids, MI.: Brazos Press, 2001), 169.
26 Roger Penrose, The Emperor's New Mind (New York: Oxford, 1989), 344.
27 Paul Davies, Cosmic Jackpot (New York: Houghton Mifflin, 2007), 149.
28 Dawkins, The God Delusion, 258.
29 Ibid., 35.
30 Sam Harris, The End of Faith: Religion, Terror, and the End of Reason (New York: W.W. Norton, 2005), 35.
31 Dinesh D'Souza, What's So Great about Christianity (Washington, D.C.: Regnery, 2007), 207.
32 Ibid., 214.
33 David Berlinski, The Devil's Delusion: Atheism and Its Scientific Pretensions (New York: Crown Forum, 2008), 26.

الفصل ٦: هل يمكن الاعتماد على الأسفار الكتابيّة؟

1 Millar Burrows, What Mean These Stones? The Significance of Archeology for Biblical Studies (New York: Meridian Books, 1956), 52.
2 William F. Albright, Recent Discoveries in Bible Lands (New York: Funk and Wagnalls, 1955), 136.
3 William F. Albright, Christianity Today, no. 7 (18 January18 1963): 3.
4 Sir William Ramsay, The Bearing of Recent Discovery on the Trustworthiness of the New Testament (London: Hodder and Stoughton, 1915), 222.
5 John A. T. Robinson, Redating the New Testament (London: SCM Press, 1976).
6 Simon Kistemaker, The Gospels in Current Study (Grand Rapids, MI: Baker, 1972), 48–49.
7 A. H. McNeile, An Introduction to the Study of the New Testament (London: Oxford University Press, 1953), 54.
8 Paul L. Maier, First Easter: The True and Unfamiliar Story in Words and Pictures (New York: Harper & Row, 1973), 122.
9 William F. Albright, From the Stone Age to Christianity, second edition (Baltimore: John Hopkins Press, 1946), 297–98.
10 Jeffery L. Sheler, Is The Bible True? (New York: HarperCollins Publishers, 1999), 41.
11 Dan Brown, The Da Vinci Code, 231.
12 Philip Jenkins, Hidden Gospels: How the Search for Jesus Lost Its Way (New York: Oxford University Press, 2001), 83.

13 As quoted in Philip Jenkins's Hidden Gospels, 98–99.
14 Chauncey Sanders, Introduction to Research in English Literary History (New York: Macmillan, 1952), 143 ff.
15 F. F. Bruce, The New Testament Documents: Are They Reliable? (Downers Grove, IL: InterVarsity, 1964), 16.
16 Bruce Metzger, quoted in Lee Strobel, The Case for Christ (Grand Rapids, MI: Zondervan, 1998), 60.
17 Personal correspondence from Dan Wallace, January 6, 2003.
18 Jacob Klausner, quoted in Will Durant, Caesar and Christ: The Story of Civilization, Part 3 (New York: Simon and Schuster, 1944), 557.
19 Sir Frederic Kenyon, The Bible and Archaeology (New York: & Row, 1940), 288–89.
20 Stephen Neill, The Interpretation of the New Testament (London: Oxford University Press, 1964), 78.
21 Craig L. Blomberg, "The Historical Reliability of the New Testament," in William Lane Craig, Reasonable Faith (Wheaton, IL: Crossway, 1994), 226.
22 J. Harold Greenlee, Introduction to New Testament Textual Criticism (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1954), 16.
23 As quoted in J. Ed Komoszewski, M. James Sawyer, Daniel B. Wallace, Reinventing Jesus, 215.
24 Ibid., 109.
25 John Warwick Montgomery, Where Is History Going? (Grand Rapids, MI: Zondervan, 1969), 46.
26 Louis R. Gottschalk, Understanding History (New York: Knopf, 1969), 150.
27 John McRay, quoted in Strobel, The Case for Christ, 97.
28 Lynn Gardner, Christianity Stands True (Joplin, MO.: College Press, 1994), 40.
29 Norman L. Geisler, Christian Apologetics (Grand Rapids, MI: Baker, 1988), 316.
30 F. F. Bruce, The New Testament Documents, 33.
31 Lawrence J. McGinley, Form Criticism of the Synoptic Healing Narratives (Woodstock, MD: Woodstock College Press, 1944), 25.
32 David Hackett Fischer, Historian's Fallacies: Toward a Logic of Historical Thought, quoted in Norman L. Geisler, Why I Am A Christian (Grand Rapids, MI: Baker, 2001), 152.
33 Robert Grant, Historical Introduction to the New Testament (New York: Harper & Row, 1963), 302.
34 Will Durant, Caesar and Christ, 557.

35 Gottschalk, Understanding History, 161.
36 Eusebius, Ecclesiastical History, bk. 3, chap. 39.
37 Irenaeus, Against Heresies, 3.1.1.
38 Gary Habermas, The Historical Jesus: Ancient Evidence for the Life of Christ (Joplin, MO: College Press, 1997), 224.
39 Joseph Free, Archaeology and Bible History (Wheaton, IL: Scripture Press, 1964), 1.
40 F. F. Bruce, "Archaeological Confirmation of the New Testament," Revelation and the Bible, ed. Carl Henry (Grand Rapids, MI: Baker, 1969), 331.
41 A. N. Sherwin-White, Roman Society and Roman Law in the New Testament (Oxford: Clarendon Press, 1963), 189.
42 Clark H. Pinnock, Set Forth Your Case (Nutley, NJ: Craig Press, 1968), 58.
43 Douglas R. Groothuis Jesus in an Age of Controversy (Eugene, OR: Harvest House, 1996), 39.

الفصل ٧: من مستعدّ أنْ يموت من أجل كذبة؟

١ على الرغم من أنّ العهد الجديد لا يسجّل وفاة هؤلاء الرجال، إلّا أنّ المصادر التاريخيّة والتقليد القديم يؤكّدان طبيعة موتهم.
2 Richard Bauckham, Jesus and the Eyewitnesses (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2006).
3 Flavius Josephus, Antiquities of the Jews, xx, 9:1.
4 J. P. Moreland, quoted in Lee Strobel, The Case for Christ (Grand Rapids, MI: Zondervan, 1998), 248.
5 Edward Gibbon, quoted in Philip Schaff, History of the Christian Church (Peabody, MA.: Hendrickson Publishers, 1996), chap. 3.
6 Michael Green, "Editor's Preface" in George Eldon Ladd, I Believe in the Resurrection of Jesus (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1975), vii.
7 Blaise Pascal, quoted in Robert W. Gleason, ed., The Essential Pascal, trans. G. F. Pullen (New York: Mentor-Omega Books, 1966), 187.
8 J. P. Moreland, quoted in Strobel, The Case for Christ, 246–47.
9 Michael Green, Man Alive! (Downers Grove, IL: InterVarsity, 1968), 23–24.
10 Quoted by J. N. D. Anderson, "The Resurrection of Christ," Christianity Today (29 March 1968).
11 Kenneth Scott Latourette, A History of Christianity (New York: Harper & Brothers Publishers, 1937), 1:59.
12 N. T. Wright, Jesus: The Search Continues. Transcript of this video can be read by searching for "Jesus: The Search Continues" at the Ankerberg Theological Research Institute Web site: www.johnankerberg.org.

13 Paul Little, Know Why You Believe (Wheaton, IL: Scripture Press, 1971), 63.
14 Herbert B. Workman, The Martyrs of the Early Church (London: Charles H. Kelly, 1913), 18–19.
15 Harold Mattingly, Roman Imperial Civilization (London: Edward Arnold Publishers, 1967), 226.
16 Tertullian, quoted in Gaston Foote, The Transformation of the Twelve (Nashville: Abingdon, 1958), 12.
17 Simon Greenleaf, An Examination of the Testimony of the Four Evangelists by the Rules of Evidence Administered in the Courts of Justice (Grand Rapids, MI: Baker, 1965), 29.
18 Lynn Gardner, Christianity Stands True (Joplin, MO.: College Press, 1994), 30.
19 Personal correspondence from Tom Anderson, January 6, 2003.
20 J. P. Moreland Scaling the Secular City (Grand Rapids, MI: Baker, 1987), 137.
21 William Lane Craig, quoted in Strobel, The Case for Christ, 220.

الفصل ٨: ما الفائدة من مسيح ميْت؟

1 Encyclopedia International (New York: Grolier, 1972): 4:407.
2 Ernest Findlay Scott, Kingdom and the Messiah (Edinburgh: T. & T. Clark, 1911), 55.
3 Joseph Klausner, The Messianic Idea in Israel (New York: Macmillan, 1955), 23.
4 Jacob Gartenhaus, "The Jewish Conception of the Messiah," Christianity Today (13 March 1970): 8–10.
5 Jewish Encyclopaedia (New York: Funk and Wagnalls, 1906): 8:508.
6 Millar Burrows, More Light on the Dead Sea Scrolls (London: Secker & Warburg, 1958), 68.
7 A. B. Bruce, The Training of the Twelve (Grand Rapids, MI: Kregel, 1971), 177.
8 Alfred Edersheim, Sketches of Jewish Social Life in the Days of Christ (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1960), 29.
9 George Eldon Ladd, I Believe in the Resurrection of Jesus (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1975), 38.

الفصل ٩: هل سمعت بما حدث لشاول؟

1 Encyclopaedia Britannica, s.v. "Paul, Saint."
2 Jacques Dupont, "The Conversion of Paul, and Its Influence on His Understanding of Salvation by Faith," Apostolic History and the Gospel, ed. W. Ward Gasque and Ralph P. Martin (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1970), 177.

3 Encyclopaedia Britannica, s.v. “Paul, Saint.”
4 Ibid.
5 Kenneth Scott Latourette, A History of Christianity (New York: Harper & Row, 1953), 76.
6 W. J. Sparrow-Simpson, The Resurrection and the Christian Faith (Grand Rapids, MI: Zondervan Publishing House, 1968), 185–86.
7 Dupont, “The Conversion of Paul, and Its Influence on His Understanding of Salvation by Faith,” 76.
8 Philip Schaff, History of the Christian Church (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1910): 1:296.
9 Encyclopaedia Britannica, s.v. “Paul, Saint.”
10 Archibald McBride, quoted in Chambers’s Encyclopedia (London: Pergamon Press, 1966): 10: 516.
11 Clement, quoted in Philip Schaff, History of the Apostolic Church (New York: Charles Scribner, 1857), 340.
12 George Lyttleton, The Conversion of St. Paul (New York: American Tract Society, 1929), 467.

الفصل ١٠: هل يمكن أنْ يرى تقيّك فسادًا؟

1 Alexander Metherell, quoted in Lee Strobel, The Case for Christ (Grand Rapids, MI: Zondervan, 1998), 195–96.
2 John Dominic Crossan, Jesus: A Revolutionary Biography (New York: HarperOne, 1995), 145.
3 George Currie, The Military Discipline of the Romans from the Founding of the City to the Close of the Republic. An abstract of a thesis published under the auspices of the Graduate Council of Indiana University, 1928, 41–43.
4 A. T. Robertson, Word Pictures in the New Testament (New York: R. R. Smith, 1931), 239.
5 Arthur Michael Ramsey, God, Christ and the World (London: SCM Press, 1969), 78–80.
6 James Hastings, ed., Dictionary of the Apostolic Church (New York: C. Scribner’s Sons, 1916): 2:340.
7 Paul Althaus, quoted in Wolfhart Pannenberg, Jesus—God and Man, trans. Lewis L. Wilkins and Duane A. Priebe (Philadelphia: Westminster Press,
8 1968), 100.
Paul L. Maier, “The Empty Tomb as History,” Christianity Today (28 March 1975): 5.

9 Josh McDowell, Evidence That Demands a Verdict (San Bernadino, CA: Campus Crusade for Christ International, 1973), 231.
10 David Friederick Strauss, The Life of Jesus for the People (London: Williams and Norgate, 1879): 1: 412.
11 J. N. D. Anderson, Christianity: The Witness of History (London: Tyndale Press, 1969), 92.
12 John Warwick Montgomery, History and Christianity (Downers Grove, IL: InterVarsity, 1972), 78.
13 Jeffrey Jay Lowder, “Historical Evidence and the Empty Tomb Story” in The Empty Tomb: Jesus Beyond the Grave, Jeffrey Jay Lowder and Robert Price, eds. (Amherst, MA: Prometheus, 2005), 267.
14 As quoted in Lee Strobel, The Case for the Real Jesus, 146.
15 Stephen T. Davis, “The Counterattack of the Resurrection Skeptics,” in Philosophia Christi, vol. 8, no. 1 (2006): 55.
16 Paul Rhodes Eddy and Gregory A. Boyd, The Jesus Legend (Grand Rapids: Baker Books, 2007), 142.
17 T. N. D. Mettinger, The Riddle of Resurrection: “Dying and Rising Gods” in the Ancient Near East (Stockholm: Almqvist and Wiksell, 2001), 221.
18 Thomas Arnold, Christian Life—Its Hopes, Its Fears, and Its Close (London: T. Fellowes, 1859), 324.
19 Brooke Foss Westcott, quoted in Paul E. Little, Know Why You Believe (Wheaton, IL: Scripture Press, 1967), 70.
20 William Lane Craig, Jesus: The Search Continues. Transcript of this video can be read by searching for “Jesus: The Search Continues” at the Ankerberg Theological Research Institute Web site: www.johnankerberg.org.
21 Simon Greenleaf, An Examination of the Testimony of the Four Evangelists by the Rules of Evidence Administered in the Courts of Justice (Grand Rapids, MI: Baker, 1965), 29.
22 Sir Lionel Luckhoo, quoted in Strobel, The Case for Christ, 254.
23 Frank Morison, Who Moved the Stone? (London: Faber and Faber, 1930).
24 George Eldon Ladd, I Believe in the Resurrection of Jesus (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1975), 141.
25 Gary Habermas and Anthony Flew, Did Jesus Rise from the Dead? The Resurrection Debate (San Francisco: Harper & Row, 1987), xiv.
26 Lord Darling, quoted in Michael Green, Man Alive! (Downers Grove, IL: InterVarsity, 1968), 54.

الفصل ١١: هلّا يتفضّل المسيح الحقيقيّ ويُعلن عن نفسه؟

1 For a more complete discussion of the Daniel 9 prophecy, see Josh McDowell, The New Evidence That Demands a Verdict (Nashville: Nelson, 1999), 197–201.

٢ يعِزُ متّى المقطع الذي يقتبسه في متّى ٢٧: ٩-١٠ إلى النبي إرميا، ولكن هذا المقطع يرد في زكريّا ١١: ١١-١٣. يمكن حلّ هذا التناقض الظاهريّ حين نُدرك كيفيّة ترتيب الأسفار القانونيّة العبريّة، فقد قُسّمت الأسفار العبريّة إلى ثلاثة أقسام هي: الناموس والكتابات والأنبياء. وُضع النبي إرميا أوّلًا في ترتيب الأسفار النبويّة، وهكذا، غالبًا ما كان يقبل العلماء اليهود أنْ يشيروا إلى قسم الأنبياء بأكمله باسم السفر الأوّل فيه، أي سفر إرميا.

3 H. Harold Hartzler, from the foreword to Peter W. Stoner, Science Speaks (Chicago: Moody, 1963).

4 Stoner, Science Speaks, 107.

5 Ibid.

الفصل ١٢: لقد غيّر حياتي

1 Edwin Yamauchi, quoted in Lee Strobel, The Case for Christ (Grand Rapids, MI: Zondervan, 1998), 90.

2 Bruce Metzger, quoted in Strobel, The Case for Christ, 71.

إنْ كان لديك أيّ استفسار، الرجاء الكتابة إلى هذا العنوان:
maseeheyat@gmail.com
يمكنك زيارتنا أيضًا على هذا الموقع:
www.maseeheyat.com
وإن كنت غير منضمّ إلى كنيسة محلّيّة في بلادك، ندعوك أنْ تنضمّ إلى كنيستنا الافتراضيّة على هذا الموقع:
www.churchonline.faith